

الأشجار المصرية في وادي النيل

الجزء الأول

(من القاهرة والدلتا حتى منطقة سقارة)

القاهرة . الاسكندرية . بورسعيد . الدلتا . الفيوم
المتحف المصري . هيليوبوليس - ومسلتها . الأهرام
أبورواش والجيزة . أبوصير . منف . سقارة
(المقابر الملكية) . مصاطب سقارة

تأليف: جيمس بيثلي

ترجمة

بيثلي جيمس

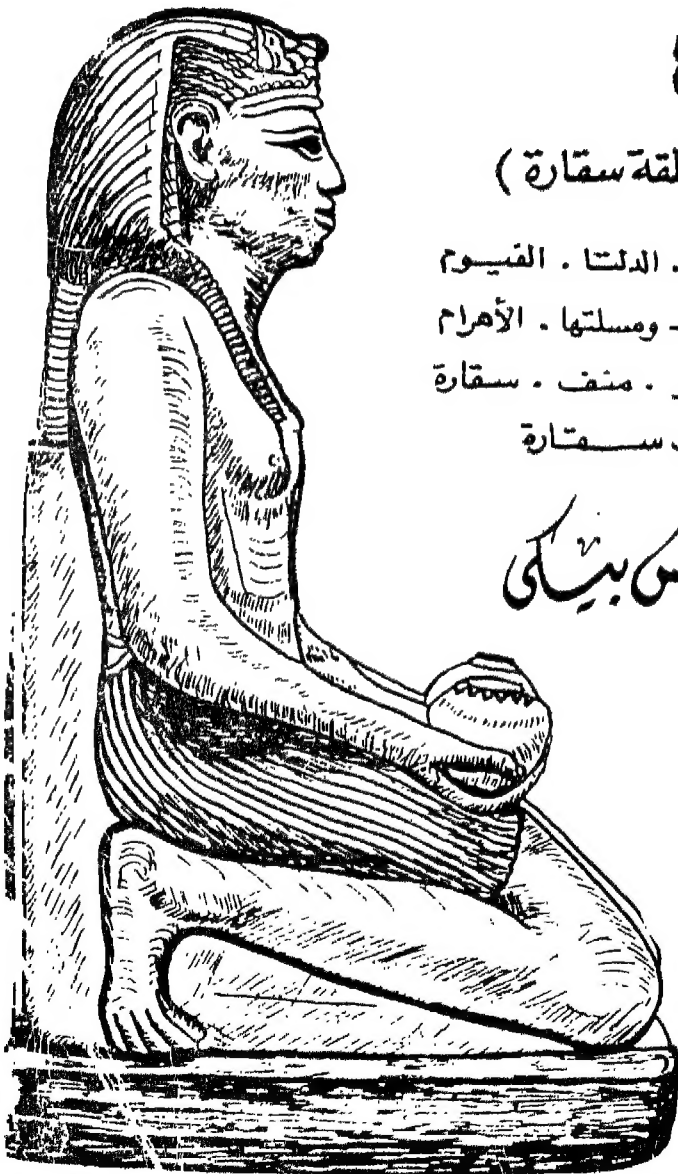
سفيان فرير



Bibliotheca Alexandrina

بيثلي جيمس

بيثلي جيمس



الآثار المصرية في وادي النيل الجزء الأول

الآثار المصرية في وادي النيل الجزء الأول

(من القاهرة والدلتا حتى منطقة سقارة)

القاهرة . الاسكندرية . بورسعيد . الدلتا . الفيوم . المتحف
المصري . هيليو بوليس ومسلتها . الأهرام . أبو رواش والجيزة
أبو صير . منف . سقارة (المقابر الملكية) . مصاطب سقارة

تأليف جيمس بيك

ترجمة

بيبي حبشي و شفيق فرير

رأبمه
الكنور محمد عبد الله بن خنار
كبير التحرير بمركز تسجيل و النشر

١٩٩٣

تمهيد

من المستحيل أن يكتب مثل هذا الكتاب دون الإشارة الى المؤلفات التي لا حصر لها الخاصة بعلم الآثار المصرية ودون الانتفاع بهذه المؤلفات . وسيجد القارئ في الصفحات التالية اشارات الى الكثير من هذه المراجع وبخاصة « دليل آثار مصر العليا » لمؤلفه « أ.ى.ب. ويجل » .

وقد جرت العادة أن يعد المؤلف بعد الانتهاء من وضع كتابه قائمة بأسماء من سبقوه من المؤلفين الذين يدين لهم بالفضل ، ولكن مما يدعو الى الأسف أنه لم يمض شهر على كتابة هذا المؤلف حتى توفي زوجى بعد أن أمضى عدة سنوات فى عمل متواصل لآخراجه .

ولذا أرى من واجبى ان اقدم الشكر باسمه للمعاونة القيمة التي ساهم بها فى اعداد هذا الكتاب كل من الأستاذة « مرجريت أ. مرى » ، ومستر « ألفريد لوكاس » ، والدكتور « ج.أ. ريزنر » ، والدكتور « روبرت .ل. موند » ، والسيد المبجل « ج.ى. ماك جريجور » .

وعلى الرغم من أن المؤلف كان قد أتم متن الكتاب ، غير أنه بقى منه الشئ الكثير ليصبح معدا للنشر ، وقد قام المستر « ريجنالد أنجلباك » أمين المتحف المصرى بمباشرة طبعه واعداد فهرسه وكتابة الملحق رقم ١ ، لذا فأننى أنتهز هذه الفرصة لأشكره على معاونته الصادقة القيمة .

كونستانس . ن . بيكى

هذا الكتاب

بالنظر الى كبر حجم الكتاب في أصله الافرنجى ، وما أضفنا الى الترجمة العربية من هوامش تصحيحا لبعض الوقائع ، وتسجيلا لما تم من كشف جديدة منذ أن صدر الأصل الافرنجى حتى الآن ، حتى يكون متمشيا مع آخر ما وصل اليه علم الآثار ، وبالنظر الى كثرة اللوحات التى ألحقناها بالترجمة العربية عن الكشوف والآثار البارزة ذات الأهمية الفنية والتاريخية ، بالنظر الى هذا كله ، فضلنا أن تصدر الترجمة العربية في خمسة أجزاء :

★ الجزء الأول : ويشمل الدلتا والقاهرة حتى منطقة صقارة .

★ الجزء الثانى : ويشمل ما بين الفيوم حتى ما قبل الأقصر .

★ الجزء الثالث : ويشمل الأقصر شرقا وغربا .

★ الجزء الرابع : ويشمل ما بعد الأقصر (من طيبة حتى أسوان) .

★ الجزء الخامس : ويشمل معابد فيلة حتى الخرطوم .

ولقد أضفنا الى الجزء الأول من الترجمة العربية هوامش كثيرة ، كما ألحقنا به مجموعة كبيرة من الصور والأشكال المختلفة والرسوم التوضيحية .

أما الرسم الذى يعبر عنه شكل ١ فينتوى على فكرة مستوحاة من الحقيقة التاريخية المعروفة وهى : « عندما تصعد مجرى النيل ، فانك تهبط مجرى التاريخ » كما سيأتى بعد ذلك .

● فالرسم الأعلى يمثل أهرام الجيزة حيث دفن كبار ملوك الدولة القديمة ، ويتحدث الجزء الأول من الترجمة العربية عنهم .

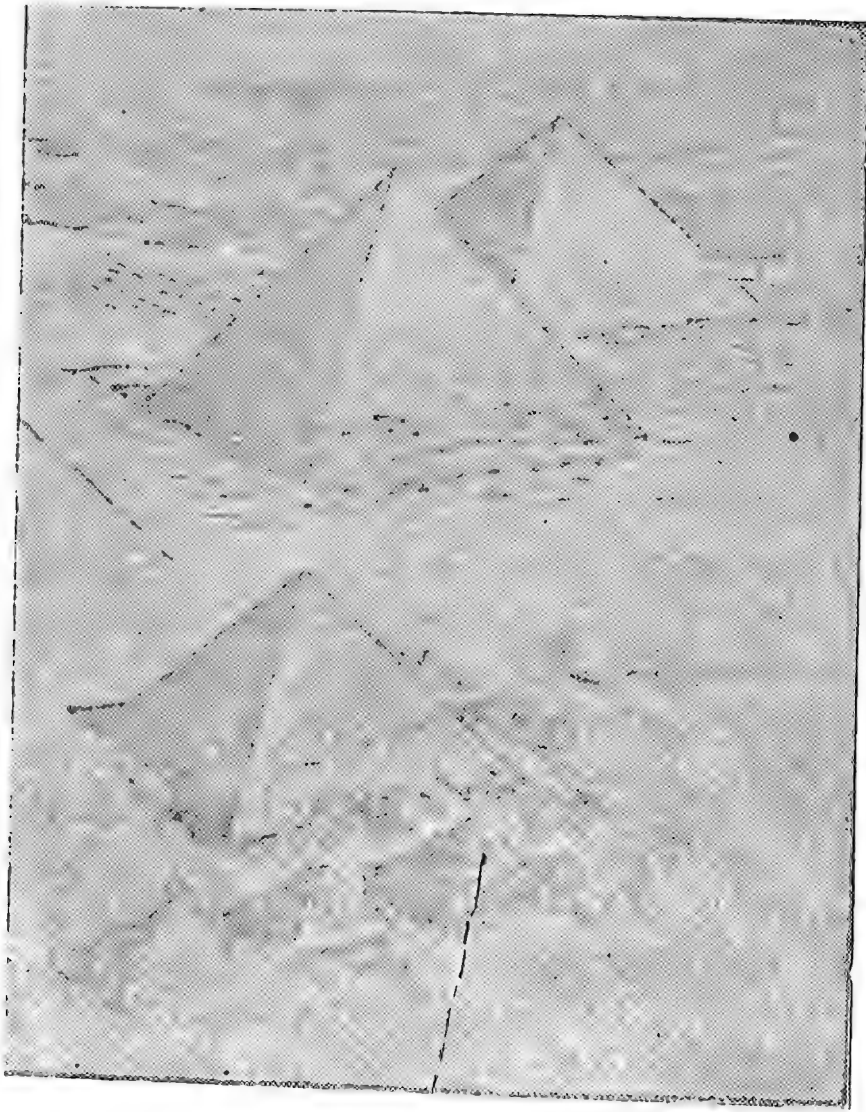
● ويمثل الرسم الثانى هرم اللاهون أحد مدافن ملوك الدولة الوسطى ، ويتحدث عنهم الجزء الثانى من الترجمة .

● ويمثل الرسم الثالث « بيان الملوك » حيث دفن ملوك الدولة الحديثة، وهذا ما سيتناوله الجزء الثالث من الترجمة .

● أما الرسم الرابع والأخير فيمثل احدى المقابر الترابية في « قسطل » و « بلانة » حيث دفن بعض الملوك الذين حكموا النوبة أيام حكم الرومان لمصر، وهذا ما يعالجه الجزء الرابع والخامس من الترجمة .

وأخيرا يسعدنا أن نقدم للقراء العرب الكرام هذا الكتاب الذى يحتوى على الجزء الأول من الترجمة العربية ويليه ان شاء الله ، الأجزاء الأربعة الأخيرة .

المترجمان ، والمراجع



(شكل رقم ١)

منطقة أهرام الجيزة كما تبدو من الجو

تقديم الجزء الأول من الكتاب بقلم الأستاذ لييب حبشى

منذ أن عرفت السياحة كوسيلة للتثقيف والمتعة كانت مصر في طليعة الدول التي يزورها الناس من كل ركن من أركان العالم ليروا فيها ما لا يستطيعون رؤيته في بلادهم ، وليستمتعوا فيها بما لا قبل لهم بالاستمتاع به في الأقطار التي أتوا منها ، وهم يتحملون في سبيل تحقيق أمنيتهم الكثير من المتاعب .

وقد يتعرضون لبعض الأخطار ، وهم يضجون بسبب هذا بالمبالغ الطائلة التي ادخروها في غالب الأحيان من كدهم وكدهم ، وهم يحضرون بعد أن يكونوا قد قضوا الوقت الطويل في القراءة عن الحضارة العظيمة التي ياملون في مشاهدتها واستعراضها إذا ما تمت الزيارة .

ومع الظيور النازحة الى مصر والهاربة من برودة الشتاء في القارة الأوربية ، تبدأ جموع السياح من مختلف البلاد في التدفق على مصر لينعموا بعض الوقت بالشمس الساطعة والسماء الصافية والجو المعتدل الجاف المنعش الذي تتمتع به بلادنا ، ويستمر تدفق هذه الجموع طوال أشهر الخريف والشتاء والربيع حتى إذا ما اشتد الحر قل بعض الشيء عدد الزوار ، وان حضر اليها الكثيرون ممن لا تتاح لهم الزيارة عندما يكون الجو أكثر اعتدالا .

وهم اذ يقدون الى مصر يهدفون الى رؤية تلك المناظر الجذابة التي قل أن يروها في بلادهم ، فهنا في مصر تنبسط الأراضي فلا تكاد ترى فيها الجبال التي تكتنف أكثر البلاد التي يحضرون منها ، وتمتد الصحارى جنبا الى جنبا مع أرض تميزت بخصوبتها وتنوعت فيها المحصولات التي تعتمد كل الاعتماد في ريها على مياه النهر بخلاف غالبية بلادهم الجبلية التي تكثر فيها النباتات والأشجار الطبيعية التي تغذيها مياه الأمطار .

والبعض القليل منهم يمتنون أنفسهم بأن يروا الحياة الشرقية التي تختلف كل الاختلاف عن الحياة التي يحيونها ، وأن يمتعوا أنفسهم بسحر الشرق وجماله ، وأن يتصلوا بأهله ويتعرفوا على طرق معيشتهم وعاداتهم وكل ما يتصل بهم ، بل إن منهم من يعمل على قضاء بعض الوقت خارج المدن حيث تمتد الصحارى وتنتشر القرى .

الا أن الجميع على السواء يحضرون الى هذه البلاد وقد وطدوا العزم على رؤية أكثر ما يمكن رؤيته من آثار ومعالم ، فهم قد رأوا أو قرأوا أو سمعوا عن هذه المعالم وتلك الآثار التي شيدت منذ آلاف السنين في وقت كان العالم قية غارقا في بحار الجهل ، وهم قد قرأوا أو سمعوا أو رأوا كيف أن الكثير من هذه الآثار الضاربة في القدم لا زالت قائمة تكاد تكون في الحالة التي أقامها عليها من أنشائها منذ آلاف السنين ، وأن فيها من روعة الفن وجماله ما يدل على سلامة ذوقهم وعلى عراقة الحضارة التي وصلوا إليها .

فإذا ما تحقق الحلم وتمت الزيارة قضوا أياما قد تمتد الى أسابيع ينتقلون فيها بين القاهرة وضواحيها ، وبين الصعيد الأعلى وأماكنه الأثرية المتعددة ، وقد يتسع وقتهم لزيارة بلاد النوبة وما فيها من مناطق أثرية — بوشك أن تنقل الى أماكن أخرى حفاظا عليها — وهم في كل هذا يعملون على البقاء في مصر أطول مدة ممكنة لينعموا بالجو المعتدل الجاف المنعش ، وبالمناظر الجذابة ، وليروا أكثر ما يمكن رؤيته من معالم وآثار .

والغالبية العظمى منهم يمرون على تلك الآثار في صحبة أدلاء وتراجمه اسعد اليهم الكثير من المعلومات الطريفة عن هذه الآثار عن آبائهم وأجدادهم ، أو ممن تعلموا في المعاهد التي أنشئت لتخريج المرشدين السياحيين ، غير أنه اقد يفضل البعض القليل الذي قرا كثيرا عن حضارتنا القديمة قبل أن يحضروا الى بلادنا أن يكتفى بما قرأه قبل حضوره مع الاستعانة ببعض الكتب التي كتبت لتشرح الآثار وتوضح أهميتها والطرق الموصلة اليها .

فلهؤلاء ولغيرهم من هواة علم الآثار وضعت كتب كثيرة لتكون دليلا لمعالم

المناطق الأثرية أو لجميع المناطق على السواء ، مع توضيح آثار كل بلد وأهمية ما تتميز به هذه الآثار من فن وما تحتويه من معلومات تاريخية . ولقد وضعت مثل هذه الكتب عن أكثر البلدان التي يقصدها السياح للترويج عن النفس ، وللتمتع بالجو الطيب ، ولروية الآثار مثل إيطاليا وسويسرا واليونان ومصر .

على أن ما كتب عن مصر يزيد بكثير عما كتب عن غيرها من البلاد ، فمما لا شك فيه أنه لا يوجد في بلد آخر في العالم من الآثار ما يضارع آثارها في قدمها وروعها وكثرتها وجمال فنها ، ولعلها البلد الوحيد في العالم الذي يستطيع فيه المرء أن يتتبع خطوة خطوة تاريخ شعب خلال خمسين قرناً من الزمان على ضوء آثار أغلبها لا زال قائماً حتى اليوم وعن طريق كتابات ونقوش على الأحجار والشقاف وأوراق البردى ونحوها مما ابقت عليه أرض مصر الأمانة .

والكتاب الذي نترجمه اليوم هو أحد الكتب الهامة التي كتبت ليطلع عليها السائحون ومحبو الآثار من قراء الانجليزية ، وليعلموا كل التفاصيل عن أهم الآثار الموجودة في مصر والسودان وتاريخها .

وقد قام بتأليفه « جيمس بيكي » الذي ولد في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٦ في اسكوتلندا ، ودرس اللاهوت في جامعة أدنبرة ثم هوى علم الآثار ودرسه ، شأنه في ذلك شأن الكثير من رجال الدين في أوروبا وأمريكا ، وقد التحق بجامعة أكسفورد كمحاضر ، وكتب كتباً كثيرة عن الفلك والآثار وأصبح عضو جمعية الآثار الملكية .

ولعل أهم ما كتبه هو الكتاب الذي سرد فيه ما حدث في مصر من « كشوف خلال قرن من الزمان » (المطبوع عام ١٩٢٣) فهو الكتاب الذي اعتمد عليه الكثير من الكتاب الذين عالجوا مثل هذا الموضوع أمثال « سيرام » الذي كتب كتابه المشهور المعروف باسم « الآلهة والمقابر والعلماء » وهو الكتاب الذي ترجم إلى أكثر من عشر لغات وطبعت منه الطبقات المتعددة .

أما الكتاب الحالى فلقد أمضى مؤلفه السنوات الطويلة فى كتابته وجمع الصور والرسوم الخاصة به ، إلا أن الموت عاجله فى ٥ فبراير سنة ١٩٣١ فلم تتسع له الفرصة لاستكمال نهائيا ، فقامت زوجته السيدة « كونستانس بيكى » فى السنة التالية لموته بمساعدة المستر « أنجلباك » الأمين الأسبق للمتحف المصرى بالقاهرة بأعداده للطبع بعد إضافة الفهارس والملاحق له .

واليوم وقد مر على طبع الكتاب أكثر من ثلاثين عاما قد يتساءل البعض ان كان الكتاب لا يزال متمشيا مع الآراء الحديثة التى وصل إليها علم الآثار ، وان كان هناك من بين الكتب المماثلة ما كان أولى بالترجمة منه .

والرد على الشطر الأول يتلخص فى أنه قد حدثت منذ ظهور هذا الكتاب كشوف كثيرة وجدت آراء متعددة ، غير أننا سوف نشير الى هذه الكشوف وتلك الآراء فى هوامش الكتاب حتى لا يفوت القارئ شىء مما جد منذ تأليف هذا الكتاب (١) .

أما عن الشطر الثانى من السؤال فان علينا أن نسلم بأن كتاب « بيدكر » عن آثار مصر يفضل كتابنا من حيث غزارة مادته ، فلقد توفر على كتابته نخبة من المتخصصين وعلى رأسهم العلامة الأثرى الألمانى « جورج شتيندورف » ، ولكن من واجبنا أن نذكر أن كتاب « بيكى » أنسب لقراء العربية بمعلوماته المركزة الواضحة ، وبأسلوبه المبسط الهادى الممزوج أحيانا بنوع من الدعابة التى تخفف على القارئ عبء القراءة الجافة .

والمؤلف يجارى فى هذا الأثرى الانجليزى « أرثر ويجل » الذى قضى السنوات الطويلة يعمل فى مصلحة الآثار ككبير للمفتشين ، ثم عكف على كتابة الكتب الأثرية وكان من بين ما كتبه كتابه المعروف « دليل آثار مصر العليا » وهو الذى اعتمد عليه مؤلف كتابنا هذا اعتمادا كبيرا فى وصفه للآثار المصرية فى هذا الجزء من البلاد المصرية ، وهى التى تشمل أغلب

(١) جميع الهوامش قد أضافها المترجمان أو المراجع .

صفحات الكتاب الحالي لكثرتها وأهميتها .

ولقد عنى المؤلف بأن يورد نبذة تاريخية واضحة المعالم عن كل منطقة قبل أن يسترسل في كتابة وصف لآثارها حتى تكون لدى القارئ صورة واضحة عن كل منطقة .

وما أحوج القارئ المصرى أن يتعرف على تاريخ المناطق المختلفة وآثارها حتى يستطيع أن يدرك هذا التاريخ ويشاهد تلك الآثار كلما أتيحت له الفرصة لذلك خصوصا بعد أن تقرر اتباع نظام الحكم المحلى وتقسيم البلاد الى محافظات يبرز فى كل منها طابع الاقليم ومميزاته وتاريخه البعيد والقريب .

ولقد حرصت أنا وزميلى الأستاذ شفيق فريد على توخى بساطة الأسلوب فى ترجمة الكتاب ، كما عنى زميلنا الدكتور جمال مختار بمراجعة الكتاب بالدقة التى يتميز بها ، فلعل الكتاب يسد نقصا فى المكتبة العربية فينتفع به المواطنون ويدركوا الى أى حد تعج بلادنا بالآثار العظيمة لأجدادنا الذين ساهموا بأكبر قسط فى بناء الحضارة القديمة التى قامت عليها الحضارة الحديثة .

ولعل هذه الحقيقة تحفزهم لأن يعملوا مع العاملين فى احلال بلادنا المحل اللائق بها كأمة انحدرت من شعب عريق وصل الى درجة عظيمة من الحضارة فى وقت كانت فيه دول اليوم المتحضرة لا ذكر لها ولا شأن .

- ١٦ -



(شكل رقم ٢)
أبو الهول الكبير قاهر الزمن

سجل تاريخي لأهم الفراعنة

يعتمد السجل التالي على القوائم التاريخية لتاريخ « كمبودج » القديم .
وفي التواريخ القديمة حتى بداية الأسرة الثامنة عشرة يمكن التفاضل عن الخطأ .
ومثل هذه التواريخ تعد تقريبية ، إذ أن المصادر لا تزال مختلفة اختلافًا
واضحًا على الرغم من التعديلات الحديثة للآراء المتطرفة . وابتداءً من ١٥٨٠
قبل الميلاد ، عندما بدأت الأسرة الثامنة عشرة ، حدد التاريخ تحديداً جديداً دقيقاً
فلا تتجاوز الفروق بين مختلف المصادر بضع سنوات قليلة على الأكثر .

عصر ما قبل الأسرات

بقيت لنا أسماء قليلة من فراعنة هذا العصر أمثال سكا ، وخابو ، وتيو ،
وثس ، ونسكا (٩) ووازن ، وهؤلاء حكموا الوجه البحري . أما الملك العقرب
فقد حكم الوجه القبلي . ومن الصعب تحديد أى تواريخ ولو تقريبية لهم .

الدولة القديمة

الأسرة الأولى (تواريخ تقريبية ٣٥٠٠ - ٣٣٥٠ ق.م (١)) :

نارمر (مينيس أو مينا) - عحا - زر (اتوتي) (٢) - دن سمستى -

(١) يميل أغلب العلماء الآن الى قصر عهد الدولة القديمة على الأسرات من
الثالثة الى السادسة ، أما الأسرتان الأولى والثانية فيشملهما العصر العتيق
أو الباكر أو الطيني .

ويرى الأستاذ آلان جاردنر في كتابه Egypt Of the Pharaons
أن العصر العتيق يبدأ من سنة ٣٢٠٠ ق.م (بزيادة أو نقص في حدود ١٥٠
عاماً) وينتهي عام ٢٧٠٠ ق.م . في حين يرى الأستاذ هرمان كيس في كتابه
Ancient Egypt أن هذا العصر يبدأ حوالي عام ٢٩٨٠ ق.م وينتهي عام
٢٦٧٧ ق.م .

(٢) حكم الملك جت (واجيت) بين عهدي « زر و دن » وتتفق معظم
المراجع الحديثة في ذلك .

(م ٢ الآثار ج ١)

عنخ ايب مريبييا - سمرخت سمسو - قع (١) - سن .

الأسرة الثانية (تواريخ تقريبية ٣٣٥٠ - ٣٢٠٠ ق.م) :

حطب سخموى - رنب (٢) - نى نتر - سخم ايب بر ان ماعت -

بر ايب سن - سنج .

الأسرة الثالثة (تواريخ تقريبية ٣٢٠٠ - ٣١٠٠ ق.م) :

خع سخم (خع سخموى) (٢) - زوسر - سانخت - نفر كا - سنفرو (٤) .

الأسرة الرابعة (تواريخ تقريبية ٣١٠٠ - ٢٩٦٠ ق.م) :

كيوبس (خوفو) - جدف رع - كفرن (خفرع) ميكرونيس

(ميناورع) - شيسكاف .

(١) يجمع معظم العلماء على أن الملك «قع» كان آخر ملوك الأسرة الأولى .

(٢) يقصد الملك « نب رع » (رع نب) .

(٣) يعتبر الملكان « خع سخم » و « خع سخموى » آخر ملوك الأسرة

الثانية . ولا نوافق المؤلف على اعتبارهما ملكا واحدا أو وضعهما بين ملوك

الأسرة الثالثة .

(٤) تعد الأسرة الثالثة بداية عهد الدولة القديمة (عصر بناء الأهرام)

ويعطيها الأستاذ جاردنر في كتابه السالف الذكر الفترة ما بين

٢٧٠٠ ق.م و ٢٦٢٠ ق.م ، في حين يحدد الأستاذ كيس بدايتها بعام

٢٦٧٦ ق.م ونهايتها بعام ٢٦٢٨ ق.م .

ويمكن تحديده وترتيب ملوك الأسرة الثالثة كما يلي : زوسر (نترخت) -

سنخم خت - سانخت (نب كا) - خع با - نفر كا (نفر كارع) -

(حونى - حو) .

أما الملك سنفرو فهو مؤسس الأسرة الرابعة صاحبة أهرام الجيزة

الخالدة ، ويعطيها جاردنر الفترة ما بين ٢٦٢٠ و ٢٤٨٠ ق.م بينما

تمتد أيام الأسرة الخامسة في رأيه بين عامى ٢٤٨٠ و ٢٣٤٠ ق.م .

الأسرة الخامسة (تواريخ تقريبية ٢٩٦٠ - ٢٨٣٠ ق.م) :

أوسر كاف - ساحورع - نفر اير كارع - شبسيس كارع (١) - نى أوسر
رع - منكاو حور - جد كارع اسيسى - أوناس .

الأسرة السادسة (تواريخ تقريبية ٢٨٣٠ - ٢٦٣٠ ق.م) :

تيتى - مرى رع بيبي الأول - مرن رع محتى ام ساف - نفر كارع
بيبي الثانى .

العصر المتوسط الأول

من الأسرة السابعة الى العاشرة (تواريخ تقريبية ٢٦٣٠ - ٢٣٠٠ ق.م) :

وليس من ملوك هاتين الأسرتين الاهناسيتين (٢) ملك واحد معروف لدينا
لدرجة تستحق الذكر غير خيتى (اختاى) مواب رع .

الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشرة (تواريخ تقريبية ٢٣٧٥ - ٢٢١٢ ق.م) (٣) :

ان تداخل تاريخ بدء هذه الأسرة فى تاريخ أواخر الأسرة العاشرة يرجع
الى غموض الفترة التى ناضلت فيها كل من اهناسية وطيبة فى سبيل السلطة .

(١) حكم الملك « نفر اير كارع » بين عهدى الملكين « شبسيس كارع »
و « نى أوسر رع » .

(٢) يقصد المؤلف الأسرتين التاسعة والعاشرة اللتين ناضل ملوكهما
فى سبيل انقاذ البلاد من الفوضى والاضمحلال اللذين سادا البلاد
أيام الأسرتين السابعة والثامنة .

(٣) تبدأ الدولة الوسطى فى الواقع فى أيام الملك منتو حتب
الثانى حوالى عام ٢٠٦٥ ق.م .

- أنتف واح عنخ (١) .
- أنتف نخت نب تب نفر .
- منتو حتب الأول سعنخ ايب تاوى .
- منتو حتب الثانى نب حبت رع .
- منتو حتب الثالث نب تاوى رع (٢) .
- منتو حتب الرابع سعنخ كارع .

الأسرة الثانية عشرة (تواريخ تقريبية ٢٢١٢ - ٢٠٠٠ ق.م) (٣) :

يرجع تداخل تواريخ حكم فراعنة هذه الأسرة الى أن كل فرعون كان يشرك خلفه معه فى الحكم ليضمن توليته بعده :

٢٢١٢ — ٢١٨٢ ق.م	امنمحات الأول
٢١٩٢ — ٢١٤٧ ق.م	سنوسرت الأول
٢١٥٠ — ٢١١٥ ق.م	امنمحات الثانى
٢١١٥ — ٢٠٩٩ ق.م	سنوسرت الثانى
٢٠٩٩ — ٢٠٦١ ق.م	سنوسرت الثالث
٢٠٦١ — ٢٠١٣ ق.م	امنمحات الثالث
٢٠١٣ — ٢٠٠٤ ق.م (٤)	امنمحات الرابع

(١) الثابت أن مؤسس الأسرة الحادية عشرة هو أنتف سهر تاوى الذى حكم مباشرة قبل أنتف واح عنخ .

(٢) منتو حتب سعنخ كارع حكم قبل الملك منتو حتب نب تاوى رع الذى خلفه مباشرة .

(٣) حكمت الأسرة الثانية عشرة فى الفترة ما بين عامى ١٧٨٦، ١٩٩١ ق.م تقريباً، أما العصر المتوسط الثانى فيمتد من عام ١٧٨٦ الى ١٥٧٥ ق.م تقريباً.

(٤) الثابت الآن أن الملك امنمحات الثالث أشرك ابنه فى الحكم مدة ثلاث سنوات قبل موته وأن ابنته سبك نفرو حكمت بعد أخيها مدة ثلاث سنوات وانتهت بموتها أيام الدولة الوسطى .

العصر المتوسط الثانى (الهكسوس)

من الأسرة الثالثة عشرة الى الرابعة عشرة (٢٠٠٠ - ١٥٨٠ ق.م) .

بانتهاى الأسرة الثانية عشرة ندخل فى عصر لا يعرف عنه الا القليل نسبيا ،
ولدينا سجلات طويلة للملوك حكموا وقتئذ ولكن قل من بينهم من هو
جدير بالذكر .

ومن هؤلاء الملوك أمنمحات سبك حتب - امنى أنتف أمنمحات - خنزر
- أوجاف - والملوك المعروفون باسم سبك حتب ، ومن بينهم سبك حتب
الثانى (سخم سواز تاوى رع) وله تمثال دقيق الصنع من الجرانيت فى
المتحف البريطانى ، وكذا الملوك المعروفون باسم سبك ام ساف ، وكان
أحدهم هدفا للصوص مقابر طيبة فى عهد الرعامسة أى بعد ثمانية قرون ،
والسلالة الثانية لأسرة أنتف ، وخمسة فراعنة آخرين على الأقل .

الأستراتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة (تواريخ تقريبية ٩ - ١٥٨٠ ق.م) :

هاتان الأستراتان من أصل هكسوسى ، وقد كانتا معاصرتين جزئيا
للأستراتين السابقتين ، ثم للأسرة السابعة عشرة التى بدأت حرب الاستقلال
والتي حررت مصر من سيطرة الهكسوس . وأشهر هؤلاء الفراعنة : خيان ،
وثلاثة ملوك باسم ايبيا (ابوبى) وآخرهم يرجع أنه كان معاصراً للملك سقننرع
الثالث من ملوك الأسرة السابعة عشرة .

الأسرة السابعة عشرة (تواريخ تقريبية ١٦٤٠ - ١٥٨٠ ق.م) :

١٦٤٠ — ١٦١٥ ق.م	سقننرع الأول
١٦١٥ — ١٦٠٥ ق.م	سقننرع الثانى
١٦٠٥ — ١٥٩١ ق.م	سقننرع الثالث
١٥٩١ — ١٥٨١ ق.م	كاموزا

النواة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٥٥٨ ق.م) (١) :

أحمس (أمازيس) الأول	١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق.م.
أمنوفيس الأول	١٥٥٨ — ١٥٤٥ ق.م.
تحتمس الأول	١٥٤٥ — ١٥١٤ ق.م.
حتشبسوت (٢)	١٥٠١ — ١٤٧٩ ق.م.
تحتمس الثالث	١٥٠١ — ١٤٤٧ ق.م.

ويتداخل حكمه بسبب اشتراكه
في الحكم مع حتشبسوت ، وقد
حكم بمفرده ابتداء من ١٤٧٩ ق.م.

أمنوفيس الثاني	١٤٤٧ — ١٤٢٠ ق.م.
تحتمس الرابع	١٤٢٠ — ١٤١٢ ق.م.
أمنوفيس الثالث	١٤١٢ — ١٣٧٦ ق.م.
أمنوفيس الرابع (أخناتون)	١٣٨٠ — ١٣٦٢ ق.م.
سمنخ كارع	١٣٦٢ — ١٣٥٩ ق.م.
توت عنخ آمون	١٣٥٩ — ١٣٥٠ ق.م.
آي	١٣٥٠ — ١٣٤٦ ق.م.
حور محب	١٣٤٦ — ١٣٢٢ ق.م.

- (١) هناك بعض اختلافات في هذه التواريخ وفي مدد حكم ملوك هذه الأسرة عن تلك التي يقدرها العلماء المعاصرون ولكنها على كل حال اختلافات طفيفة .
- (٢) حكم الملك تحتمس الثاني بعد تحتمس الأول ، وتبعتهما الملكة حتشبسوت بالاشتراك مع تحتمس الثالث .

- ٢٣ -

الأسرة التاسعة عشرة (١٣٢٢ - ١٢١٠ ق.م) :

١٣٢١ ق.م	رمسيس الأول
١٣٢١ — ١٣٠٠ ق.م	سيتي الأول
١٣٠٠ — ١٢٣٣ ق.م	رمسيس الثاني
١٢٣٣ — ١٢٢٣ ق.م	منفتاح
١٢٢٣ — ١٢٢٠ ق.م	أمون مسس (١)
١٢٢٠ — ١٢١٤ ق.م	سي بتاح (مع الملكة تا أوسرت)
١٢١٤ — ١٢١٠ ق.م	سيتي الثاني منفتاح
مغتصب سورى يدعى أريسو — أو ايسو — لمدة غير محدودة قد تنتهى	
عام ١٢٠٠ ق.م .	

الأسرة العشرون (١٢٠٠ - ١٠٩٠ ق.م) :

١٢٠٠ — ١١٩٨ ق.م	ست نخت
١١٩٨ — ١١٦٧ ق.م	رمسيس الثالث
١١٦٧ — ١١٦١ ق.م	رمسيس الرابع
١١٦١ — ١١٥٧ ق.م	رمسيس الخامس
	رمسيس السادس
	رمسيس السابع
١١٥٧ — ١٠٩٠ ق.م	رمسيس الثامن
	رمسيس التاسع
	رمسيس العاشر
	رمسيس الحادى عشر

(١١) حكم الملك سيتى الثانى بعد الملك منفتاح .

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٩٠ - ٩٤٥ ق.م) :

هناك فرعان ملكيان أحدهما الفرع الثانيسى بالدلتا ، والآخر الفرع الطيبى ، وكانا من رجال الدين .

تانيس :

نس بانبد (سمنس) حوالى	١١٠٠ — ١٠٩٠ ق.م
باسبا خع ان نوت الأول (١)	١٠٩٠ — ١٠٧٠ ق.م
أمسون ام أوبت	١٠٢٠ — ٩٧٠ ق.م
سسيا آمون	٩٧٠ — ٩٥٠ ق.م
باسبا خع ان نوت الثانى	٩٥٠ — ٩٤٧ ق.م

طيبة :

حويجور	حوالى ١٠٩٠ ق.م
بننوتم الأول (٢)	١٠٧٠ — ١٠٣٠ ق.م
من خنجر رع	١٠٣٠ — ١٠٢٠ ق.م
بننوتم الثانى	٩٩٩ — ٩٥٤ ق.م
باسبا خع ان نوت الثانى	٩٥٤ — ٩٤٥ ق.م

الأسرة الثانية والعشرون (٩٤٥ - ٧٤٥ ق.م) :

هذه الأسرة ترجع الى أصل ليبي شمالى ، وبذلك تختلف عن الأسرة الأثيوبية الخامسة والعشرين التى تنتمى الى أصل ليبي جنوبى (٣) .

(١) بسو سنس .

(٢) بانجسم .

(٣) عندما أخذت مصر فى الضعف وسادها الانحلال تمكن أمراء النوبة الذين يغلب على الظن أنهم من أصل مصرى من الاستقلال ببلادهم وكونوا مملكة مصرية الطابع عاصمتها نباتا عند الشلال الرابع تمكنت من السيطرة على مصر حوالى ٧٢٠ ق.م بعد أن قهرت حكام مصر الليبي الأصل .

- ٢٥ -

شيشنق الأول	٩٤٥ — ٩٢٤ ق.م
أوسركون الأول	٩٢٤ — ٨٩٥ ق.م
تاكيلوت الأول	٨٩٥ — ٨٧٤ ق.م
أوسركون الثانى	٨٧٤ — ٨٥٣ ق.م
شيشنق الثانى	توفى فى أثناء اشتراكه فى الحكم مع أوسركون الثانى
تاكيلوت الثانى	٨٦٠ — ٨٣٤ ق.م
	وقد اشترك فى الحكم مع أوسركون الثانى لمدة سبع سنوات .
شيشنق الثالث	٨٣٤ — ٧٨٤ ق.م
بى مـ	٧٨٤ — ٧٨٢ ق.م
شيشنق الرابع	٧٨٢ — ٧٤٥ ق.م

الأسرة الثالثة والعشرون (٧٤٥ - ٧١٨ ق.م) :

بادى باستس	٧٤٥ — ٧٢١ ق.م
أوسركون الثالث	
تاكيلوت الثالث	
تف نخت	

وقد اقتسم الملكان الأخيران الحكم بينهما حتى سنة ٧١٨ ، واشترك
أوسركون الثالث مع بادى باستس فى الحكم خلال مدة غير محدودة ، والملوك
الثلاثة الآخرون الذين حكموا على وجه التقريب فى وقت واحد فى
الدلتا ، هزموا على يد ملك الوجه القبلى (١) بيغنى .

(١) يقصد الملك النسوبى بيغنى .

العصر المتأخر (١)

الأسرة الرابعة والعشرون (٧١٨ - ٧١٢ ق.م) :

باك ان رنف (بوخوريس) ٧١٨ - ٧١٢ ق.م .

الأسرة الخامسة والعشرون (٧١٢ - ٦٦٣ ق.م) :

وتسمى الأسرة الأثيوبية (٢) وهى أسرة الليبيين الجنوبيين الذين حكموا في « نباتا » ويبدأ حكمها لمصر بالملك بيعنخي الذى سبق « شباكا » وينتهى بتانوت آمون خليفة طهارة :

شباكا ٧١٢ — ٧٠٠ ق.م

شباتاكا ٧٠٠ — ٦٨٨ ق.م

طهارة ٦٨٨ — ٦٦٣ ق.م

الأسرة السادسة والعشرون (٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م) :

إسماتيك الأول ٦٦٣ — ٦٠٩ ق.م

نخاو ٦٠٩ — ٥٩٣ ق.م

إسماتيك الثانى ٥٩٣ — ٥٨٨ ق.م

إبريس (حفرا) ٥٨٨ — ٥٦٩ ق.م

أحمس (أمازيس) الثانى ٥٦٩ — ٥٢٥ ق.م

إسماتيك الثالث ٥٢٥ ق.م

(١) يطلق أغلب المؤرخين على الأسر من ٢١ الى ٣٠ اسم العصر المتأخر. وهذا العصر الذى تلا عهد الدولة الحديثة . وقد أطلق الأستاذ « كيس » فى كتابه Ancient Egypt العصر المتوسط الثالث على الأسر من ٢١ الى ٢٤ . أما العصر المتأخر فيبدأ فى رأيه من عهد الأسرة الخامسة والعشرين .

(٢) أو النسيوية .

الأسرة السابعة والعشرون :

ملوك من الفرس يحكمون منذ الفتح الفارسي عام ٥٢٥ ق.م وتتنظّل حكمهم فترات قصيرة كانت تحكم فيها أسرات وطنية لمدة قصيرة ، هي الأسرات الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون والثلاثون ، ولم يكن بينها ما يستحق الذكر سوى الأسرة الأخيرة تحت حكم نقطانبو الأول والثاني حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق.م . وبعد ذلك حكم البطالمة حتى ٣٠ ق.م . ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مصر ولاية رومانية يحكمها الأباطرة الرومان كفسراعة .

مقدمة

يبدو ضروريا أن نقوم منذ البداية بتوضيح وتحديد ما اشتملت عليه الفصول التالية . ومن البديهي أنه يستحيل في مؤلف واحد من الحجم المتوسط أن نحاول حتى مجرد دراسة ووصف الأمثلة البارزة من بين النماذج العديدة من الأدوات المنزلية والجنائزية والآلات والأسلحة وأدوات الزينة ونحوها مما تحويه المتاحف الكبيرة .

وعلى ذلك فبخلاف الحالات الاستثنائية (كما هي الحال في النماذج العظيمة الأهمية الموجودة بالمتحف المصري) نجد أنه لا يمكن بأية حال من الأحوال وصف تلك الآثار وحصرها ، لأن ذلك لا يتطلب منا كتابا واحدا فقط بل عدة كتب .

وهذا يعتبر عملا غير مجد مثل عد وترتيب رمال شاطئ البحر أو نجوم السماء . وبالإجمال يجب أن يقتصر الكتاب على وصف آثار الفن والمعمار المصري بصفة عامة على الرغم من أن أهمية بعض النماذج الهامة الصغيرة من الفن والصناعة تجيز لنا ادخالها في هذا النطاق .

وبالإضافة الى ذلك فانه يستحيل أن نحاول في بحثنا حصر آثار العمارة والفن المصري الموزعة بين المتاحف الكبرى في أوروبا وأمريكا . وعليه يجب أن نقيد أنفسنا (والمجال واسع حتى في هذا النطاق) بالآثار الموجودة في مكانها في حدود مصر والنسوبة .

وفي نطاق هذه الحدود الإقليمية يهدف هذا الكتاب الى الإشارة والوصف المختصر لأهم نماذج العمارة والنحت المصري : الأهرام والمعابد والتماثيل الصغيرة والكبيرة بالإضافة الى المقابر الملكية وغير الملكية ، ووصف ما بها من نقوش وصور ، مما يمكن مشاهدته في الأماكن المصرية المطروقة .

كذلك من الواضح أن تحديد الزمن ضرورى مثل ضرورة التحديد الإقليمى . وعلى كل حال فهما تكن أهمية وجمال مخلفات الحضارة الرومانية والقبطية والعربية ، فانها ليست هدف الغالبية العظمى للزائرين لأرض وادى النيل ، الذين يأتون من أقاصى العالم ، وإنما هدفهم يتركز فى آثار حضارة أقدم وأهم من أية حضارة من هذه الحضارات .

وتبعاً لذلك فإن الغرض من مادة هذا الكتاب هو باختصار عرض التراث الوطنى القديم بمصر منذ أقدم العصور حتى الاحتلال الرومانى . وهو فى هذه الناحية يختلف عن الكتب الأخرى المعروفة والقيمة عن مصر ، إذ أنه يهتم فقط بالعصر الطويل الذى يبلغ مع التجاوز أربعة آلاف سنة ، فى خلالها أشرقت شمس الحضارة المصرية القديمة وبلغت أوجها ثم بدأت فى الأفول وكانت مبدعة حتى فى غروبها .

وان الاستثناء الوحيد من القواعد المرعية التى وضعناها سنلتقى به عند الحديث عن المتحف المصرى بالقاهرة ، فبين جدرانها الكثير مما يعطينا فكرة صحيحة عما بلغه الفن والصناعة المصرية القديمان ، ويجعل أى بحث غير كامل ما لم يعطنا وصفاً لأهم كنوز هذا المتحف الكبير .

وعلى ذلك فإن القطع القيمة الرائعة مثل تماثيل الأشخاص البارزة ، ونماذج الفن الدقيق ككنوز دهشور ، واللاهون ، ومقبرة توت عنخ آمون موصوفة بتوسع فى دراستنا العامة للمتحف العظيم .

ومن العبارات التى تتردد باستمرار عن أرض مصر عبارة تلخص مجرى تاريخها فى تعميم جرى مجرى الأمثال « عندما تصعد مجرى النيل فانك تهبط مجرى التاريخ » ومع أن هذا القول يحمل فى مظهره طابع الدقة ، فانه فى الواقع لا يزيد فى دقته عن معظم تلك التعميمات ، وليس أكثر من ذلك . فمن المستحيل ، كما سيظهر ، تعميم مجرى التاريخ المصرى بمثل هذه الصورة .

- ٣٠ -

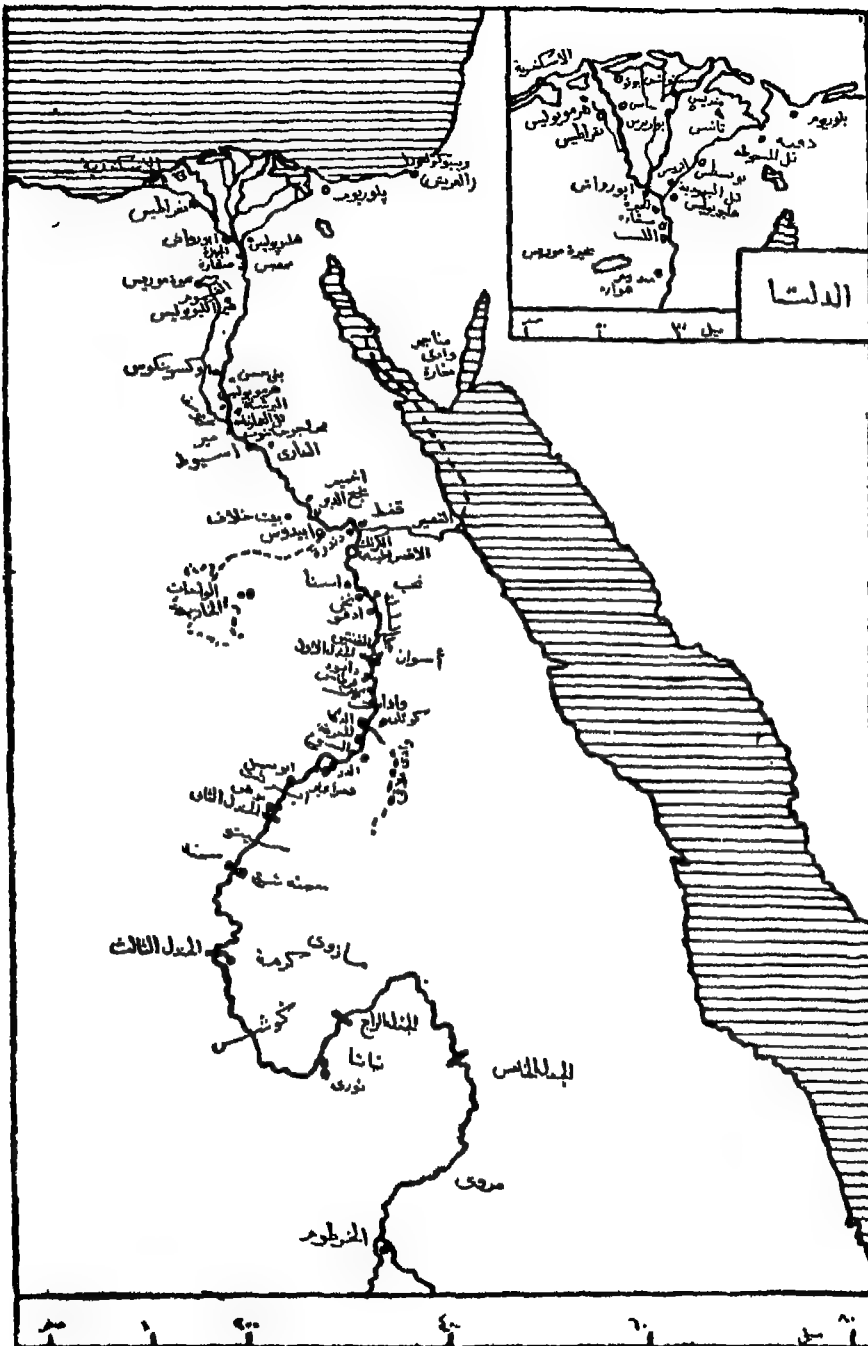
... ومع أن هذا القول صادق بوجه عام فإننا سنجد غير متسق في تفاصيله .
وعلى كل حال يبدو أنه من الأسهل في كتابنا هذا أن نتبع مجرى النيل مصعدين
من البحر المتوسط من أن نحاول تقديم ترتيب تاريخي دقيق عن آثارنا ، ولو
أنه باتباعنا هذه الطريقة الإقليمية سنجد أن الترتيب التاريخي للآثار التي
تتناولها ليس ميسرا كما يزعم ذلك التعميم السهل للماضي ، ولهذا
سنبدأ باستعراض آثار الدلتا .

جيمس بيكي

الآثار المصرية في وادى النيل

الباب الأول

الدلتا



(شكل رقم ٣)

خريطة مصر والنوبة

الفصل الأول

الاسكندرية والأماكن الأخرى

بين الاسكندرية والقاهرة

ان الدلتا ، كمصدر هام في الآثار المصرية ، تكاد تكون مهملة بالنسبة للزائر العادي لمصر ، اذ ينظر اليها كمقدمة غير هامة من الضروري المرور بها قبل الوصول الى القاهرة ، في حين تبدأ مصر الحقيقية المتميزة من أول نظرة للأهرام بالأفق الغربى . ولكن سبب هذا الاهمال النسبى لا يرجع الى خلوها من الآثار الهامة فان بعض مناطق الدلتا تعتبر بين أقدم وأشهر المناطق في تاريخ مصر . ذلك أن « بوتو » أولا و « سايس » بعد ذلك ، وكلاهما يقعان في الدلتا ، كانتا مقر أقدم فروع الحكام المبهمين في عصر ما قبل الاسرات .

ولقب « رجل النحلة » أو « الدبور » في « بوتو و سايس » أصبح أخيرا جزءا مكملًا من لقب « الفرعون المصرى » باعتباره النصف الآخر من لقب « نسوت بيتى » الذى يسبق اسم كل مصرى (١) بينما أصبح الصل (الكوبرا) رمز الهة « بوتو » هو الرمز الملكى في كل تاريخ مصر .

وعندما قارب تاريخ الاسرات النهاية نجد أن مناطق الدلتا التى فقدت أهميتها في الدولتين القديمة والوسطى وفي الجزء الأول من الامبراطورية المصرية تنهض مرة أخرى ، وتعود « تانيس » و « بوسطة » و « سايس » الى عظمتها ثانية في عهد الفراعنة المتأخرين .

كذلك بدخول المهاجرين اليونانيين في الأسرة السادسة والعشرين أصبحت مواقع مثل « نفرطيس » و « تل دفنة » في الدرجة الأولى من الأهمية .

(١) نسوت بيتى معناها الحرفى صاحب النبات سوت ورجل النحلة

أى ملك الوجهين القبلى والبحرى .

وعلى الرغم من هذه الحقائق فقد ظلت مواقع الدلتا بوجه عام لا تثير اهتمام أية طائفة سوى الأثريين ، وبسبب تخريب الحروب لها أكثر من المناطق الأخرى في مصر ، فإن الطبقات المصرية القديمة غمرت تحت طبقات متتالية من البقايا اليونانية والرومانية الى عمق يصل الى عدة أقدام .

ولذا يذكر لنا السير « فلنדרز بتري » أن مجساته عندما كان يقوم بالتنقيب في « تانيس » كانت تنفذ الى عمق تسعة أمتار في طبقات يونانية ورومانية دون أن تصل الى مستويات عصر الرعامسة أو الهكسوس التي يبحث عنها .

وهناك مناطق أخرى غاصت تدريجيا في طمي النيل الذي يتراكم باستمرار والذي كون الدلتا ولا يزال يحدد معالمها . والعمل في هذه المناطق الغنية الشاقة والكثيرة الرطوبة في نفس الوقت صعب وكثير التكاليف . وأخيرا فإن الدلتا لا تقدم آثارا مكشوفة فوق مستوى الأرض مثل الآثار المعروفة في مصر العليا .

فابهاء الأعمدة بالكرنك والأقصر كانت ظاهرة للعيان قبل أن تمتد ضربة جارف أو معول الى الردم الذي يكشف أساساتها . وإذا كان هناك مخلفات لا تزال قائمة فوق مستوى الأرض في الدلتا فانهي تكون مغمورة تحت أكوام من الرديم تجعل تخليصها أمرا صعبا يحتاج الى الكثير من النفقات والعمل المتواصل .

وحتى تلك المناطق التي اكتشفت كليا أو جزئيا ، وأسفرت عن نتائج هامة للأثرى فانهي لا تبعث في الزائر العادي الا القليل من الاهتمام والتأثر ، فبقايا مدينة قديمة وعظيمة مثل « تانيس » قد تكون على اجانب كبير من الأهمية من الناحيتين التاريخية والأثرية ، ولكنها ليس فيها ما يجذب الأنظار .

ويعبر عنها « بيدكر » بجملة واحدة : كوم مختلط من الخرائب (تماثيل وقطع منحوتة ومسلات في أوضاع غير منتظمة) . ولا يستطيع غير خيال مؤرخ صبور مجرب أن يعيد تصوير الأنجاد القديمة لاحدى تلك العواصم المصرية العظيمة كما كانت في عصرها الزاهر .

ومع ذلك فبدون معرفة الدور الذى لعبته الدلتا فى تاريخ مصر القديم تكون نظرتنا الى ماضى مصر ناقصة . وسواء أكانت مناطق الدلتا ميسرة الزيارة أم غير ميسرة (أصبحت معظمها سهلة الوصول بعد استخدام سيارات التاكسى) فمن الضرورى أن نذكر ما تجب رؤيته فيها كبرهان على الماضى العظيم لهذه المراكز القديمة للحكم المصرى .

الاسكندرية

أسسها الاسكندر الأكبر سنة ٣٣١ ق.م ، فهى لا تدخل فى النطاق التاريخى الذى يهمنا ، وليس بها غير القليل مما تقدمه من آثار مصرية أصيلة .

حقيقة ان العنصر الأساسى فى سكان المدينة الكبرى كان دائما يونانيا على الرغم من أنه كانت هناك طبقة مصرية كبيرة منذ البدء ، كما كانت هناك فى عصر متأخر جالية يهودية كبيرة مشاكسة كثيرة الشغب .

وعلى ذلك فان الآثار الهامة - من وجهة عالم الآثار المصرية - حديثة للأسف الشديد ، والآثار الوحيدة التى تدخل فى نطاق العصر الذى نبحث فيه هى تلك البقايا التى كشف عنها « م. جوندت » فى سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ والتى يعتبرها انشاءات ميناء .

وهذه كشف عنها « جوندت » فى أثناء حفائره فى الجانب الغربى لجزيرة فاروس (١) ، وتشغل مساحة كبيرة تمتد الى كيلو مترين طولاً . وقد ظهر بعض الاهتمام بالنسبة لهذا الميناء المزعوم بعد أن ادعى أثرى فرنسى أنه من عصر ما قبل الأسرات ومن عمل مهندسين ايجيين ، وأنشئ لغرض التجارة المنوية (٢) مع مصر .

وهذه النظرية أخذ بها السير « آرثر ايفانز » فى كتابه « قصر مينوس »

-
- (١) هى الجزيرة التى كانت تقوم فوقها منارة الاسكندرية (احدى عجائب الدنيا السبع) وهى التى استعملت فيما بعد كجامع لقائىباى .
- (٢) الكريتيية .

الجزء الأول ، ولكنها لم تلق قبولا . والفكرة العامة حاليا هي أنه إذا كانت الانشاءات هي انشاءات خاصة بميناء قديمة ، فانها من عصر بطلمي ، وهي على ذلك تالية لانشاء الاسكندرية اليونانية . وعلى كل فهي ليست ذات أهمية الا للأثرى على الرغم من أنها قد تكون أقدم مخلفات هذا المكان .

وفي كوم الشقافة الى الجانب الجنوبي الغربى من المدينة ، وعلى مسافة ليست بعيدة عما يسمى « عمود بومبى » يوجد على المنحدر الجنوبي للتسل - الذى يستغل حاليا كمحجر - الكاتاكوم (١) الكبير المنحوت فى الصخر الذى أصبح منذ كشفه فى سنة ١٩٠٠ أحد معالم الاسكندرية الرئيسية .

وهذا المدفن البديع الذى يرجع أنه من القرن الثانى الميلادى لا يدخل فى نطاق بحثنا ، ولكنه فى ذاته يستحق الذكر ويعتبر مثلاً واضحاً لامتزاج الأسلوبين الرومانى والمصرى ، وهذا ما يجعله جديراً بلفتة قصيرة .

والدخول الى « الكاتاكوم » يكون عن طريق درج دائرى يحيط بمنور (« ١ » فى التخطيط) وتوجد قرب أعلى الدرج حجرة دفن (« ٢ » فى التخطيط) من عصر أحدث من باقى الكاتاكوم . ويقع على جانبى دهليز المدخل الممتد أسفل الدرج (« ٣ » فى التخطيط) دخلتان شبه مستديرتين بكل منهما مقعد .

وإنصل من المجر الى غرفة مستديرة (« ٤ » فى التخطيط) ذات قبة فوق بشر ، تفضى الى الطوابق السفلى (تحت الماء) ، ويؤدى الدهليز المحيط بهذه الغرفة المستديرة الى حجرتين صغيرتين الى اليمين (« ٦ ، ٥ » فى التخطيط) تضمنان دخلات وتوابيت ورفوفا لتوضع جثث الموتى عليهما .

وتوجد فى الجانب الأيسر للدهليز حجرة كبيرة اقيم سقفها على أربعة أعمدة تعطى شكل حذوة حصان . وكانت هذه الحجرة مخصصة دون شك لراحة أقارب المتوفين الذين يحضرون فى مواسم منتظمة (« ٧ » فى التخطيط) .

(١) كلمة لاتينية الأصل يقصد بها مكان للدفن فى باطن الأرض .

وننزل من هذه الغرفة المستديرة بواسطة درج («٨» في التخطيط)
الذى ينقسم فى أسفله الى شعبتين ، فنصل الى بهو («٩» فى التخطيط)
يؤدى الى حجرة الدفن الرئيسية فى الكاتاكوم («١٠» فى التخطيط) .

ويزين مدخل البهو عمودان من طراز مصرى متأخر تعلوهما تيجان
زهية . ويحمل السقف الموجود فوقهما قرص الشمس المجنح وصقرين .
ويوجد شريط مسنن يفصل هذا عن العقد المسطح الذى يكون الافريز . ويقع
على جانبى البهو دخلتان على شكل بوابة معبد فرعوى تضم كل منهما
تمثالا من الحجر الجيرى .

ويمثل التمثال الواقع الى اليمين رجلا ، فى حين يمثل التمثال الواقع
الى اليسار سيدة ، وكلاهما فى ثياب مصرية . والباب الموصل من البهو الى
حجرة الدفن يتوجه القوس المجنح وأفريز مزين بالحيات .

وتضم حجرة الدفن («١١» فى التخطيط) ثلاث دخلات بها توابيت
منحوتة فى الصخر الصلب ، ومحللة بالفستون (١) العادى وجماجم الثيران
وجوه المدوسا (٢) على الطراز اليونانى الرومانى . وتطى جدران الدخلات
مناظر كثيرة تمثل آلهة مصرية وكهنة وملوكا يقدمون التضحيات .

ويقدم هذا كله خليطا عجيبا من الذوقين المصرى واليونانى فى الزخرفة ،
ويحيط دهلين عريض بثلاثة جوانب من هذه الحجرة ، يمكن الوصول اليه
من الممر الواقع أمام البهو . وبهذا الدهليز العريض دخلات يمكن لكل
منها أن تضم ثلاث جثث .

ويوجد ٩١ من هذه المقابر التى على شكل رفوف ، ولا تزال أسماء بعض
أصحابها وأعمارهم المنقوشة باللون الأحمر واضحة . وقد فتحت فى وسط
الجدار الخلفى للدهلين حجرة دفن أخرى تضم ثلاث دخلات للدفن (١٢) .

(١) حبال زينة من أزهار وعقود .

(٢) وجوه خرافية وردت بالأساطير الاغريقية .

ومن الزاوية البحرية الغربية يمكن الدخول الى أربع حجرات أخرى من عصر أحدث (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) بها أيضا مقابر على شكل رفوف وكوات .

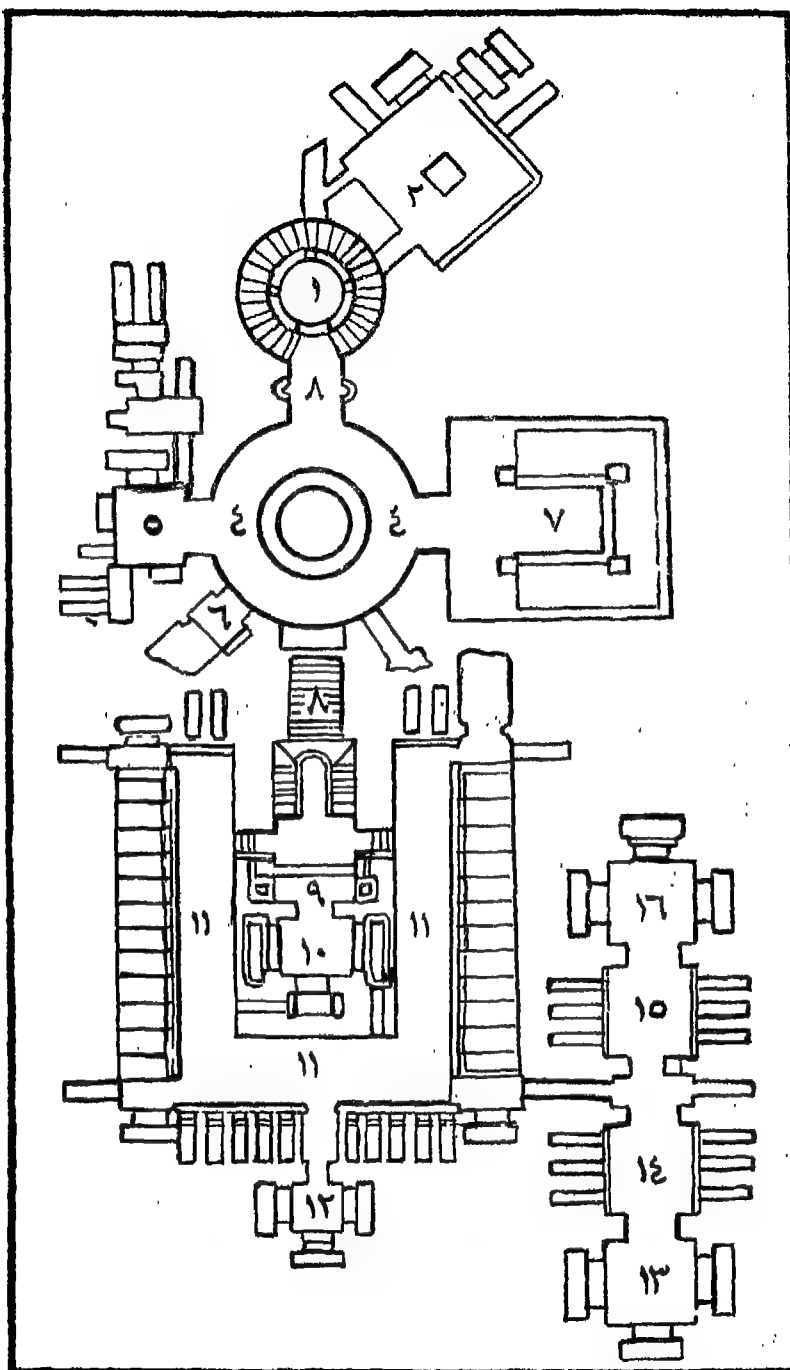
وعلى العموم فإن « الكاتاكوم » جدير بالاعتبار ، وإذا لم يمكننا أن نعهده نموذجا جذابا للذوق في مصر اليونانية الرومانية والاختلاط الزائد للتأثيرات المصرية الوطنية والكلاسيكية التي لا تعد جميلة في ذاتها ، فانه مع ذلك ذو أهمية كبيرة .

وقد اعتبر السير « ولاس بدج » الكاتاكوم مقبرة لرئيس عائلة كبيرة قوية ، وقد دفن أعضاء العائلة الأقل أهمية حول حجرة الدفن المتوسطة المخصصة لرئيس العائلة وأقربائه المقربين ، - وهو أكثر احتمالا - أنها كانت مكانا لدفن أفراد إحدى الجماعات الدينية في ذلك الوقت ، وقد خصص مكان الشرف المتوسط لمؤسس هذه الجماعة وعائلته ، ولكن لا يعرف شيء على وجه اليقين ، فكل هذا من قبيل التخمين .

والأثر الآخر المميز لمدينة الاسكندرية ، وهو عمود بومبي ، يخرج عن نطاق بحثنا ، إذ أنه لم يقم قبل القرن الرابع الميلادي . وهو بناء على ذلك ليست له أية صلة ببومبي . وهناك احتمال بأنه قد نقل من المعبد السكندري لسرابيس (أوزوريس - أبيس) ولكنه احتمال مشكوك فيه .

ومن الأماكن الجديرة بالزيارة ، المتحف اليوناني الروماني وخاصة لما يضمه من مجموعة القطع الصغيرة التي توضح اختلاط العادات الدينية والجنازية بالاسكندرية ذات المركز العالمي في العصر البطلمي والأيام الأولى من الحكم الروماني .

وكان يوجد في الأصل بجوار محطة سكة حديد الرمل مسيلتان من الجرانيت احدهما الآن على جسر نهر التايمز والأخرى في حديقة سنترال بارك بنيويورك . ومع أن المسيلتان تعرفان باسم مسلتي كليوباترا ، فانهما أقيمتا ونقشتا بمعرفة تحتمس الثالث في هليوبوليس .



(شكل رقم ٤)

تخطيط « كاتاكوم كوم الشقافة »

(تشير الأرقام - الى الوصف الوارد بالكتاب)

وقد اُضيف رمسيس الثانى (كعادته) أسماءه وألقابه الى عمل رجل يفوقه في العظمة . ونقلت المسلتان من عين شمس وأقيمتا أمام السيزاريون (١) بالاسكندرية عام ١٣ - ١٢ قبل الميلاد .

وقد سقطت إحدى هاتين المسلتين على أثر زلزال سنة ١٣٠١ ميلادية ، وهى المسلة التى أهداها محمد على لبريطانيا في أوائل القرن التاسع عشر . ولم يكن الاهتمام بالهدية كبيرا بدليل أن المسلة تركت في نفس مكان سقوطها حتى عام ١٨٧٧ عندما نقلها الى لندن المهندس « جون واينمان دكسون » على نفقة السير « أرازمس ولسن » .

أما المسلة الشقيقة فقد نقلها الى نيويورك الضابط « هـ. هـ. جورنج » من رجال بحرية الولايات المتحدة بعد ثلاث سنوات من نقل الأولى .

وقد أمال « إيرل كافان » قائد القوات البريطانية في مصر سنة ١٨٠١ - ١٨٠٢ الكتلة العليا من قاعدة المسلة الساقطة على جانبها حتى يحفر نقشها يصف انتصارات الحملة على لوحة من الرخام أو النحاس الأصفر (المراجع تختلف في وصف مادتها) وأدخلت أسفل الكتلة لدوام حفظها . وللأسف اختفت كل من القاعدة واللوحة ، ولا شك أنهما قد وقعتا في أيدي البنائين السكندريين .

ويبدو حاليا أن موجة الجنون في نقل الآثار البارزة الدالة على العظمة التليدية من مصر قد وقعت ، ولكن يجب أن نذكر ، في خجل ، أن مصر صاحبة المسلات لا تملك الآن غير خمس منها ، أحداها صغيرة للغاية ، بينما تملك روما وحدها تسع مسلات ارتفاع كل منها يزيد على ستة أمتار .

وقد ثبت بهذه المسلات إعلاء للعقيدة المسيحية ، عندما شوهدت بوضع رموز الصليب على قممها . وتملك كل من لندن ونيويورك وباريس واستامبول

(١) هو المبد الذى أقامته كليوباتره تمجيدها لابنها سيزاريوس بن يوليوس قيصر .

أحدى النماذج الكبيرة لهذه الآثار المأخوذة من الوطن الذى أقيمت فيه، هذا فضلا عن وجود بعض المسلات الصغيرة ضمن مجموعات شخصية أو فى المتاحف .

وقد نكون مغالين فى الأمل إذا قدرنا أنه من قبيل المجاملة أو بسبب عدم إمكان المحافظة على آثار الماضى فى ظروف مغايرة تؤدى الى زوال ما عليها من نقوش بسرعة ، سوف يعجل فى إعادة أى من هذه المسلات الى الأماكن الأصلية التى أقيمت فيها ، ولكننا على الأقل يجب أن نقر بالنسب على ما أصاب مصر من ضرر بسبب نقلها .

وتقع على الشاطئ الى الجنوب الغربى من الاسكندرية ، وعلى مسافة خمسة أميال من « محطة بهيج » على خط مريوط مدينة أبو صير « تابوزيوس ماجنا » القديمة . والآثر الوحيد الهام فى هذه المدينة القديمة هو المعبد الذى يرجح أنه كان فى الأصل مخصصا لأوزوريس .

والصرح ويقايا جدران المعبد المبنية بالحجر الجسىرى ظاهرة ، ويمكن الصعود الى برجى الصرح بواسطة سلم قديم مهمل ، والمنظر من أعلى جميل . ولا بد أن المعبد كان على جانب كبير من الأهمية ، إذ يبلغ طوله حوالى ٩٠ مترا ، ولكن لم يبق منه الآن غير القليل مما يلفت النظر ، ولم يحفظ لنا شئ عن تاريخ بنائه .

ويكفى ما ذكر عن المخلفات القليلة من آثار مصر القديمة الموجودة فى الاسكندرية وما حولها (٦) . وفى حديثنا عن الأماكن الأخرى القديمة بالدلتا يخيلى أن أبسط طريقة لتناولها أن نبدا أولا بالأماكن القريبة من المحطات الواقعة على الخطين اللذين يوصلان الى القاهرة .

(١) هناك آثار أخرى بالاسكندرية جديرة بالمشاهدة نذكر منها مقابر الشاطبى ومصطفى باشا التى ترجع الى العصر اليونانى الرومانى ، وقلة قايتباى وجامع أبى العباس ويرجعان الى العصر الإسلامى . كذلك يجب أن يشاهد أى زائر للاسكندرية القصور الملكية التى شيدت فى العصر الحديث كقصر رأس التين والمنتزه .

ونبدأ أولاً بالأماكن التى تقع على خط الاسكندرية - القاهرة او بالقرب منه ، والذي يمر بدمنهوور وكفر الزيات وطنطا حتى يصل الى بنها حيث يلتقى بالخط الآتى من بورسعيد والاسماعيلية ، الذى يصل الى بنها بعد مروره على وادى الطميلات والتل الكبير والزقازيق . وسوف نصف باختصار المناطق التى يصعب الوصول اليها ، اذ أنه لا يحتمل أن يتحمل مشقة وتكاليف السفر اليها الا ائرى متحمس .

وهنا يجدر بنا أن نكرر التحذير الذى سبق تقديمه فيما يختص بأماكن الدلتا الأثرية ، وهو أنه على الرغم من أهمية معظمها تاريخياً ، فانها لا تمدنا بمعالم جذابة ولافتة للنظر ، وليس بها غير القليل مما يجذب اهتمام المسافر، اذ قورنت بالأماكن الأثرية الهامة فى مصر الوسطى والعليا .

الأماكن الأثرية الهامة فى الدلتا بين الاسكندرية والقاهرة

على مسافة ٣٨ ميلاً من الاسكندرية تقع مدينة دمنهور ، وهى الآن مركز هام لزراعة القطن وعاصمة لمحافظة البحيرة . وترجع أهميتها الأثرية الى وجود المدينة القديمة التى أسماها الرومان « هرموبوليس بارفا » الى جوارها ، والتي يرجع أصلها الى مطلع فجر التاريخ المصرى تحت اسم « دمي ان حور » (مدينة حورس) ، وقبل ذلك « بحدت » التى كانت أيضاً مدينة الاله الصقر حورس (١) .

وفي أوائل عصر ما قبل الأسرات كانت « بحدت » عاصمة للوجه البحرى، كما كانت « أمبوس » عاصمة للوجه القبلى . وباتحاد المملكتين عرف حورس بحدتى (٢) كاله ملكى وأصبح حامى الفراعنة . وقد ظل طوال تاريخ مصر

(١) تدل آخر الأبحاث على أن بقايا مدينة هرموبوليس بارفا تقع فى التل المعروف بتل البقلية بين المنصورة والسنبلاوين . أما « بحدت » فتقع فى تل البلامون بجوار شربين .

(٢) أى حورس المنتسب الى مدينة (بحدت) .

الاله الحامى على شكل القرص المجنح .

وعلى الرغم من أنه يقتزن فى شكله بمدينة أدفو بمصر العليا فإن ارتباطه فى الأصل كان مع المدينة القديمة بالدلتا . وكل ما بقى ليحدث هو ذكرى ماض قديم غير مؤكدة ، أما دمنهور ، فليس بها ما تبديه من بقايا العالم القديم بين معالمها الحديثة المزدهمة (١) .

ويمتد من دمنهور خط سكة حديد فرعى ينقل الباحث المتحمس للأماكن الأصلية الخاصة بالملكية المصرية الى دسوق (١٣ ميلا) . وعلى مسافة سبعة أميال ونصف شمال شرقي دسوق تقع آثار تل الفراعين التى تضم بقايا « بوتو » ، تلك المدينة القديمة التى خلفت « بحدت » كعاصمة للوجه البحرى تحت حكم ملوك النحلة أو الدبور .

وكما أن « بحدت » قد وهبت « حورس » المجنح الى الشعارات المصرية فإن « بوتو » قد وهبتها الالهة « الحية أوتو » ، وأصبحت الكوبرا تلمع فوق جبهة كل فرعون مصرى .

وفى بعض الأحيان مع رخم مدينة « نخب » بالوجه القبلى (كما نرى على قناع توت عنخ آمون الذهبى وعلى توابيته) ولكن فى معظم الأحوال نجدها بمفردها . وهكذا ، على الانسان أن يرضى نفسه بتخيل الأمجاد الماضية ، اذ لا يوجد شيء ظاهر من المدينة القديمة سوى أكوام متماسكة من الأنقاض .

وعلى بعد أربعة أميال غرب السكة الحديد ، وعلى مسافة تقرب من عشرة أميال من دمنهور تقع قرية « النبيرة » التى تقوم الى جوار الفرع الكانوبى القديم للنيل . وعلى مقربة منها توجد الأكوام التى تغطى موقع المدينة الاغريقية الشهيرة « نقراطيس » .

(١) بمتحف القاهرة مجموعة مكونة من ثلاث دعوس ربما كانت جزءا من قواعد للتماثيل ، اذ أنها كانت تثبت فى الجدران ، وقد وجدت فى دمنهور .

- ٤٦ -

وتبعاً لما ذكره « هيرودوت » فان « نقراطيس » قد أسسها الملك أحمس الثاني (الأسرة ٢٦) لتكون موطناً خاصاً للاغريق بمصر . وكما يقول هيرودوت ، منح أحمس امتيازات كبيرة للمستعمرة .

من ذلك أنه منع دخول تجارة الاغريق في أى ميناء آخر في الدلتا ، وإذا ما وصل رجل الى مصب آخر للنيل كان عليه أن يقسم أنه « حضر الى هناك ضد رغبته » ، وبعد أن يقسم هذا القسم عليه أن يبحر في نفس المركب الى المصب الكانوبى .

وإذا حدث أن منعه الرياح المضادة من اتمام ذلك فانه يرغب على أن يفرغ حمولته ويحملها على صنادل حول الدلتا حتى يصل الى « نقراطيس » . هكنا كانت عظمة الامتيازات التي اختصت بها نقراطيس (هيرودوت - جزء ٢ - ١٧٩) .

وهذا الموقع - لمدينة من أهم المدن القديمة حيث اختلطت العبقريّة الاغريقية المتعشّة بحضارة أكثر تقدماً وعمقا ، وهى الحضارة التي كان الاغريق ينظرون اليها نظرة عالية ، والتي نقلها هيرودوت الى العالم الكلاسيكى في أسلوب جذاب - قد تعرف عليه وكشف جزءا منه السير « فلنדרز بترى » عام ١٨٨٥ .

وقد أضافت كشوف تالية الى معلوماتنا عن المدينة الاغريقية من بعض الوجوه ، وعدلت انطباعات المكتشفين الأوائل من وجوه أخرى ، ولكن كتاب « بترى » (نقراطيس ، جزءان) كشف تماما عن سر « نقراطيس » .

وقد أظهرت الحفائر أن « هيرودوت » قد اخطأ بعض الشيء باسناد أول اقامة للاغريق في « نقراطيس » الى « أحمس » إذ دلت الشواهد على ان انشاء المستعمرة الاغريقية يرجع الى « ابسماتيك » الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين .

ويدين « ابسماتيك » الى معاونة الجنود المرتزقة الأيونيين والكارينيين في

جلوسه على العرش . ويعرف هؤلاء الجنود المرتزقة باسم : الرجال البرونزيين القادمين من البحر ، والذين تنبىء الوحى بمجيئهم ، وقد أسكنهم إيسماتيك فى القاعدتين الحربيتين : نقراتيس على الجانب الغربى للدلتا ، ودقنه « تحفنجيس » على الجانب الشرقى منها .

ويبدو أن عمل « أحمس » الذى يشير اليه « هيرودوت » كان يهدف الى حصر التجارة الاغريقية فى مصر فى مركز واحد ، مثلما كانت التجارة الأوربية مع الصين محصورة فى موانئ حددتها المعاهدات .

وفى الحقيقة فلمس تشابها كبيرا بين علاقات الدولة الاغريقية الناشئة بامبراطورية مصر الآخذة فى الاضمحلال وبين العلاقات الأوربية بالصين . غير أن « إيسماتيك » و « أحمس » كانا فى زمانهما أكثر تعقلا من الاباطرة الصينيين فى أيامهم .

وفى الوقت الحاضر ، نجد أن « نقراتيس » كثير من مناطق الدلتا الأخرى ، ليس بها ما يلفت نظر الزائر ، وقد عبر سير « ولاس بدج » عن ذلك بقوله : انها خرائب لا تستحق ضياع وقت المسافر ، حيث انها تبعد أربعة أميال عن السكة الحديد (١) .

ومع ذلك فمن الممكن إثارة الخيال عن ذلك الموقع ، الذى اتصل فيه الاغريق بمصر اتصالا فعليا لأول مرة . وإن الانسان ليزداد وطنية عندما يقف فوق سهل « ماراثون » ويزداد تقوى عندما يجول بين خرائب أيونا ، ومع ذلك فإن « نقراتيس » كانت مكان التقاء بين العالم الجديد والعالم القديم أقدم من « ماراثون » وأسعد حظا .

(١) توجد آثار عديدة بمتحف القاهرة من مدينة نقراتيس منها لوح من الجرانيت الأسود عليه نقوش دقيقة من عهد « نقتانبو » الأول مؤسس الأسرة الثلاثين وتمثيل وعملة من العهد اليونانى الرومانى .

. وإذا كانت المشقة في زيارة « نقراتيس » كبيرة جدا ، وإذا كانت قراءة تقارير المنقبين جد ثقيلة ، فإن الزائر لمصر يجب ألا يغفل على الأقل قراءة الفصل الممتع في كتاب « عشرة أعوام من الحفر في مصر » وفيه يذكر « فلندرز بترى » قصة مغامراته واكتشافاته في كوم النيرة .

وتقع محطة كفر الزيات على مسافة ٦٤ ميلا من الاسكندرية ، ومنها يمكن الوصول بطريق النهر الى تلال « صا الحجر » حيث يقع الموقع القديم لمدينة « سايس » على بعد نصف ساعة في شمال الغربية .

ويمكن الوصول أيضا الى « صا الحجر » بالخط الحديدى الفرعى الذى يبدأ من طنطا ويمتد على مسافة ١٢ ميلا من الخط الرئيسى . وفي « سايس » نلتقى أيضا بأحدى المناطق ذات البقايا الموهلة في القدم في التاريخ المصرى .

وكانت « سايس » دون شك عاصمة مصر أيام الأسرة السادسة والعشرين الصاوية . وأهميتها الكبيرة في العصر الكلاسيكى ترجع الى هذه الحقيقة . ولقد أخبر كاهن من « سايس » يحمل لقب مسجل خزانة أثينا « نيت » هيرودوت بقصة عجيبة عن منابع النيل .

تلك القصة التى جعلت مسافرا واعيا مثل ذلك الهاليكرناسى (١) يشك في أن المصرى كان يسخر منه . ويقول « هيرودوت » في نغمة حزينة : « يظهر أنه كان يغيب بى » (الجزء الثانى - ٢٨) .

وأخبر كاهن من « سايس » أيضا « صولون » قصة قارة الأتلنتس المفقودة ، تلك القصة التى استبقاها أفلاطون لتسلية وإثارة كثير من الناس في وقتنا الحالى . وعلى العموم فقد كبرت « سايس » عاصمة الأسرة السادسة والعشرين وعظمت في أعين زوارها من الاغريق الأقدمين .

(١) ينتسب هيرودوت الى بلدة هاليكرناسوس الاغريقية بآسيا الصغرى .

ولقد كان لسايس تاريخ عظيم زاهر قبل أن تظهر بلاد اليونان . وكانت
التهتها العظيمة « نيت » تمثل في الأساطير المصرية القديمة « تنسج الدنيا كما
ينسج النساج قطعة من القماش » ، وكانت تسمى « الأم التى ولدت
الشمس » ، وهى لذلك أقدم من إله الشمس « رع » .
وكانت « نيت » إلهة حرب كما كانت إلهة نسج ، وكان يرمز إليها بدرع
وسهمين متقاطعين ، بينما كانت هى نفسها تمثل مرتدية تاج الوجه البحرى
الأحمر (الإلهة المصرية الوحيدة التى كانت تمجد مثل هذا التمجيد)
وممسكة بالقوس والسهم .

وتدل أكوام « سايس » على أن العاصمة كانت مدينة كبيرة بلا شك ،
وكانت مقامة فوق تل صناعى ليقىها خطر فيضان النهر ، مثلها مثل مدن
« سومر » و « آكاد » . ويقال أن أسوارها كانت تبلغ ثلاثين مترا ارتفاعا
وعشرين مترا سمكا .

وقد وصف « هيرودوت » معبد « نيت » وصفا مبهما ، وأشار إلى
تمثيلية غامضة لتمجيد الإلهة « نيت » كانت تمثل هناك ، وهى تمثيلية يحتمل
أنها كانت من نوع ليس بغريب فى مصر القديمة ، وتقترن غالبا بحياة وموت
« أوزوريس » ومن الطبيعى أن تقترن « نيت » بأوزوريس فى تلك التمثيلية
العاطفية ، إذ كانت « نيت » تمثل غالبا بايزيس فى « سايس » .

ولقد كانت تعليقات « هيرودوت » للأسف غير واضحة ، وعن عمد . فهو
يشير إلى « مقبرة فرد - أوزوريس - من الكفر أن اذكر اسمه » ، ثم يقول
فى هذه البحيرة (البحيرة المقدسة لمعبد نيت) كانوا يقومون بتمثيل مغامرات
هذا الشخص التى يعتبرونها سرية .

وفى هذه المواضع يجب أن أكون حريصا فى كلامى رغم المامى الكامل
بتفاصيلها . وإن المرء ليتمنى لو أن « هيرودوت » - الذى كان يستطرد فى
موضوعات أقل أهمية - كان طلق اللسان فى موضوع تمثيلية أوزوريس
العاطفية ، إذ أن وصفا لها بقلمه المملوء حيوية لابد أن يكون ذا قيمة كبيرة .
(م ٤ الآثار ج ١)

وكل ما يقدمه لنا عن احتفال « سايس » عبارة عن صورة لسايس تنيرها مسارج لا تحصى ، تضاء بالزيت والملح في ليلة « اضاءة المسارج » وقد ولت عظمة تلك العاصمة الصاوية القديمة الآن ، فلم يذكرها « بيدكر » بأكثر من ثلاثة أسطر « خرائب سايس القليلة الأهمية ، مقر إسماتيك الأول وملوك الأسرة السادسة والعشرين ، ومركز عبادة الالهة نيت » .

وفي بنها - على مسافة ١٠١ ميل من الاسكندرية - نكون على بعد ميل واحد مما أسماه بيدكر « الخرائب القليلة الأهمية لمدينة أثرييس (اتريب) القديمة » . وعلى كل حال فاثرييس (يجب عدم الخلط بينها وبين المدينة المسماة باسمها في مصر العليا) كانت في زمنها مدينة هامة ، وكان اسمها القديم « حت - حر - ايب » بمعنى « القلعة التي في الوسط » لوقوعها بين فرعى النيل الكبيرين (١) .

وعند بنها يلتقى الخط الرئيسى الآخر القادم الى القاهرة من بور سعيد والاسماعيلية عن طريق وادى طميلات وبو بسطة بالخط القادم من الاسكندرية . وعلى مسافة ثمانية أميال تبدأ الحافة الجبلية لوادى النيل في الظهور . وعلى مسافة اثني عشر ميلا أخرى تبدو الأهرام الى الجنوب الغربى في غموض . وليس هناك شئ آخر له أهمية أثرية في المسافة بيننا وبين القاهرة ، فقلينا أن نولى وجوهنا الآن شطر شرق الدلتا وطريق الاسماعيلية لدراسة المواقع القديمة بتلك المنطقة .

(١) بينما كان بعض الفلاحين يعملون في السنوات الأخيرة في أحد الحقول القريبة من التل الأثرى عشروا على تابوت حجرى مدون عليه اسم الملكة تاخوتى إحدى ملكات الأسرة السادسة والعشرين ، وقد عثر بداخله على المومياء وعليها مجموعة رائعة من الحلى الذهبية بينها قناع وعصابة للرأس .

وفي سنة ١٩٥٥ كشف عن مقبرة مبنية بالحجر الجيرى على مسافة ٢٥٠ مترا تقريبا من مقبرة الملكة تاخوتى . وقد عثر بداخل المقبرة على تابوت ضخم من الحجر الجيرى به أوان كانوبية من المرمر ومجموعة من التماثيل الصغيرة والتماثيل والقرايين ، والمقبرة لسيدة تدعى « نادى باستت » من العصر المتأخر .

الفصل الثاني

بور سعيد والاسماعيلية حتى القاهرة

لا يبدأ اهتمامنا بالطريق الى القاهرة عبر شرق الدلتا الا بعد أن نفاذنا الاسماعيلية . وهو طريق يتصل اتصالا كبيرا بما جاء في التوراة فيما يختص بخروج العبرانيين والطريق الذى اتبعوه ، أكثر من اتصاله بعلم الآثار المصرية الصميم .

ذلك لأن طريق السكة الحديد يمر فى وادى طميلات الذى يعده الكثيرون الامتداد الشرقى لأرض الغموض — أرض جوشن مقر العبرانيين فى مصر ، طبقا لنص التوراة — ولا يوجد أى ذكر لجوشن فى أى نقش مصرى ، اما مطابقة « بروكش » لها بالمدينة والاقليم المعروف لدى المصريين باسم « بر سوبد » . (صفت الحنة الحالية) فأمر غير مؤكد .

ومع ذلك فان الاحتمال كبير بأن أرض جوشن كانت جزءا من شرق الدلتا بما فيها وادى طميلات ، على الرغم من أننا نجهل امتدادها وحدودها .

ومن هذه الوجهة ، نشأت أهمية هذا الجزء من شرق الدلتا على الرغم من أن الموضوعات المتعلقة بتفسير تفاصيل قصة التوراة الخاصة باضطهاد وخروج العبرانيين لم تتقرر بعد ، كما سنرى فيما يلى ، وظلت كما هى منذ أربعين عاما ، كما أن الكثير من تأكيدات الثقات فيما يتعلق بمطابقة الأماكن التى وردت بالتوراة لا تزال تناقش حاليا وقد تقبل أو لا تقبل .

وسرعان ما تبدو هذه الحقيقة جلية عندما نصل الى « المحاسنة » على مسافة ١٦ ميلا من الاسماعيلية ، إذ نجد أنفسنا بالقرب من اطلال مدينة مصرية كشفت بها نقوش ترجع الى عهد الأسرة السادسة أى الى تاريخ أقدم من تاريخ إقامة العبرانيين .

وقد بدأ الدكتور « إدوارد نافيل » عام ١٨٨٣ أعمال التنقيب بمنطقة تل المسخوطة - كما تسمى حالياً - لحساب « جمعية الحفائر المصرية » وسرعان ما كشف عن نقوش ظهر أنها تشير الى المكان الذى كان يعرف قديماً باسم « بر آتوم » أى معبد الاله آتوم .

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نذكر أن « لبسيوس » قبل ذلك بعدة سنوات طابق « تل المسخوطة » بمدينة رمسيس التى ورد ذكرها فى التوراة : « قَبِنُوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس » (١) ، بسبب وجود نقش يضم اسم رمسيس الثانى على ظهر مجموعة التماثيل المصنوعة من قطعة واحدة من الجرانيت الأحمر ، والتى منها اشتق الاسم الحالى للمكان « تل المسخوطة »

وعلى ذلك فإن مطابقة « نافيل » الجديدة اعتبرت أولى مدن المخازن بدلا من الثانية ، ولكنها على كل حال احتفظت بعلاقتها بالتوراة وسرعان ما أدى نشاط أعمال التنقيب الى تقديم دليل أكثر اقناعا بأن « بيثوم » الحالية التى جاء ذكرها فى سفر الخروج قد وجدت ، إذ كشف الدكتور « نافيل » عن مجموعة من الحجرات المستطيلة خالية من الأبواب ، ويفصل كل منها عن الأخرى جدران سميكة من اللبن الخشن الصنعة .

وهذه الحجرات اعتبرها « نافيل » حجرات المخازن التى بناها العبرانيون لفرعون الاضطهاد ، وكانت الجيوب طبقا لطريقة المصريين القدماء تلقى من خلال فتحات فى السقف . ومثل هذا الكشف يبدو مقنعا ، وأضحى مطابقة « تل المسخوطة » بمدينة « بيثوم » التى جاء ذكرها فى سفر الخروج مقبولة بصفة عامة .

وقد عززت هذه النتيجة تلك الملاحظة التى لاحظها السيد « فيليز ستيوارت » عند زيارته للمنطقة فى أثناء الحفائر ، إذ قال : « لقد فحصت باهتمام ما يحيط بجدران الحجرات ولاحظت أن بعض الأركان قد بنيت من لبن خال من القش » . وهكذا تأيد ما جاء بالتوراة .

وتبعاً لذلك فإن « اللبن الخالى من القش » قد دخل فى مادة المحاضرات العامة وكتب الآثار المتصلة بالتوراة دون مناقشة، بل اننا لنجد كاتبة حريصة مثل « اميليا ادواردز » تؤيد الكشف تأييداً تاماً فى كتابها « الفراعنة والفلاحون والمكتشفون » .

والآن نجد امامنا حقيقة عجيبة وطريفة ، وهى أن لبن « بيثوم » من ثلاثة أصناف : ففى المداميك السفلى لجدران هذه المخازن نجد اللبن مختلطاً بالقش الهشيم ، وفى أعلاها عندما نقص القش نجد الطين مختلطاً بالبوص ، وأخيراً عندما ينفذ البوص نجد لبن المداميك العليا قاصراً على الطين النيلي دون استخدام أية مادة رابطة .

ولكن إذا كان فى خلو لبن « بيثوم » من القش ما يؤيد صحة ما جاء بسفر الخروج فى هذا الشأن ، فيجب علينا أن نذكر أنه كان من عادة المصريين أن يصنعوا اللبن دون استعمال القش ، إذ أن طمى النيل متماسك دون حاجة الى مادة رابطة .

وعلى ذلك فإن حالة « بيثوم » تدل على أن المصريين قد اتبعوا هنا طريقتهم المألوفة فى البناء . ولذا لا يمكن أن تستخلص استنتاجاً صحة أو عدم صحة ما جاء بالتوراة فى هذا الشأن ، فقد يكون ذلك صحيحاً ، ولكن الشواهد فى « تل المسخوطة » لا تثبت ذلك .

بل أهم من ذلك أن مطابقة « نافيل » للمكان عرضة الآن للنقاش ، فأبحاث « جاردنر » أدت به الى اعتبار الموقع المعروف باسم « تل الرطابة » على مسافة ثمانية أميال ونصف غربى « تل المسخوطة » هو « بيثوم » الأصلية .

ومن ناحية أخرى أعلن السير « فلندرز بترى » أن « تل الرطابة » هى مدينة رمسيس الأصلية التى جاء ذكرها فى سفر الخروج . وقد ناقش الأستاذ « بيت » الموضوع وذكر أن اسم المكان لم يعثر عليه بعد .

وازاء هذا الوضع نجد أن الشواهد التى أوردها « بترى » على الرغم من أنها غير حاسمة ، فانها تقدم قرينة قوية تؤيد مطابقته للمكان . وفى الوقت نفسه نجد أن موضوع « بيثوم » قد ترك معلقا فى الفضاء ، إذ اختلف العلماء بشدة حول معظم النقاط التى قررها « نافيل » منذ أربعين عاما .

وكل ما يمكن ذكره لتوضيح هذا الموضوع يتلخص فى أن مسألة إقامة اليهود فى مصر وخروجهم منها لا تزال موضع دراسة فى الوقت الحالى ، كما يجب أن ننظر بعين الشك لكافة الاستنتاجات .

وقد نوقش أيضا الرأى القائل بأن الحجرات التى كشف عنها دكتور « نافيل » كانت مخازن ، وصرف النظر عن هذا الرأى حاليا بصفة عامة ، فالجدران السميكة لهذه المخازن هى أساسيات لما كان فى وقت ما قلعة حصينة .

وقد ذكر « بيت » فى كتابه « مصر والعهد القديم » — ص ٨٦ ، ملاحظة ٢ — ما يلى : « كانت تلك القلاع المصرية التى ترجع الى عصور متأخرة تبنى على مصاطب ضخمة من اللبن تحوى حجرات مفرغة . وإن كل من فحص تخطيط « نافيل » لها لا يمكنه أن يشك فى حقيقة ما وجدته » .

وفى الوقت نفسه أسفرت اكتشافات « نافيل » عن أشياء هامة ومثيرة يرجع معظمها الى عصور تبدأ من الأسرة العشرين وتمتد حتى العصر البطلمي .

وعلى كل حال سواء أكان ذلك الموقع لمدينة « بيثوم » أو لغيرها ، فمن الواضح انه كان لمدينة على جانب من الأهمية على الرغم من انها لم تكن كبيرة المساحة ، كما أن بقاياها لا تقدم شيئا هاما للزائر .

ومثل هذا القول ينطبق على « تل الرطابة » الذى يقع ، كما سبق أن ذكرنا ، على ثمانية أميال ونصف غربى « تل المسخوطة » . وقد سبقت الإشارة الى موضوع مطابقة ذلك الموقع بمدينة رمسيس أو بيثوم ، وأنه يستحيل تأكيد أى شيء .

وقد وجد « بترى » فى أثناء تنقيباته فى عام ١٩٠٥ - ١٩٠٦ شواهد تدل على أن الموقع كان لمدينة ترجع أصلا الى أيام الدولة القديمة ، اذ عثر على ركام من المدينة القديمة يتراوح سمكه بين ٣ ونصف ، ٤ ونصف متر تحت بقايا الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . وقد شيد رمسيس الثانى معبدا هناك زينه بتمائيل مصنوعة من الجرانيت الأحمر والحجر الجيرى .

وقد اقترنت احدى الأساطير الغريبة خلال القرن الرابع الميلادى بأحد هذه التماثيل ، وهو تمثال مزدوج يمثل رمسيس والاله آتوم ، فقد ذهبت احدى الباحثات عام ٣٨٠ م الى الموقع ورأت التمثال ، وقيل لها انه يمثل موسى وهارون .

ومع أنه لا يمكن تخيل منسخ أكثر سخوية من هذا ، فان وجود مثل هذه الاسطورة فى مكان له اتصال بطريقة أو بأخرى بالعبرانيين ، قد يشير على الأقل الى أن موقع « تل الرطابة » لم يكن بعيدا عن الأحداث التى أفضت الى الخروج .

وربما كان أعجب اكتشافات « بترى » غير المتوقعة فى هذا الموقع هو أن أقدم أسوار المدينة قد أقيم فوق ضحية بشرية . والضحايا البشرية بهذه الكيفية لم تكن معروفة فى أى مكان آخر بمصر .

وعلى ذلك يمكن أن نستنتج فى سهولة أن السورين هم أول من أسس « تل الرطابة » وخاصة أن التضحية هنا كانت بطفل ، مما يربطها بتضحية الأطفال التى كشف عنها الأستاذ « ماكالمستر » فى فلسطين .

ومن أعجب مكتشفات « بترى » هنا تلك الآنية (السلطانية) الرائعة الشكل المصنوعة من الخزف الأزرق، إذ تحيط بها تسع عشرة ضفدعة فى حين تتسلق ضفادع أخرى عديدة الجوانب الداخلية للآنية مكونة حشدا ضخما عند فوهتها ، وتتوسط الآنية كذلك ضفدعة كبيرة هى بلا شك ملكة تلك الضفادع ، إذ تجلس متوجة على قاعدة .

وهذه الآنية فريدة في صناعة الخزف المصرى ، ونرجو ألا يكون وجودها في مكان يتصل بالخروج داعيا لأن يعلن أحد المتحمسين أنها دليل على صدق واقعة طاعون الضفادع (التوراة) .

والواقع أن الحذر في هذا الشأن ضرورى ، إذ يرجع تاريخ هذه الآنية الى الأسرة الثانية والعشرين أى في وقت كان العبرانيون قد استقروا فيه في فلسطين منذ زمن طويل .

والآن لمض قدما الى موقعين متتابعين ، قد تكون الذاكرة غافلة عنهما الآن ، ولكن أهميتهما لدى شعبنا كانت كبيرة في العشرين سنة الأخيرة من القرن الماضى : الموقع الأول هو « القصاصين » ، حيث انتصر « الجنرال جراهام » على فصيلة من جيش عرابى في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، والثانى وهو الأكثر شهرة ، هو « التل الكبير » حيث هزم « اللورد ولزلى » في ١٣ سبتمبر من نفس السنة جيش عرابى كله .

ويحدد كل من هذين الموقعين في الوقت الحاضر تاريخا يكاد يوازى في قسمه تاريخ الفراعنة ، ولكن هذه المعارك الحربية كانت بداية عصر تجديد مدهش لمصر ، هو ذلك التجديد الذى شاهده جيلنا . وتقع « الزقازيق » على بعد ٤٨ ميلا من الاسماعيلية حيث يتقاطع الخط الحديدى الرئيسى مع الخط الفرعى من القاهرة المار ببليبيس الى « فاقوس و الصالحية » .

وعلينا أن نتتبع في عودتنا ذلك الخط لنزور المواقع القديمة في « تانيس و نبيشة » ، اللتين يمكن الوصول اليهما من « فاقوس او الصالحية » . وفي نفس الوقت سوف نوجه اهتمامنا الى موقع هام بالقرب من الزقازيق ، وعلى بعد نصف ساعة تقريبا من خط السكة الحديد .

ذلك الموقع هو « تل بسطة » الذى يحدد موقع المدينة الشهيرة والقديمة « بوباستت » (بيت باستت) المكرسة للالهة المصرية الكبيرة « باستت » ، التى كانت تمثل على شكل لبؤة برأس قطه ، والتى كان رمزها المقدس هو القطه ، وكانت « باستت » تمثل حرارة الشمس اللطيفة والمفيدة ، على عكس الالهة « سخمت » التى تمثل حرارة الشمس القاسية والمخربة .



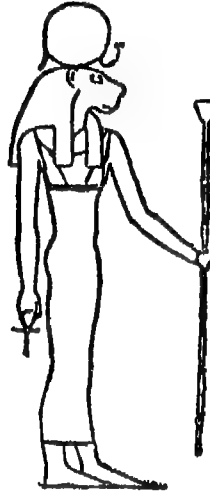
(شكل رقم ٥)

يمثل هذا الشكل الالهة باستت على هيئة لبؤة
برأس قطه ، وجد في منطقة تل بسطة
(متحف برلين)

ومدينة « برباستت » هي بلا شك « فيبستة » التي ذكرها النبي
حزقيال (الاصحاح ٣٠ ، الآيتان ١٧ ، ١٨) بقوله : « شبان أون (هليوبوليس)
وفيبستة يسقطون بالسيف ، وهما تذهبان (المدينتان) الى السبي ، ويظلم
النهار في « تحفنحيس » واسم المدينة اليوناني « بوباسطس » هو اسم أقرب
الى الاسم المصرى من معظم الأسماء التي أطلقها اليونان على المدن الأخرى .

وهذا الاسم اليوناني هو أشهر أسمائها . وكانت « بوباسطس » منذ
أقدم عصور التاريخ المصرى مدينة هامة ، ولكن كما هو الحال في كثير من مدن
الدلتا ، جاءت شهرتها الكبيرة في التاريخ القومى متأخرة ، عندما خصها ملوك
الأسرة الثانية والعشرين الليبيين بالرعاية ، وهم اللذين أضافوا الكثير
الى معبد باستت .

وفي العصر المتأخر بوجه خاص أصبحت عبادة « باستت » شعبية للغاية ، وقد جذبت الاحتفالات السنوية التي كانت تقام للالهة ذات رأس القطاة أفواجا كبيرة من سائر أنحاء مصر ، واستنادا لأحد التقارير احتفل ٧٠.٠٠٠ حاج بأحدى هذه المناسبات .



(شكل رقم ٦)
الالهة سخمت

وقد كان هيرودوت — وهو دائما في أوجه عند وصف ما هو مصرى — مبدعا عندما تناول « بوباسطس » (١) فقد ترك لنا وصفا حيا لكل من المدينة

(١) تعتبر مدينة بوباسطس من أهم المدن الصناعية القديمة التي كانت تهتم بصناعة وصياغة الذهب والمجوهرات وكانت المدينة تضم معبدا ضخما يتوسطها وتزينه مجموعة من التماثيل المنتشرة حول جوانبه ويحيط به سور منقوش بالرسوم ويقام فيه احتفالات سنوية . وفي حفائر عام ١٩٠٦ تم العثور على كنز أغلب قطعه موجودة بالمتحف المصرى وأشهرها اناء من الفضة مقبضه ذهب على شكل ماعز من عصر الملكة « نا اوسرت » ابنة رمسيس الثانى . كما توجد أجزاء من هذا الكنز فى متحف برلين وأجزاء أخرى فى متحف المتروبوليتان حيث يوجد مجموعة من أهمها اناء فضة مقبضه من الذهب على هيئة أسد ومجموعة من الصواني الجميلة .

ومعبدها واحتفالها السنوى . وهو يقول : « وعلى الرغم من أن المدن مصر كانت مقامة على ارتفاع كبير ، فاني أعتقد أن أكبر الكيمان كانت متناثرة في مدينة « بوباسطس » التي تضم معبد « بوباسطس » الجدير بالذكر .

ومع أن هناك معابد أخرى أكبر وافخم ، فانه لا يوجد معبد يسر المرء لرؤيته مثل ذلك المعبد . وبوباسطس تطابق في اللغة اليونانية ديانا (مقابلة غير سليمة) ، ويقع نطاق معبدها المقدس هكذا : كله ماعدا المدخل عبارة عن جزيرة ، اذ تمتد قناتان من النيل اليه ، وهما لا تتصلان بعضهما ببعض ، اذ تصل كل منهما الى مدخل المعبد ثم تندفع احدهما حوله من جانب ، والثانية من جانب آخر .

ويبلغ عرض كل من القناتين ثلاثين مترا ، وتظللهما الأشجار . ويبلغ ارتفاع الباكية ذات الأعمدة عشرة أوجيا ، وتزينها تماثيل لافتة للنظر ، يبلغ ارتفاعها ستة أذرع ، ويمكن لشخص يدور حول نطاق المعبد - الذي يتوسط المدينة - أن يراه من كل الجهات ، لأن المدينة قد ارتفعت كثيرا في حين لم يتغير مكان المعبد ، ولذا فهو واضح للعيان كما كان مبنيًا في الأصل .

ويحيط بنطاق المعبد سور منقوش بالرسوم ، وبداخله حديقة تضم أشجارا عالية وزعت حول معبد كبير به التمثال . ويبلغ طول نطاق المعبد وكذا عرضه أستاذًا واحداً (١) وعلى طول المدخل طريق مرصوف بالأحجار ، يبلغ حوالى ٣ أستاذ طولا .

ويؤدى الى ميدان في الجهة الشرقية . أما عرضه فيبلغ حوالى أربعة بلتوا ، وتنمو على جانبي الطريق أشجار ذات ارتفاع كبير ، وهو يوصل الى معبد هرميس (٢) ، وهكذا يكون موقع نطاق المعبد - (هيرودوت - الجزء الثانى - ١٣٨) .

(١) الأستاذ اغريقى يساوى ٢٠٢ ياردة .

(٢) أى الاله « تحوت » رسول العلم والمعرفة ومخترع الكتابة .

- ٦٠ -

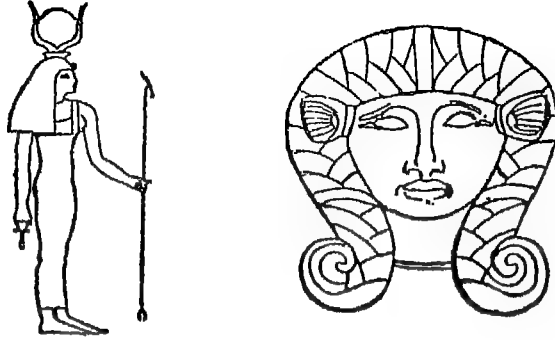
وقد يعاب على هيرودوت في مواضع كثيرة عدم تحرية الدقة ، ولكن هذا الوصف ، ولو انه غامض الى حد كبير في بعض النقاط التي كان عليه أن يوضحها لنا ، فانه يدل على أنه رأى حقيقة وبعين بصيرة المكان الذي وصفه ، وان وصفه الصادق لنطاق المعبد المنخفض المستوى لشديد الوضوح بوجه خاص .

وبوباسطس ، مثل غالبية المدن الشرقية ، وبخاصة ما كان منها مقاما على موقع طينى ، ترتفع على وديم ماضيها جيلا بعد جيل حتى تصبح أخيرا على ارتفاع بضعة أمتار فوق المستوى الذى أقيمت عليه أساسات المدينة الأصلية ، ولكن نطاق المعبد بمبانيه المقدسة لا يتعرض للتطورات التى غيرت مستوى المدينة أو يتعرض لها بقدر يسير ، وتبعا لذلك فان معبد «بوباسطس» لا بد أنه كان ظاهرا - كما وصفه هيرودوت - قائما في منطقة منخفضة وسط المدينة ، وعلى ذلك يمكنك النظر اليه اينما تكون .

ووصف المؤرخ القديم للاحتفال السنوى زاخر بالحيوية ، ويشهد بأن المصريين - الذين اعتبروا بعباء شعبا مظلما منقبضا - لم يتناولوا مبايعهم أو شئون دينهم في كتابة ، ولم يكن احتفال « باستت » سوى أحد الاحتفالات السنوية العظيمة .

والآن ، كان يجرى نقل الناس الى مدينة « بوباسطس » على النحو التالى: كان الرجال والنساء ينزلون جماعات كبيرة باحدى السفن، وكانت بعض النسوة يرقصن بالصنوج ، بينما يعزف نفر من الرجال على التناى طوال الرحلة .

اما بقية الرجال والنساء فكانوا يغنون ويصفقون في نفس الوقت ، وكانوا اذا ما وصلوا الى أية مدينة في أثناء الرحلة يرسسون بسفينتهم على الشاطئ ويقومون بالآتى : بعض النسوة يقمن بما سبق وصفه في حين يصرخ البعض الآخر ويتهكم على نساء تلك المدينة . وكان البعض يرقص ، في حين يقوم البعض الآخر بأعمال غير لائقة ، هذا ما كانوا يفعلونه في كل مدينة على شاطئ النهر .



رأس حانحور (من أحد تيجان) الأعمدة من
(منطقة بوباسطة) والشكل الآخر للالهة حانحور

وعندما يصلون الى « بوباسطس » (١) كانوا يحتفلون بالعيد احتفالاً كبيراً ويقدمون الضحايا الكثيرة ، وكانت كميات النبيذ التي تستهلك في هذا الاحتفال أكثر مما كان يستهلك في بقية العام. وكان الحشد المؤلف من الرجال والنساء والأطفال يبلغ عدده - كما يقول سكان المدينة - ٧٠٠ ألف نسمة (جزء ٢ - ٥٩) ومن ذلك يتضح أن احتفالات « باسبت » كانت أحداثاً وطنية كبيرة ، وأنها كانت شعبية أكثر منها رسمية .

(١) من حفائر بعثة جامعة الزقازيق الحديثة في تل بسطة وحفائر المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم في موسم ١٩٩٢ تم اكتشاف كنز تل بسطة الحديث حيث عثر بالمصادفة على أكثر من مائة قطعة ذهب وفضة وعقيق داخل أنواعين من المرمر وهي ذات قيمة أثرية وفنية كبيرة حيث صيغت بطريقة فنية ماهرة يعجز عنها أمهر الصانع كما عثر على رأس سيدة جميلة تلبس باروكة وتمثالان دقيقا الصنع لايزيس واحد من الذهب والآخر من الفضة ويضم الكنز أكثر من ١٤٠ قطعة وما زال البحث جارياً لأن المنطقة ما زالت بكرًا والعمل يجري بين معهد حضارات الشرق الأدنى القديم وهيئة الآثار .

وقد كشف الدكتور « إدوارد نافيل » في مواسم ١٨٨٧ - ١٨٨٩ عن مسرح هذه الاحتفالات ، عندما كان يقوم بالتنقيب لحساب جمعية الحفائر المصرية . وقد سبق أن زار هذا المكان ووصفه علماء حملة نابليون سنة ١٧٩٨ ثم السير « جاردنر » ، ولكنسون « في سنة ١٨٤٠ .

ولكن خلال الفترة بين تلك السنوات ، لحق الدمار الشديد بتلك الخرائب التي سبق أن رآها « م. مالوس » و « ولكنسون » . ففي تلك الفترة كان الفلاحون يستخدمون المكان وبالأخص المعبد بما يحتويه من أحجار منحوتة كثيرة كمحجر سهل المنال ومخزن لأحجار الطواحين .

ومعظم الأحجار التي بقيت بالمكان من الجرانيت الأحمر . أما الحجر الجيري الأبيض فلم يبق منه شيء . ولا بد أن جانباً كبيراً من صالة الفرعون « نخت حور حب » كان مقاماً بحجر الكوارتزيت الأحمر المقطوع من الجبل الأحمر .

ولكن لما كان هذا النوع من الحجر هو أصلح الأحجار للطواحين ومعاصر الزيوت فقد اختفى من المنطقة تماماً . وتدل تلك الكمية الهائلة من قطع الأحجار الصغيرة على أن هذا الجزء من المعبد قد استخدم ونهب كمحجر بشكل منتظم (نافيل - بوباسطس ص ٤) . هكذا كان مصير كثير من المناطق المصرية الهامة ، وكان مآلها جميعاً إلى نفس المصير لو لم تتناولها أعمال بعثات التنقيب .

وقد تتبع « نافيل » الأدوار المختلفة التي مرت بالمعبد . فوجد أن أساس المبنى يرجع إلى عصر بناء الأهرام ، إذ وجدت نقوش من عصر خوفو وخفرع ويبيى الأول . وقد قام ملوك الأسرة الثانية عشرة بأعمال هامة في المعبد ، فقد عثر على رأسين جميلتين هاميين من الجرانيت الأشهب نسبهما « نافيل » في بادىء الأمر إلى عصر الهكسوس .

غير أن الرأي السائد الآن أنهما يمثلان الملك « امنمحات الثالث » واحد هذين الرأسين اللذين يعتبران نماذج من الدرجة الأولى للنحت المصرى يوجد

حاليا بالمتحف البريطانى (١) (أنظر بدج : الآثار المصرية المنحوتة فى المتحف البريطانى ص - ١٠) والآخر يوجد بمتحف القاهرة .

ومن بين مكتشفات « نافيل » (٢) الهامة الجزء الأسفل من تمثال من الجرانيت الأسود للملك « خيان » الشهير أحد ملوك الهكسوس . ومما يؤسف له أن الجزء الأعلى من هذا التمثال البديع لم يعثر عليه ليكشف لنا عن ملامح شخصية كانت من أعظم الشخصيات فى عصر الهكسوس الغامض .

وقد قام الفراعنة الليبيون فى عصر الأسرة الثانية والعشرين بأعمال كثيرة فى المعبد ، وكان ذلك طبيعيا إذ كانت « بوباسطس » عاصمة تلك الأسرة . وقد أتم « أوسركون » الثانى صالة الاحتفالات الكبرى التى زينت جدران مدخلها بتفاصيل عيد « السد » .

(١) يوجد شبه كبير بين هذين التمثالين والتماثيل التى وجدت بمنطقة تانيس والتى كان يظن أيضا أنها من عصر الهكسوس .

(٢) عثرت كذلك حفائر بعثة آثار جامعة الزقازيق فى تل بسطة ضمن اكتشافاتها الأخيرة على مجموعة من القصور القديمة ومقر القواد العسكريين، ومن ضمن الحفائر مجموعة من السبائك الذهبية والفضية تحت التصنيع بالإضافة الى الأفران والورش التى كانت تصاغ فيها هذه القطع كما عثرت على تماثيل على شكل قطط وهى معبودة بوباسطة وتماثيل للالهة حابى اله النيل وبس اله المرح وسخمت وإيزيس وحتحور . والمعروف أن المعبودة باستت هى الهة الاخصاب والهة القمر ، وقد وجد ذلك الكنز عند عدة حوائط عثر عليها فى المنطقة الشمالية من المعبد . بالقرب من صالة الأعمدة فقد عثر أولا على كميات كبيرة من الأوانى الفخارية بداخلها أدوات تجميل للسيدات بكل الألوان وكميات كبيرة من الجعارين والأوجات (عين مقدسة) ودلايات ذات أشكال مختلفة من الخرز ونياشين عسكرية وتماثيل آله وإلهات وخرز منقوش عليه أسماء رمسيس الثانى وتحتمس الثالث - كما عثر على تمثال نادر لسيدة فى حالة ولادة ربما يعود للعصر اليونانى الرومانى .

وقد أضاف فراعنة آخرون من هذه الأسرة مبان كثيرة الى المعبد ، كما أضاف « نخت حر حب » (نقطانبو الأول) (١) من ملوك الأسرة الثلاثين صالة أخرى كبيرة تبلغ مساحتها حوالي ١٥ مترا مربعا الى الطرف الغربى للمعبد . وهناك ما يدل على اهتمام الحكام فى عصر البطالمة والرومان بمعبد باستت (٢)



(شكل رقم ٨)

تمثال لسيدة فى حالة وضع . . وربما تعود الى العصر اليونانى الرومانى عثرت عليه بعثة المعهد العالى لحضارات الشرق القديم وجامعة الزقازيق فى تل بسطة

(١) الملك نخت حر حب هو نقطانبو الثانى وليس الأول ، وكان آخر فراعنة مصر قبل غزو الاسكندر الأكبر للبلاد .
(٢) عثر ببوباسطس - بطريق الصدفة - وبعد حفائر نافيل على آثار على جانب كبير من الأهمية تتضمن بعض الأوانى الفضية المعروضة الآن بالمتحف المصرى . كذلك عثر على مقبرة لاثنتين من حكام كوش (النوبة) شمال السودان ، الذى كانا أصلا من هذه المدينة .

ويرجع - بلا شك - ذلك الخراب الشامل الذى وجد عليه المعبد ، أولا : الى موجات الحروب التى دسرت مدنا عظيمة كثيرة فى الدلتا ، ثم الى أعمال التحجير المستمرة التى كان يقوم بها الأهالى (١) .

ولقد كانت « بوباسطس » مفتاح الدلتا كما يتبين من وضعها على الخريطة ، ولكن حالات الحصار العديدة التى تعرضت لها بسبب هذه الميزة المشكوك فيها ، كانت أقل أثرا فى النهاية فى تدمير مفاخرها من جشع الفلاحين الذى لا ينقطع .

وعلى الجانب الغربى من « كيما تلى بسطة » تقع أرض تشمل بضعة أفدنة ، تم حفرها الآن ، وتقع بها جبانة القبط الشهيرة (٢) . وقد أخرجت من هذه الأرض موميات قبط لا عد لها وتمائيل برونزية لهذا الحيوان النافع ، وزعت بين المتاحف ومجموعات جامعى التحف .

وقد عرضت نماذج من هياكل القبط التى كشف عنها « نافيل » على الأستاذ « فرشو » الذى قرر أنها من النوع الإفريقى المعروف باسم « فيليس مانيكولانا » ، والذى قد يكون أقدم أنواع القبط العادية الأليفة . وعلى ذلك يحق لبوباسطس أن تدعى لنفسها ميزة أخرى تثير اهتمامنا وتأثرنا باعتبارها

=

وقد قام مترجما هذا الكتاب بحفائر كبيرة فى خرائب المدينة فعثر الأول (الأستاذ لبيب حبشى) على معبد كامل للملك بيبى الأول وبعض الآثار من العصر المتأخر ، وكشف الثانى (الأستاذ شفيق فريد) مبنى كبيرا ربما كان فى الأصل معبدا من معابد الدولة الوسطى وعثر كذلك على بعض الآثار الهامة التى ترجع الى ذلك العصر وما بعده .

(١) لعدم وجود محاجر طبيعية قريبة فى الوجه البحرى فقد استخدمت المناطق الأثرية المهجورة كمحاجر لجلب الأحجار منها ثم إعادة استعمالها .

(٢) اكتشف الأستاذ شفيق فريد فى السنوات القليلة الماضية عددا كبيرا من الدهاليز التى كانت تدفن بها القبط .

(م ٥ الآثار ج ١)

أحد المصادر الأصلية لحيوان لا يزال رغم ألفته يحتفظ بشعوره بالانتساب الى فصيلة أعلى من فصيلة أسياده الدنيويين من ذكور واثاث .

وانه ليؤسفنا أن نعتزف بأنه اذا لم تكن للشخص رغبة قوية فى التعرف على ذلك المكان التاريخى الذى اتخذت فيه القطط كرموز للعبادة فان اطلال « تل بسطة » ليس بها ما يدعو الى بذل أى جهد لزيارتها .

وعلى مقربة من الزقازيق تجرى قناة المياه العذبة (ترعة الاسماعيليه) ، وهى عمل هندسى حديث نسبيا ، وانا لنذكرها هنا فقط لانها تتبع فى جزء من مجراها نفس مجرى القناة القديمة التى حفرت أصلا فى عهد الدولة الحديثة أيام رمسيس الثانى (١) ، ثم ظهرت وعمقت بعد ذلك على أيدى كثير من الملوك المتأخرين وبخاصة نخاو ، و « دارا الفارسى » ، وبطيئوس الثانى .

وكانت هذه القناة - السابقة لقناة السويس - تجرى من النيل عند الزقازيق (بوباسطس فى تلك الأيام) مخترقة وادى طميلات حتى البحيرات المرة ، ومن البحيرات المرة تتجه الى البحر الأحمر (٢) .

وكانت بذلك تكون طريقا مائيا ملاحيا بين مدن مصر الداخلية والبحر الأحمر ، كما كانت عند الضرورة تربط بين البحرين المتوسط والأحمر عن طريق النيل . وعلى الرغم من أنه ليست هناك دلائل قاطعة على وجود مثل

(١) رأى السائد أن أول من قام بهذا العمل هو سنوسرت (سيزوستريس) الثالث من الأسرة الثانية عشرة .

(٢) قرب السويس الحالية . ومما تجدر الإشارة إليه أن العالم الفرنسى، بروييه ، كشف بتل القلزم بالسويس فى الفترة ما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٢ عن مبانى سكنية وحمامات وصهاريج . وقد قام الأستاذ شفيق فريد فى المدة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٢ باستكمال تلك الحفائر حيث كشف عن أربع طبقات من المبانى السكنية الواحدة فوق الأخرى ، يرجع تاريخها الى العصور الفرعونية والبطلمية والبيزنطية والقبطية والعربية. ومما يذكر أن المبانى الفرعونية وهى أقدم الطبقات عبارة عن حامية عسكرية من عصر الرعامسة .

هذه القناة في تاريخ أقدم ، فانه ليس من المستبعد أن مثل هذه القناة كانت موجودة في عصر « حتشبسوت » .

ومن المحتمل أنها كانت تتبع نفس طريق وادى طميلات ، إذ أن مناظر الرحلة الى « بنت » المصورة على جدران معبدها بالدير البحرى خالية من مناظر شحن المراكب بين « طيبة و بنت » . والآثار البنائية الباقية من القناة القديمة تدل على أنها كانت تبلغ حوالى ٤٥ مترا عرضا ، وأن عمقها تراوح بين ٣٣/٤ و ٥١/٤ أمتار .

ويذكر « هيرودوت » واقعة غريبة (لم يذكر المصدر الذى اعتمد عليه) وهى أن ١٢٠٠٠ مصرى قد فنوا في أثناء عملية الحفر ، أو على الأصح في أثناء عملية تطهير القناة في عهد « نخاو » .

وكذلك يذكر أن فرعون وقف العمل لا بسبب الوفيات العديدة المثلث التى حدثت بين العمال ، بل بسبب الوحي الذى أخبره « بأنه كان يعمل لأجنبى (جزء ٢ ، ١٥٨) ، ويحتمل أن يكون ذلك الأجنبى هو « دارا » الذى أكمل العمل بعد ذلك . وهذه تبدو كنبوءة سابقة .

ولكن من ناحية أخرى أظهر المؤرخ أنه كان يعرف الكثير عن القناة ، لأن ما ذكره من أنه كان من الممكن لركبين أن يمرا فيها جنبا الى جنب، يتفق تماما مع المقاسات المستمدة من المنحدرات القديمة ، كما أن تقديره مدة أربعة أيام لاتمام الرحلة بين مصر والبحر الأحمر عن طريق القناة تقدير معقول لذلك الزمن .

ولا توجد مناطق أخرى قديمة ذات أهمية بين « الزقازيق و بنها » حيث يلتقى خط السكة الحديد القادم من الاسماعيلية بالخط القادم من الاسكندرية .

الفصل الثالث

المواقع الأخرى بالدلتا

تل اليهودية ، تانيس ، دفنة ، منديس ، سمبود - وغيرها

بعد أن تحدثنا عن المدن الهامة التي تقترب قليلا أو كثيرا من الخطين الحديديين الرئيسيين اللذين يخترقان الدلتا في جانبيها الغربى والشرقى ، سنتناول الآن المناطق التي يصعب الوصول إليها بسبب عزلتها النسبية ، وبعدها حتى عن الخطوط الحديدية الفرعية .

إذا ما غادرنا القاهرة بالخط الحديدى الموصل الى « المنصورة » والذي يمر ببلييس و « الزقازيق » فاننا نصل الى قليبوب (٩/٢ أميال) حيث يتباعد الخط شرقا عن الخط الرئيسى الى بنها . وعلى بعد ٢٠ ميلا تقريبا « شبين القناطر » ، وعلى مسافة ميلين جنوبى المحطة الأخيرة تقع « تل اليهودية » التى يظن أنها مكان « ليونتوبوليس » القديمة ، التى لا يعرف اسمها المصرى القديم .

وهنا نجد معبدا من أيام الأسرة التاسعة عشرة، ولكن أهم منه تلك الأطلال الباقية من المقصورة الصغيرة نسبيا التى بناها « رمسيس الثالث » من الأسرة العشرين ، ولا بد أن هذا المزار كان فخم البناء . « كانت الأرضية مبلطة بالمرمر الشرقى ، وكان السقف مقاما على أعمدة ترتكز على قواعد من المرمر والجرانيت الأحمر .

وكانت الجدران المبنية بالحجر الجيرى مغطاة بزخارف من القيشانى ، تتخللها منصات نصف دائرية على شكل درجات ، كل منها مزين بوريدات وحليات أخرى مطلية بالميناء المتنوعة الألوان » . وقد اختلف هذا البناء تماما ،

ولكن « اميل بروكش » نجح في نقل الكثير من بلاطات القيشانى المصقولة ،
وهى الآن بالمتحف المصرى (١) .

وقد قام الدكتور « نافيل و الليولين جريفيث » بالتنقيب فى تل اليهودية
عام ١٨٨٧ ، وعلى الرغم من أن النتائج كانت غير موفقة بوجه عام ، فانها
قد أكدت الاعتقاد السائد بأن هذا المكان هو « ليونتوبوليس » ، وأنه الموقع
الذى حاول اليهود بناء معبد فيه ، وسنشير الى ذلك فيما بعد .

ومن رأى « جريفيث » أن المعبد اليهودى لم يقيم هنا ، ولكنه أقيم فى أحد
التلال المجاورة . هذا وقد كشف هنا أيضا عن آثار للاطلال التى اعتقد
« نافيل » أنها لحصن ، على الرغم من أنه قد أرجعها الى تاريخ يختلف
عن التاريخ الحقيقى .

فى عام ١٩٠٦ قام « بترى » - بعد « نافيل » - بحفائر فى نفس
المنطقة وكشف عن حقيقة الحصن . وقد تبين أنه معسكر فسيح حصين من
عصر الهكسوس يبلغ محيطه قرابة الميل ، وتتكون استحكاماته من جسر ضخيم
من الرمال غطيت واجهته الخارجية المنحدرة بطبقة صلبة من المصيص .

وقد أضيف بعد ذلك جدار من الحجر الجيرى الابيض الجيد تخرب عن
آخره . وحدث بعض هذا التخريب قديما ، ولكن أغلبه وقع حديثا . وقد
كشف فى الموقع عن جبانة كبيرة من عصر الهكسوس أيدت تاريخ الحصن .

ويميل « بترى » - على الرغم من تردده - الى الاعتقاد بأن هذا المعسكر
هو معسكر الهكسوس الحصين فى « أفاريس » ، ذلك المعسكر المعروف فى
تاريخ حروب الاستقلال ضد الطغاة الهكسوس . وهذا رأى لم يؤخذ به
بصفة عامة ، إذ أن الأبحاث الحديثة التى تحاول التعرف على قلعة الهكسوس

(١) يرجح مما وجد من زخارف فى هذا البناء أنه كان مستعملا كقصر
لاقامة الملك ، وليس كمعبد تقام فيه الطقوس الدينية . ومعرض منه بالمتحف
المصرى اطارات تحتوى على أقراص من القيشانى والواح من القيشانى تمثل
صور الأسرى الآسيريين والزنوج وافريز مزخرف بأزهار اللوتس .

الشهيرة اتجهت الى تحديد مكانها في مدينة « بلوزيوم » على الحافة الشمالية الشرقية للدلتا ، بعيدا عن منطقة قناة السويس ، ولكن هذا أيضا لم تثبت صحته .

وعلى كل حال ، فان الموقع الذى كشفه « بترى » يكشف لنا على الأقل عما لم يكشف عنه أى مكان آخر ، اذ يرينا معسكرا محصنا ، من المؤكد أنه من عصر الهكسوس . وقد لا يكون هذا الحصن من الضخامة بحيث يسع الـ ٢٤٠ ألف رجل الذى ذكر « مانيثون » أنهم كانوا يقيمون في « أفاريس » غير أنه نموذج هام وممتع في مجال العلوم الحربية القديمة (١) .

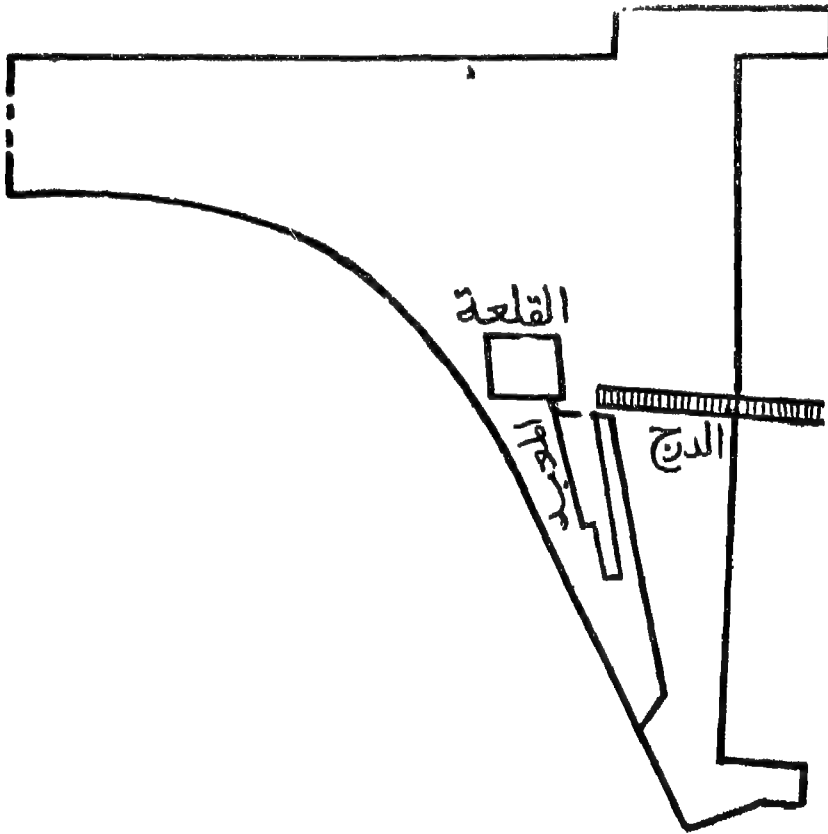
وقد ربط العرف « تل اليهودية » بالتجربة الممتعة في بناء معبد وهى التى سبقت الاشارة اليها ، ففي عام ١٦٢ قبل الميلاد عين « أنتيوخوس ايوباتور » ملك سوريا المنعو « ألكيموس » كاهنا أعلى في اورشليم ، ولم يكن هذا الشخص ينتمى الى الأسرة الكهنوتية ، فما كان من « أونياس الرابع » بن الكاهن الأعلى « أونياس الثالث » - الذى عزله « أنتيوخوس ايبفانيس » قبل ذلك ببضع سنوات - الا أن فر يائسا الى مصر حيث لقي ترحيبا من « بطليموس فيلوميتر » وزوجته الملكة كليوباترة .

وقد كتب « أونياس » حينذاك خطابا الى بطليموس - حسب ما رواه المؤرخ جوزيفوس - يسأله السماح للمهاجرين اليهود ببناء معبد لاله القدير فى « ليونتوبوليس » . وقد دهش الملك المصرى من غير شك من اختيار مثل هذا المكان .

(١) لم يتفق بعد العلماء على تحديد موقع أفاريس، والفكرة السائدة أنها كانت تقع فى الخرائب الموجودة الآن فى صا الحجر (تانيس) ، وان كان البعض يرى أنها كانت تقع بجوار قنتير (مركز فاقوس) حيث كانت بى رمسيس عاصمة الرعامسة .

ومع ذلك فقد وافق على الطلب في خطاب أرسله إليه - إذا كان ذلك
حقا فهو زعم مبالغ فيه - أظهر فيه احترامه للأنبياء اليهود الذين على
ما يرجح سمع عنهم لأول مرة من خطاب « أونياس » .

وقد سجل دهشته لاختيار مثل هذا المكان ثم قال : « ولما كنت تقول
ان النبي أشعيا قد تنبأ بذلك منذ زمن طويل ، فاننا نسمح لك بعمل ذلك »
إذا ما أتمته حسب قوانينك ، وبذلك لا تبدو كأننا آسأنا بهذا الى الاله » .



(شكل رقم ٩)

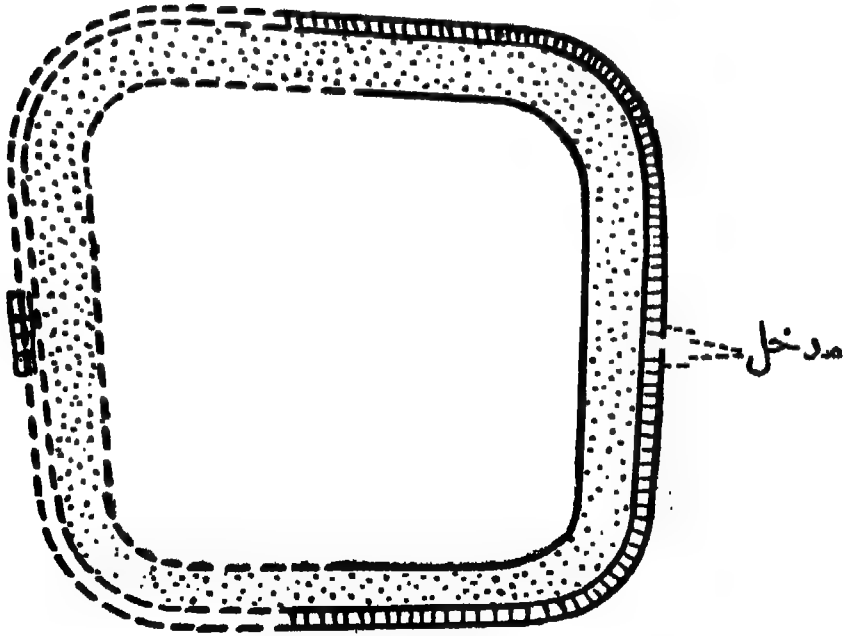
معبد أونياس

(طبقا لمؤلف بترى ، الهكسوس والملن الاسرائيلية)

ومن الواضح أن الخطابات - وخاصة خطاب بطليموس - مزيفة نتيجة لفكرة « جوزيفوس » عما كتبه « أونياس » و « بطليموس » ، ومع ذلك فإن المبنى حقيقى ، « وعلى ذلك اختار أونياس » المكان وبنى معبدا ومذبحا للاله يشبه تماما المعبد الموجود فى اورشليم ولكنه أصغر وأبسط منه .

ولقد رأينا النتائج السلبية التى أسفرت عنها حفائر « نافيل » و « جريفيث » سنة ١٨٨٧ ، ولكن « بترى » كان أوفر حظا ، إذ أنه كشف عن بقايا مبنى كبير ظهر أنه ينطبق على المواصفات التى أوردها « جوزيفوس » « فتخطيط التل كله يشابه التخطيط الذى فى اورشليم » .

وللمعبد أفنية داخلية وخارجية مثل معبد « زيون » ولكنه أصغر وأبسط حجما . . . والموقع جميعه قد خطط على نمط معبد التل بالمدينة المقدسة . لقد كان باختصار اورشليم جديدة فى مصر ، (بترى - الهكسوس والمدن الاسرائيلية ، المدرسة البريطانية لعلم الآثار) .



(شكل رقم ١٠)

معسكر الهكسوس بتل اليهودية

(طبقا لمؤلف بترى ، الهكسوس والمدن الاسرائيلية)

وهذه النتائج الهامة كانت بالطبع موضع نقاش (وسوف يعلم الزائر أن جميع المطابقات التي لا تعتمد على نص مغاير مؤكّد عن اسم المكان تكون موضع نقاش ان عاجلا أو آجلا) ، وعلى العموم فإن نظرية « بترى » تبدو أقوى من أى رأى معارض .

وما دمنا لم نعثر على مكان آخر كفاء له ، فعلينا أن نستمر في اعتقادنا بأن « تل اليهودية » ، هو المكان الذى - كما يستدل من اسمه - كان تلا لليهود وكذا الموقع المحتمل لمعبّد أونيّاس ، وعلى كل حال فسواء أكان ذلك صحيحا أم غير صحيح فإن الموقع لا يهم الزائر العادى ، إذ أن « زيارة خرابته لا تستحق المشقة فمعظمها قد دفن تحت الرديم » .

ومن « شبن القناطر » نصل بطريق بلبيس مارين ببوباسطس إلى « الزقازيق » ، حيث يتقاطع خطنا على مقربة منها - كما رأينا - مع الخط الرئيسى القادم من الأسمايلية ، ومن هناك نسافر عبر أرض خصبة ليس بها مواقع ذات أهمية خاصة حتى « أبو كبير » حيث نترك خط « المنصورة » إلى الخط الفرعى المتجه إلى « فاقوس » و « الصالحية » .

ويمكن الوصول إلى المناطق الهامة التى نرغب في زيارتها من إحدى هاتين المحطتين . وعلى مقربة من « فاقوس » تقع قرية « الختاعة » ، وبجوارها أطلال مبنية قديمة كشف عن جزء منها « نافيل » ، حيث عثر على آثار من عصر الاسرات الثانية عشرة والتاسعة عشرة والعشرين^(١) .

(١) عثر الاستاذ محمود حمزة عام ١٩٢٨ في قرية « قنتر » الواقعة على بعد حوالي ثلاث كيلو مترات بحرى الختاعة على لوحات من القيشانى الملون وعلى أحجار عليها أسماء بعض الآلهة ، مما جعله يرجح وجود بى رمسيس عاصمة الرعامسة في ذلك المكان ، وبأن ما عثر عليه كان من مخلفات تصورهم .

وعلى مسافة عشرين ميلا شمال شرقى « فاقوس » يقع مكان بالغ الأهمية ، هو موقع تلك المدينة الشهيرة التى كانت يوما عاصمة مصر ، وكانت ذات أهمية طوال التاريخ المصرى .

والتي يعرفها قراء التوراة باسم « صوعن » ويذكر الاصحاح الثالث عشر ، والآية ٢٢ من سفر العدد أن « حبرون » بنيت قبل « صوعن » مصر بسبع سنين ، وهذا القول يجب قبوله بتحفظ كبير على الرغم من ظهوره بمظهر الدقة ، فلدينا شواهد بأن « صوعن » لم تكن موجودة فحسب ، بل كان بها معبد من عصر فراعنة الأسرة الخامسة عشرة .

فلا بد أنها أقيمت قبل ذلك بأمد طويل ، وقد تكون « حبرون » ، قد أنشئت قبل ذلك التاريخ القديم ، ولكننا لسنا بحاجة للقول بأنه ليست هناك شواهد تؤيد ذلك .

و « صوعن » دون شك هي « تانيس » القديمة و « صان » الحديثة ، وإن قطع مسافة عشرين ميلا من الخط الحديدي للوصول إليها قد يساعد على تذكر السائح الحديث - الذى قد يتصور أن المنقبين يعيشون عيشة ترف ، « يراقبون العبيد وهم يحفرون » ، متأثرين فى ذلك بالكشوف المثيرة لقصور علاء الدين ومقبرة توت عنخ آمون - بحقيقة حال التنقيب وبخاصة فى الدلتا فى العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر .

كذلك قام الأستاذ لبيب حبشى بعمل مجسات فى قنثير والختاينة انتهت بالعثور على مزيد من آثار القصور والمعابد والمقابر من عصر الرعامسة وما قبله مما يعزز رأى الأستاذ حمزة ، بل يشير الى أن هناك احتمالا كبيرا بوجود أفاريس عاصمة الهكسوس فى موقع قرية الختاينة ، ويوجد بالمتحف المصرى الآن الكثير من قطع القيشانى التى عثر عليها فى قنثير ولعل أهمها القطع التى تمثل أسدا يلتهم رأس أسير ، ولا بد أن هذه القطع كانت تزين القصر الملكى .

وقد وصل « بترى » الى الكوم عام ١٨٨٤ في قارب أحضره من « فاقوس » ، وكانت صلته الوحيدة بالعالم الخارجى عن طريق رسول يرسله مرة كل أسبوع ، يقطع أربعين ميلا فى الرحلة الى « فاقوس » والعودة منها . هذا ولم يجرؤ غير أوربى واحد - كانت لديه الشجاعة الكافية - على زيارة الموقع فى اثناء شهور الحفر .

ولا يبعث منظر « صان » - بعد تلك المشقة فى سبيل الوصول اليها - على الأمل ، « فأول ما تلتقى به العين هو أكواخ العرب الفقيرة ... التى تختلط حجراتها المظلمة الحقيرة المبنية بالطين بعضها ببعض دون مراعاة لآى تخطيط أو نظام ، فوق مسطح غير صحنى .

فعلى أحد الجوانب مجرى مائى اقتطع طريقه فى الطين يلقي فيه الاهالى بما يموت من الجاموس ، كما يشربون منه ، وعلى الجانب الآخر مستنقع ملئ بالمقابر البالية والقاذورات .

أما الكيمان المرتفعة التى تقوم خلف هذه المجموعة الباعثة على السقم من الأسماك الميتة والأطفال الأحياء والطيور والذباب ، فهى بقايا « تانيس » (بترى - تانيس جزء ١ ص ١) .

وفيما يتعلق بما يقال عن الترف المتوفر فى مخيم المنقب ، يكفى أن نذكر أن المخيم كانت تغشاه فيران ، بلغ من دهائها أنه يستعصى صيدها ، والحل الوحيد للتخلص منها هو اضاءة المصباح ليلا و البقاء متيقظا لصيد المفجرين منها عند ولوجها نطاق الدائرة المضئية .

« والرقاد على الفراش وصيد الثيران بمسدس » كما تقول مس ايميليا ادواردز « هو بحق لون من الرياضة ينفرد به المنقب فى مصر - (الفراعنة والفلاحون والمكتشفون ص ٢٠) .

وقد تغير الحال الآن ، فيمكن بسهولة الوصول الى « صان » من « فاقوس » بالسيارة ، كما حسن مصرف « صان » حالة المنطقة من الوجهة

الصحية ، وان كان من الصعب اعتبارها مكانا صحيا ، وعلى كل حال لن يلجأ المنقب اليها أو الى موقع آخر في مصر الا اذا رغب في ذلك .

وقد فحص « بترى » أطلال منطقة المعبد ، التي كشف « مارييت » جزءا منها ، فحصا دقيقا واكتشف منقبون سابقون هنا لوحين تذكاريين هامين عليهما نقوش ، هما : لوح الأربعمئة عام^(١) واحدى نسخ مرسوم كانوب الشهير^(٢) .

وقد عثر « بترى » عندما كان يقوم بالتنقيب هناك - وفي أثناء تقليبه وفحصه لعدد ضخم من الكتل الحجرية المنتشرة في منطقة المعبد الكبير - على شواهد تدل على أن المعبد يرجع على الأقل الى عصر الملك بيبى مريوع (بيبى الأول) من ملوك الأسرة السادسة .

وقد جدد المعبد وأضاف اليه ملوك الأسرة الثانية عشرة ابتداء من امنمحات الأول ، كما ترك معظمهم تماثيل بديعة لهم في ذلك المكان . ثم أعاد بناء المعبد بصفة فعلية الملك رمسيس الثانى - أكبر مزيف للسجلات - الذى غطى عارضاته بالنقوش التى يفاخر فيها بأعماله ، وزينه بالكثير من المسلات والتماثيل .

ويدل امتداد المعبد ذلك الامتداد الكبير - اذ يبلغ طوله حوالى ٣٠٠ متر - على أنه كان من أكبر المعابد المصرية . وقد أقام السور المحيط بالمعبد الملك باسباخع ان نوت (بسوسنس) الأول من الأسرة الحادية والعشرين (حوالى سنة ١٠٥٠ ق.م .) وتدل ضخامة ذلك السور على عظمة

(١) لوح لرمسيس الثانى مؤرخ في السنة الأربعمئة من حكم أحد الملوك وهو معروض بالمتحف المصرى وتنحصر أهميته في أنه الأثر الفرعونى الوحيد الذى ذكر تقويما معيننا .

(٢) وهو منشور أصدره كهنة كانوب وعددوا فيه ما يجب منحه من شارات الشرف الى بطليموس الثالث ، وهو منقوش بثلاث كتابات هى : الهيروغليفية ، والديموطيقية ، واليونانية ، أى أنه يشبه في ذلك حجر رشيد .

المبنى الذى كان يحيط به : اذ يبلغ طوله الكلى حوالى ١٠٥٠ متراً ،
وسمكه حوالى ٢٥ متراً .

كما يحتمل أن ارتفاعه الأسمى كان قرابة $\frac{13}{4}$ متراً (ارتفاعه
الحالى حوالى $\frac{7}{4}$ أمتار) . ويعطى التقدير المعقول لعدد قوالب اللبن
التي استخدمت فى بنائه حوالى ٢٠ مليون قالب ، ختم كل منها باسم
(باسباخ ان نوت) .

وقد أثار تمثال « رمسيس الثانى » الضخم ، الذى كشفت بعض
أجزائه فقط ، اهتماما عاما كبيرا ، ومن مقاسات هذه الأجزاء يمكن تقدير
الارتفاع الأسمى لهذا التمثال المصنوع من الجرانيت الأحمر بحوالى ٢٨
متراً من الرأس الى القدم .



(شكل رقم ١١)

رأس تمثال ضخم للملك رمسيس الثانى من الجرانيت الأسود
فى معبد الراميسسيوم بالأقصر

كما قدر وزنه بحوالى ٩٠٠ طن ، وهو بذلك يكون أطول تمثال أقيم ، ولكنه ليس أثقلها وزنا ، إذ أن التمثال الجالس لرمسيس الثانى بمعبد « الرمسيوم » بطيبة يقدر وزنه بما لا يقل عن ألف طن .

ويبلغ حجم الاصبع الكبير لقدم ذلك التمثال الضخم حجم رأس الانسان ، وعلى كل حال ، فكيفما كان رأى الانسان فى غرور ذلك الرجل الذى أقام لنفسه مثل هذا الأثر التذكارى فى معبد آلهه ، ذلك الأثر الذى يصغر بجانبه أى شيء آخر ، فلا بد أن الإعجاب والدهشة تملكان الانسان عندما يتصور العبقرية الهندسية التى قدت كتلة ضخمة مثل هذه من محاجر أسوان ، وعامت بها مئات الكيلومترات من الحجر بأسوان الى « تانيس » ، وأقامتها فى مكانها بنجاح .

وفى ما عدا ذلك ، فليس هناك عمل آخر لرمسيس فى المعبد يستحق الذكر ، وقد برز « رمسيس الثانى » وابنه « منفتاح » فى « تانيس » بوجه خاص كمفتصبين لأعمال غيرهم . وبعض التماثيل ، وخاصة تماثيل أبو الهول الضخمة التى قد نسبت فى وقت ما الى ملوك الهكسوس ، وكان يظن أنها تمثل أشكال أولئك الغزاة .

ولكن الآراء اتفقت الآن تقريبا على ارجاعها الى الأسرة الثانية عشرة (١) . ويوجد تماثلان جميلان من الجرانيت الأشهب يرجح أنهما للملك المغتصب

(١) هى تماثيل سباع برءوس ملكية جافة التقاطيع ، منها أربعة بالمتحف المصرى غطيت بأسماء رمسيس الثانى ومنفتاح وبسوسنس . كذلك يوجد بالمتحف المصرى بالقاهرة تماثل مزدوج من الجرانيت الأشهب يمثل الملك نائبا عن الوجهين القبلى والبحرى يقدم خيرات النيل من سمك ونبات وطيور ، والمرجح أنه أيضا من عهد الأسرة الثانية عشرة ، وقد اغتصبه بسوسنس الأول .

« مرمشع » من ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، وقد اغتصبها ابيبى (أبو فيس) أحد ملوك الهكسوس ، ويحملان خرطوشة على الكتف الأيمن (١) .

وهناك قطعة أخرى من تمثال جميل من الجرانيت الأحمر ينسب للملك « سبك حنب » الرابع من ملوك الأسرة الثالثة عشرة أيضا ، وبهذا تكون « تانيس » قد أمدتنا بالكثير مما يوضح ذلك العصر الفاضل الذى مر بالبلاد بين سقوط الدولة الوسطى وغزو الهكسوس (٢) .

وبالإضافة الى النتائج التى أمكن الحصول عليها داخل نطاق المعبد قد كشف عن أكثر من مائة وخمسون بردية ، وهى على الرغم من تفحمها أمكن قراءتها بالضوء المنعكس . وقد نقلت الآثار الهامة التى كشفت عنها

(١) يغلب على الظن أن مرمشع لم يكن مغتصبا لها ، بل انها حقا من صناعة الأسرة الثالثة عشرة وأن المفتصبين كانا أبوفيس ورمسيس الثانى .
(٢) يوجد كذلك بمتحف القاهرة الكثير من آثار تانيس التى تنسب لرمسيس الثانى ، نذكر منها كتلة ضخمة من حجر الكوارتزيت منحوتة فيها خمسة رموس لأسرى ، والجزء العلوى من مسلة من الجرانيت الوردى .

وتمثال لرمسيس الطفل يحميه اله على شكل صقر ، وعمودان من الجرانيت الوردى وتمائيل كثيرة من الدولة الوسطى — كذلك يوجد بالجزيرة امام المتحف المصرى احدى المسلات الكبيرة وبعض الآثار التى أحضرت أخيرا من تانيس .

الحفائر الى القاهرة ، وبذلك جردت « تانيس » من أهم معالمها المميزة (١) .

وتبدو خرائب المعبد الكبير الآن في نفس تلك الحالة السيئة من الفوضى التي تظهرها صور ترى الخاصة بمنظر بعثته الأولى لحساب جمعية الحفائر المصرية ، يضاف الى هذا أن القطع الأثرية الهامة قد انتزعت منها .

ومن « تانيس » يقطع الزائر حوالى الثمانية أميال في الخلاء ليصل الى « نبيشة » التي تقع الى الجنوب الشرقى من المدينة العظيمة ، كما يمكنه أن يتابع السفر بالقطار من « فاقوس » الى الصالحية ، ومنها يقوم برحلة بنفس الطول تقريبا (مع عبور عدة قنوات) يصل بعدها الى الكوم .

(١) قام العالم الفرنسي « بيير مونتيه » على رأس بعثة الحكومة الفرنسية بحفائر كبيرة بتانيس عام ١٩٢٩ - ١٩٤٠ وقد عثر على سلسلة من المقابر المشيدة بالحجر للوك الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين .

ووجدت ثلاث من هذه المقابر سليمة منها مقبرة الملك بسوسنس الأول من ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، وقد عثر فوق جثته على عدد وفير من الحلى الذهبية والتماثيل وثمانية عشر اناء من الذهب والفضة وتابوت داخلى فضي وقناع وغطاء للجثة من الفضة ونعال من الذهب . الخ .

والمقبرة الثانية للملك آمون أم أوبت من الأسرة الحادية والعشرين ، والثالثة للملك يدعى شيشنق من ملوك الأسرة الثانية والعشرين وبها تابوته المصنوع من الفضة . كذلك وجدت آثار من مقبرة لم تعث بها ايدى للصمصام لأحد قادة الجيش .

وتقع هذه المقبرة في سمك جدار مقبرة الملك بسوسنس مما يدل على أن هذا القائد كان يتمتع بمركز ممتاز لدى مليكه . ولعل أهم ما وجد في تابوت هذا القائد كئوس فضية وذهبية تعد من أروع وأثمن ما عثر عليه مع رجل عادى . وقد نقلت جميع هذه الآثار الرائعة الى متحف القاهرة .

(م ٦ الآثار ج ١)

وقد اُتجه اهتمام السير « فلندرز بترى » الى هذا الموقع فى أثناء وجوده فى « تانىس » عام ١٨٨٤ وذلك عندما بلغه وجود حجر كبير بها . وعندما عاد اليها عام ١٨٨٦ بقصد التنقيب وجد أن الوصول اليها صعب حتى على الأثرى المتحمس فقد كان عليه أن يخوض المياه الى مسافة ثلاثة أميال من نقطة رسوه على الشاطئ قبل أن يصل الى المكان المقصود .



(شكل رقم ١٢)

قلادة الملك بسوسنس من الذهب الخالص عثر عليها فوق جثته بمقبرته بمنطقة تانىس عام ١٩٢٩ وموجودة حالياً بالمتحف المصرى

وقد اضطر زميله السيد « جريفيث » الى عبور مستنقعات أردأ ثم السباحة فى ترعة عميقة . ولربما تكون المواصلات قد تحسنت بعد ذلك ، ولكن « نبيشة » على كل حال لاتزال من أصعب الأماكن فى الوصول اليها ، ويطلق على « كوم نبيشة » اسم محلى آخر هو « رأس فرعون » أو « تاج

فرعون «^(١)» بسبب وجود ناووس ضخم مصنوع من قطعة واحدة للملك «أحمس» من ملوك الأسرة السادسة والعشرين .

وقد دلت الآثار التى كشف عنها « بترى » على أن مدينة « آم » أو « يمت » كانت ذات أهمية فى أيام الأسرة الثانية عشرة . وقد كرس معبد المدينة للالهة واجيت (أوتو) معبودة بوتو وحامية الملوك .

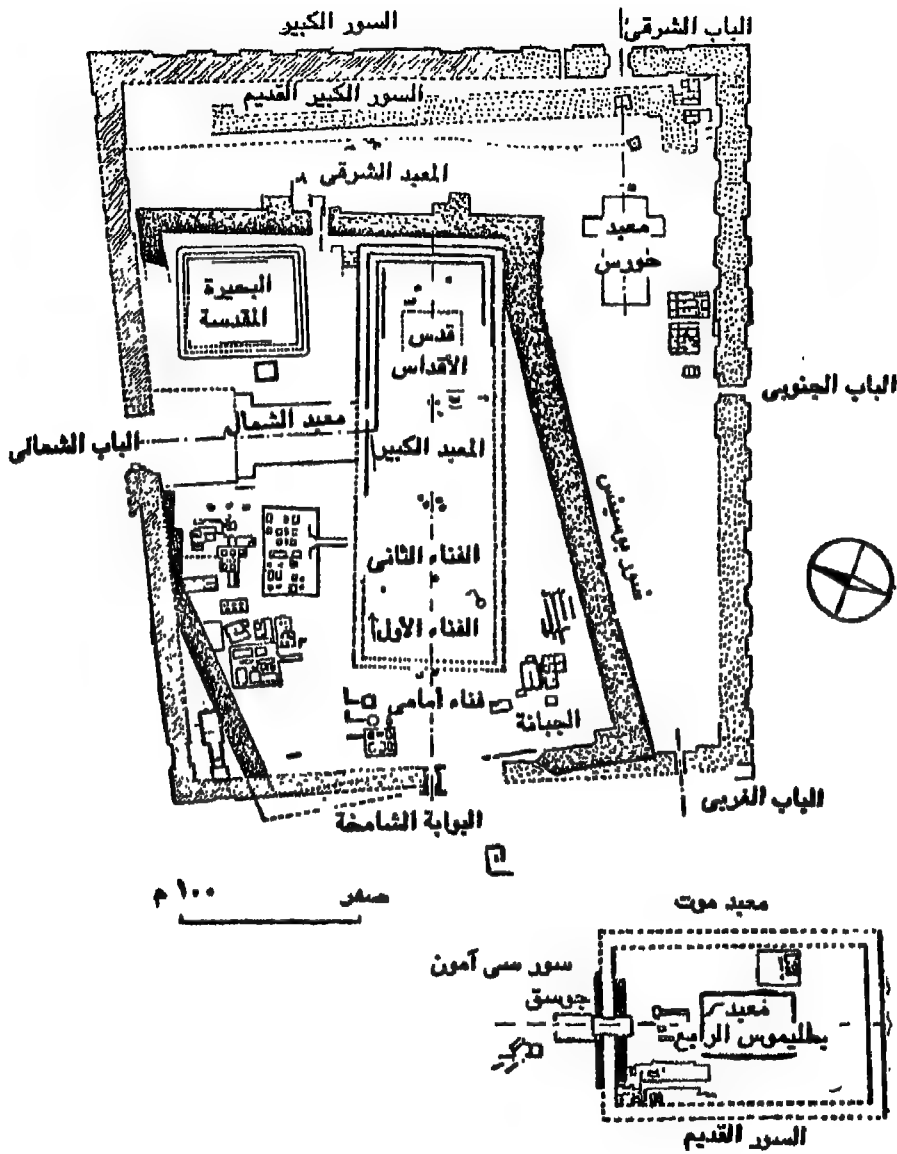
وقد أعاد رمسيس الثانى بناءه وأقام به تمثالا جميلا من الجرانيت الأسود لتلك الالهة . ثم استمر « منفتاح » فى الاهتمام بالمكان ، وأمه بعمود فريد قائم بذاته من الجرانيت الأحمر (٢) . ثم عاد الاهتمام بالمدينة — بعد فترة طويلة من الإهمال — على يد الملك النشط «أحمس» أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين .

ولما وجد أن المعبد القديم فى حالة سيئة بحيث لم يعد صالحا لإعادة بنائه استعاض عنه بإقامة معبد جديد أصغر حجما ، فى نفس اتجاه المعبد القديم . واستخدم فى بنائه أجود أحجار المعبد القديم ، ووضع تمثال الالهة الفاخر المصنوع من الجرانيت الأسود فى ناووس كبير من قطعة واحدة من الجرانيت الأحمر يزن ٥٨ طنا .

وهذا الناووس هو الذى أعطى الكوم اسمه المحلى « رأس أو تاج فرعون » فقد ظن السكان المحليون أن قمة الناووس المستديرة هى قمة تمثال كبير .

(١) يعرف هذا التل فى الكتب العلمية باسم « تل فرعون » .

(٢) يمثل هذا العمود شكل ثمانية براعم للبردى مربوطة بعضها ببعض وفى أعلاها تمثال لصقر أمامه تمثال راعى للملك وهو الآن بالمتحف المصرى .



(شكل رقم ١٣)

خريطة تفصيلية لموقع مدينة تانيس موضح بها مواقع المعابد والأبواب والبحيرة المقدسة والجبانة والأسوار المحيطة بها

وقد كشف في الجبانة عن مقابر يرجع تاريخها الى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، والأسرات التي تليهما . ولكن لعل أهم معالم ذلك الكشف هو العثور على مجموعة من المقابر القبرصية الخاصة بالجنود المرتزقة الاغريق الذين اتخذوا لهم مركزا هنا في عهد فراعنة الأسرة السادسة والعشرين .

وفي النهاية لعل من الصعب القول بأن كوم رأس فرعون في « نبيشة » يمكنه أن يعوض الزائر عن الجهد الذي يبذله في سبيل زيارته ، على الرغم من أهميته وخاصة في حلقات التاريخ المصري المتأخر .

وتقع شرقي « نبيشة » تقريبا وعلى مسافة تزيد على نصف الطريق بينها وبين خط قنال السويس منطقة أكثر شهرة هي « تل دفنه » التي تعرف باسم « دفنى » عند الاغريق وتحفنجيس في التوراة .

والوصول الى « دفنه » من محطة « القنطرة » على الخط الحديدى الواصل بين « بور سعيد » و « الاسماعيلية » أسهل ، أو عبارة أخرى أقل صعوبة من محاولة الوصول اليها من « نبيشة » ، وهو الطريق الذى يلجأ الزائر غالبا اليه .

ولكن ليس من المفضل أن يقطع المسافر من « بور سعيد » الى « القاهرة » رحلته في أولها ليرى بقايا المعسكر القديم للجنود الاغريق الذى أقامه « ابسماتيك » على الحدود ، وعلى كل حال فالشخص المتحمس فقط هو الذى يحاول زيارة « تانيس » و « نبيشة » .

وما دام حماسه قد قاده لزيارة « نبيشة » فسوف يحدوه الى أبعد من ذلك فيزور « دفنه » وهذا أفضل بلا شك من أن يقطع رحلته بالسكة الحديد عند بدايتها ليقوم برحلة منعزلة .

وكان الاعتقاد السائد أن « دفنة » تحدد موقع « تحفنجيس » القديمة التى جاء ذكرها في الاصحاح الثالث والأربعين من ارميا ، وكذا « دفنى »

هيرودوت الواقعة على الفرع البيلوزى للنيل ، ولكن لم تجر أية محاولة لتحقيق هذا الاعتقاد الى أن انتقل « بترى » اليها من « نبيشة » فى ربيع ١٨٨٦ تاركاً « جريفث » ليعمل بالمنطقة الأخيرة .

وقد وجد عند وصوله الى «دفنة» ثلاث مجموعات من الكيمان كانت احداها ظاهرة فى السهل من مسافة بعيدة . ولقد جاء « بترى » الى المكان وفى مخيلته القلعة الكارية من عهد « ايسماتيك » .

وكم كانت دهشته واهتمامه عندما سأل العرب عن الاسم المحلى للكوم فأجابوه بأنه يطلق عليه « قصر بنت اليهودى » اذ أعاد ذلك الى ذهنه فوراً الاشارة المذكورة فى التوراة . وقد بدأ عمله فى المنطقة وفى ذهنه الفكرتان السابقتان (انظر بترى - تانيس جزء ٢ - نبيشة ودفنة) .

وقد تحدث « هيرودوت » عن واقعتين تخصان هذا المكان : اولاهما « أنه قد أقيمت فى أثناء حكم الملك « ايسماتيك » الاستحكامات فى « الفنتين » لصد الأثيوبيين ، كما أقيمت استحکامات أخرى فى « دفنه » البيلوزية لصد البدو والسوريين ، (الجزء الثانى - ٣٠) .

ولم يشر « هيرودوت » الى جنسية الجنود الذين أقاموا فى تلك الاستحكامات . وفى مكان آخر (الجزء الثانى - ١٥٤) ذكر أن « ايسماتيك » أقام استحکامات للأيوبيين والكاريين « بالقرب من البحر » على مسافة قصيرة من مدينة « بوبسطة » عند الموقع المسمى المدخل البيلوزى للنيل .

وكان هؤلاء أول قوم يتكلمون لغة مفايرة أقاموا فى « مصر » والواقعة الثانية ذات طابع عجيب : أنها تقص كيف أن الملك « سيزوستريس » - الذى كانوا يظنونه رمسيس الثانى .

وقد تحقق الآن بصفة عامة أنه سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة - كاد يحرق حيا فى « دفنه » البيلوزية بسبب غدر أخيه ،

ولكنه نجاة بتضحية حياة اثنين من أبنائه الستة ، أقاما بأجسامهما قنطرة عبر اللهب ، هرب عليها الملك وبقيّة أسرته (الجزء الثاني - ١٠٧) .

وواقعة التوراة أقل خيالا ، وقد تكون أكثر صدقا . ففي الآيتين ٥ ، ٧ من الاصحاح الثالث والأربعين من ارميا جاء « بل اخذ يوحانان بن قاريح وكل رؤساء الجيوش كل بقية يهوذا ... وارميا النبي وباروخ بن نيريا ، فجاءوا الى ارض مصر لأنهم لم يسمعون لصوت الرب ، واتوا الى تحفنجيس » .

وبعد ذلك يستمر « ارميا » في سرد التهديد بالشر الذى أمر باتخاذ ضد اللاجئين بسبب عصيانهم : « ثم صارت كلمة الرب الى « ارميا » فى تحفنجيس قائلة : خذ بيدك حجارة كبيرة وأطمرها فى الملاط فى الملبن (١) الذى عند باب بيت فرعون فى تحفنجيس أمام رجال يهود » .. الخ .

وكلمة الملبن التى ذكرت فى التوراة مشكوك فيها ، فليس من المحتمل أبدا وجود ملبن عند مدخل بيت فرعون ، حتى بفرض أن المنزل كان قلعة عند الحدود ، وعلى ذلك فأننا لا ندهش اذا وجدنا النص المراجع يذكر مبنى من « اللبن » بدلا من « الملبن » وأن الهامش يذكر « وضعها مع الملاط فى الرصيف » (أو الساحة) .

وسرعان ما أماط التنقيب اللثام عن سر الواقعتين اللتين ذكرهما « هيرودوت » عن القلعة الاغريقية ، وعما ذكر بشأن « الملبن » والمبنى من « اللبن » أو الرصيف عند مدخل منزل فرعون فى تحفنجيس .

فقد تبين أن الكوم الرئيسى المعروف باسم « قصر بنت اليهودى » يغطى بقايا ما كان فى وقت من الأوقات قلعة محصنة تحمى الحدود الشرقية ، وقد بنيت هذه القلعة فوق مجموعة كبيرة من المباني اللبنية على شكل

(١) قمينة لحرق الطوب النيبى .

خلية من الصوامع المقببة التي تشبه في نظامها ما يسمى بالمخازن، آلتى عثر عليها فى « بيشوم » .

وهذه كانت تحمل البناء العلوى الذى كانت تعيش فيه الحامية على ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف فوق السهل ، مما يتيح للحراس أن يروا ما حولهم الى مسافة عدة أميال بوضوح ، وكان يحيط بالموقع كله سور ضخيم سمكه اثنا عشر مترا ، بارتفاع يحتمل أنه كان فى الأصل فى مثل هذا السمك ، وفى وسط هذا السور يرتفع حصن القلعة .

وهو بناء مستطيل الشكل من اللبن يكتنفه برج يحتمل أنه كان أقل ارتفاعا ، يتجه بزاوية قائمة من أحد جوانبه .

وقد كشف عن أحد أحجار الأساس تحت أساسات القلعة يحمل اسم « إيسماتيك » مما يدل دلالة قاطعة على تاريخ إقامة القلعة فى صورتها النهائية ، وهذا يؤيد ما ذكره « هيرودوت » من أن « إيسماتيك » قد أقام هنا معسكرا « لرجاله البرونزيين الذين أتوا من البحر » ليراقبوا - من أجله - أى تسلل الى الحدود الشرقية للدلتا ، كما كان يفعل زملاؤهم فى « نقراتيس » فيما يختص بالحدود الغربية .

ومع ذلك ، فتوجد فى الموقع آثار بناء أقدم من قلعة « إيسماتيك » وهو بناء من اللبن يرجع الى عصر الرعامسة ، ويوحى بأن القصة التى قصها « هيرودوت » عن ذلك الهجوم الفادر على « سيزوستريس » فى « دفنه » كان المقصود بها فى الواقع رمسيس الثانى وليس سنوسرت الثالث .

ولعل أهم واقعة روائية أسفرت عنها الحفائر هى كشف ما كان يقصده « ارميا » عندما تكلم عن (مبنى من اللبن) أو (الرصيف) القائم عند مدخل بيت فرعون . فالمدخل - أى القلعة - لم يكن فى الحصن الرئيسى ، بل فى المالحق الذى يكون زاوية قائمة معه ، حيث يوجد باب بسلم للصعود اليه .

وقد عثر على رصيف من اللبن يوازي السلم ويبرز من البرج الرئيسي ، كما هو الحال بالنسبة للملحق ، وهذا الرصيف الكبير يصلح لتحميل أو تنزيل الحمولات أو لنصب الخيام أو لأى عمل آخر له صلة بالمعسكر .

ويمكن اعتباره نموذجا كبير الحجم لما يطلق عليه الفلاح الحالى اسم (مصطبة) وهذا الرصيف يتناسب مع الفرض من وضع الأحجار الذى أمر بها « ارميا » . ومن المحتمل جدا أن الملك البابلى « نبوخذ نصر » (١) لو أنه غزا مصر ، لنصب خيمته الملكية فوق ذلك الرصيف المقام أمام قلعة الحدود الكبرى التى استولى عليها - كما تنبأ بذلك « ارميا » .

وسواء تحققت هذه النبوءة أم لم تتحقق ، فلا يحق لنا أن نتحدث عن ذلك ، اذ لا يوجد دليل فى الوقت الحاضر على أن غزوة « نبوخذ نصر » المزعومة لمصر قد حدثت فى وقت ما ، وعلى كل حال فإن أهمية الكشف تكمن فى توضيحه للعمل الذى يحتمل أن « ارميا » قد قام به وليس فى تأكيد نبوءته .

فمن الجلى أننا حتى لو افترضنا أن « بتزى » قد اكتشف فى المنصة الأحجار الأصلية التى طمرها « ارميا » فلن يسمح لنا ذلك بالقول بأن نبوءة « ارميا » قد تحققت لعدم وجود أى دليل مباشر آخر على غزوة « نبوخذ نصر » .

ولعل من المناسب هنا أن نثريث قليلا لنبحث مسألة تأكيد الوثائق المقدسة أو الدنيوية بواسطة الحفائر ، فمن الأمور الشائعة الاعتقاد بأن الحفر - وخاصة فى الأماكن المقدسة يجرى أصلا لتأكيد النصوص الواردة بالكتب المقدسة أو لنقصها ، وليس هناك شئ أبعد عن الحقيقة من هذا ، فمثل أى منقب يبدأ عمله فى أى موقع بفرض تأييد أو نفى واقعة معينة كمثال محام قد صدق ما يزعمه موكله وشرع فى تحضير الشواهد لاثبات وجهة نظره .

(١) يختصر . أو نبوخذ نصر كما جاء فى التوراة .

فهذه الشواهد ، التى يحصل عليها تكون عرضة - سواء فى ساحات القضاء أو فى دنيا الآثار - للشك الكبير . وإن أى منقب يقوم بحفائره بقصد تأييد أو نفى واقعة معينة فى الكتب المقدسة أو فى كتاب مؤرخ دنيوى ، لينطبق عليه قول الأستاذ « ماكليستر » : « انه أقل الرجال نفعا » .

إن ما يجب أن يسعى اليه المنقب عند معالجته لأية منطقة ، بل ما يجب أن يسعى اليه دائما كل منقب جاد، هو الحقائق العارية سواء أكانت تؤيد أو تنفى مصدره أو مصادره التى يقدرها ، وبقدر ما تبعده دوافعه عن ذلك ، تقل قيمة عمله فى آخر الأمر .

إنه إذا سمح لميله الشخصى نحو تأييد أية واقعة ، بالتدخل فى الأمانة الواجبة نحو ترتيب أو مناقشة نتائج عمله ، فسيصبح من وجهة النظر الأثرية مذنباً ومنتهكاً للحقيقة . فليس للمكتشف أى شأن فى مدى تأييد نتائج عمله فيما جاء فى التوراة أو أى نص آخر أو نقضها ، إنما ينحصر عمله فى الكشف عن الحقائق كما يظهرها الموقع الذى ينقب فيه .

وعلى ذلك يكون من نافلة القول أن نتكلم - كما يحلو للكثيرين ممن يجب أن يغيروا اتجاهاتهم - عن مطابقة نتائج حفر بلاد الشرق لما جاء فى النصوص الدينية ، كما أنه من نافلة القول أن نتكلم أيضا عن نقض بعض المكتشفين للنصوص الدينية .

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المجال الى قول الأستاذ « ماكليستر » الذى قام بأعمال رائعة فى المواقع الفلسطينية « ان نص التوراة كآى نص أدبى آخر يجب أن يكون عرضة للنقد، ولا يمكن بصفة عامة أن يؤيد أو ينفى بالتقريب . قد يكون من الممكن اثبات أو تصحيح بعض النقاط الفرعية ، ولكن ما نجنيه من الحفائر هو التوضيح ، أكثر منه التأييد .

ومن أمثلة ذلك أن الحفائر الحديثة التى قام بها السيد « ليونارد وولى » فى « أور » كشفت عن بقايا كاملة ممتازة من آلات الجنك كانت تستعمل فى مدينة « ابراهيم » قبل مولده بألف وخمسمائة عام .

وقد كانت هذه البقايا كاملة بحيث أمكن إعادة تركيب آلات الجنك بطريقة تطابق تماما ما كانت عليه من قبل . فالشواهد تقطع بأن آلات الجنك كانت موجودة وأنه تبعاً لذلك قد وجد النوق الموسيقى عند « السومريين » في « أورد » في ذلك التاريخ القديم .

وإذا افترضنا أن الحفائر في « أورشليم » قد كشفت عن جنك آخر يحمل نقشا يستدل منه على انتسابه الى « داود » فس نجد على الفور بالطبع فريقاً من الناس يصر على أن هذا الكشف يؤيد الفكرة القائلة بأن « داود » كتب جميع المزامير التي تنسب إليه ، وبذلك لا يكون هناك أمل في خلاص أى فرد يعتقد غير ذلك .

ودون شك - كما هو واضح لأى شخص متزن - لا يؤيد الكشف شيئاً من هذا القبيل ، فإذا كان الجنك أصلياً ومعاصراً لداود ، وإذا كان النقش حقيقياً أيضاً ومعاصراً له (وكلمة « اذا » في الحالتين هامة للغاية) فإن ذلك لا يعنى إلا أن « داود » كان - في كل الاحتمالات - مغرماً بالموسيقى الى حد أنه كان هو نفسه يملك جنكاً .

كما يعنى أن الموسيقى في فلسطين في أيامه كانت اما متقدمة أو متأخرة ، وذلك وفقاً لخصائص الآلة المكتشفة ، ويعنى أن قصة مثل تلك التي تصور ملك إسرائيل مستقبلاً يضرب على الجنك أمام الملك « شاعول » محتملة في حد ذاتها .

وفي نفس الوقت لا داعى للقول بأن هذا لا يتقدم بنا خطوة واحدة نحو اثبات أن « داود » قد كتب كلمة واحدة من المزامير .

ان كل ما يمكن استنتاجه في هذه الناحية هو أنه من الممكن لرجل كان مغرماً بالموسيقى الى حد امتلاكه لجنك ، أن يكون لديه من النوق الأدبى ما يمكنه من كتابة أغان تصاحب موسيقى الجنك .

والشيء الغريب حقاً ، فيما يتعلق بالتنقيب فى الأماكن التي وردت بالتوراة ، هو عدم وجود أى شاهد له علاقة مباشرة بنصوص التوراة .

وكذلك تلك التفسيرات الباعثة على الشك في الحالات القليلة التي وجدت فيها صلة مباشرة .

ولعل خير ما يوضح هذه النقطة هو كشف « بترى » عام ١٨٩٦ للوحة منفتاح المشهورة التي جاء بها ذكر مباشر لإسرائيل (١) ، فهنا نجد كشفا طالما ترقبه ، منذ سنوات عديدة ، أولئك الذين يعتقدون أن مثل هذه الأشياء هي ثمار الحفائر الوحيدة الجديرة بالاعتطاف .

إذ نجد به إشارة صريحة لإسرائيليين سكنوا أرض فلسطين ، ومع ذلك ، فقد نتجت عن هذا الكشف بلبلة كبيرة ، جعلت من الصعب التمسك بوجهات النظر التقليدية فيما يخص بتاريخ الخروج .

والواقع أن كل ما يمكننا إقراره هو أن ما جاء في التوراة عن قصة إسرائيل القديمة ، وخاصة الخروج ، ما هو إلا جزء فقط من قصة أكبر يجب أن يكشف النقاب عنها تماما .

ومن الطبيعي انه يصعب التصريح بأنه ليس لأى فرد الحق في أن يقول ان نتائج الحفر لم تؤيد أو تنفى اية واقعة في الكتب المقدسة . فهناك تفسيرات معينة ذات أهمية وقوة . وقد أسفرت عن إمكان أو احتمال صدق وقائع معينة ، ولكن من العسير علينا أن نذهب الى أبعد من ذلك .

والشخص الذى يزعم العكس انما يسيء الى قضية الحق المنزل أكثر مما يساندها بصوغه لوقائع يعلم أى شخص ملم بالحقائق الفعلية أنها

(١) هي لوحة كبيرة من الجرانيت القائم يبلغ طولها أكثر من ثلاثة أمتار ، أقامها الملك أمنحتب الثالث من ملوك الأسرة الثامنة عشرة في طيبة ثم استعملها منفتاح من ملوك الأسرة التاسعة عشرة في تدوين نص يخلد انتصاراته الحربية .

وقد وردت في النص جملة مضمونها « لقد قضي على إسرائيل ، ولم يبق لها بذرة » . وهذه هي المرة الوحيدة التي ذكرت فيها كلمة « إسرائيل » في النصوص المصرية القديمة .

أما غير صحيحة وأما مبالغ فيها ، ومع ذلك ، وإن كثرة التحريف للحقائق الأثرية الذى عمل ، بقصد غير سيء ، لمساندة توراة نزل بها الوحي شفويا ليعد دليلا على صدق وحيوية الكتب المقدسة التى عاشت وسوف تعيش على الرغم من هذه المناسبات التى يجانبها الصواب .

يبدو أن كل هذا مخيبا لآمال أولئك الذين يعتقدون اعتقادا مخلصا وعميقا فى صدق التوراة ، والذين عاشوا وفى أذهانهم تلك الفكرة الخاطئة بأن كل ضربة معول فى الأرض هى الزام للمكتشف بتأكيد وقائع التوراة .

ولكن ما يجب أن يعلن فقط وفى اعتدال هو الحق الواضح والانطباعات الأولى للحقائق . ولننظر مثلا بأعمال التنقيب فى إقليم دى جو متقلب كـفلسطين ، ذلك الإقليم الذى لم يكن طوال تاريخه لدولة عظيمة أو لشقافة أصيلة . بل كان دائما نهبا للحروب التى ألحقت به من التخريب ما لم يلحق بأى إقليم آخر على الأرض .

ففى إقليم مثل هذا ، لا يمكن أن تسفر أعمال الحفر عن نتائج تضاهى فى أهميتها النتائج التى يمكن الحصول عليها من أرض مصر أو العراق ، وقد كانت مراكز امبراطوريات عظيمة عاشت طويلا .

وكانت مصر على الأقل تتمتع بمناخ أنسب للمحافظة على تراث الماضي العظيم . وهناك اعتبار آخر يجب أن ندخله فى حسابنا ، وهو أن أعمال الكشف فى فلسطين لا تزال فى مراحلها الأولى .

هذا بالإضافة الى أنه لا يحتمل أن يكشف فى بلاد أكثر عظمة وغنى من فلسطين مثل مصر والعراق - تلك البلاد التى أمدت علماء الآثار بثروات وفيرة - ما يشير الى البلاد المقدسة أو الى التاريخ المتصل بالتوراة ، فأرض فلسطين على الرغم من عظمتها فى أعياننا بسبب تفوقها فى التاريخ الدينى للجنس البشرى كانت صغيرة نسبيا اذا ما قورنت بتلك الامبراطوريات العظيمة .

لقد كانت بالنسبة لمصر بمثابة ركن مشاغب - نوعا ما - بين أركان تلك الامبراطورية العظيمة . ولم تكن كذلك بالنسبة لبابل أو نينوى ، وإنما كانت مصدرا مستمرا للمتاعب والفساد ، هكذا كانت فلسطين - على الرغم من أهميتها العظيمة - لا تعدو في نظر تلك الدول الكبيرة جسرا يمكن بواسطته أن تهاجم احداها الأخرى أو تتاجر معها .

حقا لقد كان لدى تلك الامبراطوريات العظيمة ما يمكن أن تفكر فيه مما هو أهم من فلسطين الصغيرة ، التي هي على الرغم من ذلك ، قد فاقتها جميعا في الأهمية الحيوية للعالم .

وكما سبق أن ذكرت ، فقد حصلنا ، وسوف نستمر في الحصول على تفسيرات ، لاشك أن بعضها مثير للغاية . ولكن لا يحتمل أن يظهر تأكيد مباشر للنصوص الواردة بالتوراة في أى موقع بالشرق الأدنى فيما عدا فلسطين ، وحتى في مثل ذلك الموقع فان احتمال ظهوره قليل .

قد يكون هذا مخيبا للآمال ، ولكنه لا يعدو الحق . انه يبدو لنا اذا ما تأملنا الموضوع أنه اذا لم تكن نصوص التوراة قادرة على ابراز جدارتها بنفسها ، فانه لا يحتمل أن تكون الاكتشاف الأثرية ذات فائدة كبيرة بالنسبة لها .

والآن نعود ثانية الى « دفنه » بعد هذا الاستطراد الطويل الذى يرجع قبل كل شيء الى « محاولة تأكيد نبوءة ارميا » ، وهى محاولة لم تؤكد شيئا - كما رأينا - ولو أنها قد وضحت الكثير ، وقد كشف بترى - بالاضافة الى المخلفات الهامة للقلعة - عن شواهد كثيرة لاقامة الاغريق تتمثل في شقاف من فخار اغريقى .

والشيء الغريب في فخار « دفنه » أنه على الرغم من كونه اغريقيا دون شك فانه يختلف تماما في أسلوبه عن فخار « نقراتيس » ، المدينة المحصنة الأخرى التى أقام بها الرجال البرونزيون القادمون من البحر .

٩٥ -

وفخار « دفنه » - وهو على نمط الفخار المصرى فى شكله - يحتفظ بالكثير من مميزات الفن الاغريقى فى الزخرفة على الرغم من تأثره بالفن المصرى أيضا . وقد عثرنا على اناء رائع (محطم الى ٩٩ قطعة) فى أحد ممرات القلعة ، وكان مزخرفا بصور : بورياس (١) وتيفون . ويظهر انه كان قد صمم لاهدائه لحاكم الاقليم أو ربما لفرعون عند زيارته للمدينة .

وتعد « دفنه » إحدى المدن القليلة بمصر التى يمكن تحديد تاريخها بدقة فيما يختص بقيامها وسقوطها ، فقد أسسها « إسماتيك » سنة ٦٦٥ قبل الميلاد ، وهجرت عام ٥٦٤ قبل الميلاد عندما أصدر « أحبس » قرارا بأن تكون « نقرأطيس » الميناء الاغريقى الوحيد .

ونماذج الفخار الموجودة فى المكان تتفق مع هذا التاريخ ، إذ يحتفى الفخار الاغريقى من المكان قبل دخول الفخار الأحمر المزخرف الذى يرجع الى حوالى ٤٩٠ قبل الميلاد .

وقد افترضنا أن يصل الزائر الى « دفنه » من « نبيشة » ، وربما يكون من غير المحتمل الوصول اليها من أى اتجاه آخر ، إذ يندر أن يزورها غير فرد له رغبة قوية فى إضافة تل آخر الى جعبته .

ولكن يجدر بنا أن نذكر أنه يمكن الوصول الى القلعة الاغريقية القديمة من « القنطرة » على ظهر حمار فى فترة تتراوح بين ساعتين ونصف ساعة وثلاث ساعات . وكما هو الحال فى « صان » و « نبيشه » ، ليس فى « دفنة » ما يستحق رؤيته مما يمكن أن يكون واضحا أو هاما بالنسبة للزائر العادى غير القليل .

ويمكننا اذا ما سافرنا مباشرة بالخط الحديدى من القاهرة الى المنصورة - بدلا من استخدام الخط الفرعى عند (أبو كبير) كما فعلنا

(١) اله ربح الشمال عند الاغريق .

للوصول الى « تانيس » و « نبيشه » و « دفنه » - أن نصل مباشرة الى السنبلابين على مسافة ٧٩/٢ ميلا من القاهرة .

ويقع على بعد ستة أميال الى الشمال الشرقى من المحطة تلان يحددان مواقع مدن قديمة هامة ، فالتل الواقع الى أقصى الشمال منهما يسمى حاليا « تل الربع » ، بينما يسمى التل الواقع الى أقصى الجنوب تل « تمى الأمديد » .

وهو اسم يحتفظ باسمين كلاسيكيتين هما « تمويس » و « منديس » ، والأخير منهما يقابل الاسم المصرى « بانب ددى » وقد عبد في هاتين المدينتين اللتين اتحدتا قبل عصر البطالة الاله « آمون رع » في شكل الكبش المقدس ، ولكن الاسم القديم لمنديس يشير الى عبادة أقدم حين كان يعبد بها اله بدائى يرمز له بالمعبود « جد » وقد دخل هذا الرمز بعد ذلك في عبادة « أوزوريس » وأصبح يمثل العمود الفقرى لأوزوريس المبتور الأعضاء ، واستخدم في جميع أنحاء مصر كتعويذة تمثل وترمز الى القوة والثبات .

والكيش المنديسي يعد مثلا من أشهر الأمثلة لما يسمى - دون وجه حق - عبادة المصريين للحيوانات ، حين عبد الحيوان كرمز للاله الذى يمثله ، ولو أن المتعبدين المحدودى الثقافة - وهم دائما الأغلبية - راوا الاله فى الحيوان نفسه ، ولم يعتبروه مجرد رمز له .

وقد أهدى الملك « أحمس » فى عهد الأسرة السادسة والعشرين الى الكبش المقدس فى « منديس » أحد النواويس الكبيرة المصنوعة من قطعة واحدة من الحجر ، والتي كانت شائعة فى ذلك الوقت . ولا يزال ناووس « منديس » قائما ويبلغ ارتفاعه قرابة السبعة أمتار .

وهناك أيضا لوح تذكارى كبير أقامه كهنة « منديس » فى معبدهم بذكرًا للزيارة التى قام بها بطليموس الثانى وزوجته « أرسنوى » للمعبد .

ويذكر النقش الموجود على اللوح أن هذه الزيارة تمت مباشرة عقب توليه الملك ، وبذلك كان كبش « منديس » أول حيوان مقدس عبده جلالته ، وهي واقعة كانت موضع فخر الكهنة .



(شكل رقم ١٤)

الاله خنوم على شكل كبش مقدس رمزا للقوة والثبات في منديس

وقد أبحر بطليموس في البحيرة المقدسة للمعبد في القارب الالهى ، وأمر بإعادة بناء المعبد . « ثم عاد الى عاصمته وقلبه مفعم بالسرور لما أداه نحو آبائه الكباش العظام الأحياء في منديس » .

وأخيرا عندما توفيت الملكة « أرسنوى » التى كانت الكاهنة العظمى للكبش المقدس اقيمت الطقوس الجنائزية من أجلها ، وأعفى الملك مدينة « منديس » من بعض الضرائب ، وقد تمت إعادة بناء المعبد فى السنة الواحدة والعشرين من حكم بطليموس ، وتوج كل هذا باكتشاف كبش مقدس جديد حقق حاجيات الكتابات المقدسة .

وتبعاً لذلك نصب الكبش بلقب « الروح الحى لرع » ، والروح الحى لشو ، والروح الحى لجب ، والروح الحى لأوزوريس » . وقد مجده تمثال الملكة « أرسنوى » المتوفاة بوضعه الى جانب الكبش المقدس فى الاحتفال .

(م. ٧ الآثار ج ١)

وعلى كل حال ، فان خرائب « تمويس » و « منديس » بحالتها الراهنة لا تستأهل الجهد الذى يبذل فى سبيل زيارتها ، ولكن تاريخها كان يثير الاهتمام كمثل للون فن التفكير المصرى الغريب تجاه الدين (١) .

وعلى الجانب الآخر من فرع دمياط ، وعلى مسافة ١٣ ميلا تقريبا غربى السنبلوين كانت تقع مدينة « بوزيريس » على مقربة من النهر (٢) . وكانت « بوزيريس » مدينة هامة باعتبارها المكان الذى قيل ان العمود الفقرى لأوزوريس قد دفن فيه .

وكانت تمثل بها التمثيلية العاطفية : « نصب العمود الفقرى لأوزوريس » بينما كانت تمثل تمثيلية أخرى فى « أبيدوس » حيث قيل ان رأس الاله قد دفن فيها . وكان طبيعيا أن تقدر هذه المدينة الالهة ايزيس بصفتها الزوجة المخلصة لأوزوريس ، وقد ذكر لنا هيرودوت ، ان كل الرجال والنساء - الذين يبلغ عددهم عشرات الألوف - كانوا يضربون أنفسهم بعد التضحية .

« وذلك فى أثناء الاحتفال الكبير ببوزيريس » ثم يستمر صاحب الحديث محتفظا بتكتمه المعتاد فيما يتعلق بالطقوس الدينية الخاصة بأوزوريس ، فيقول : « لأجل من يضربون أنفسهم ، انه لمن العقوق أن اكشف عنه » (الجزء الثانى - ٦١) .

ويمكن الوصول الى منطقة أو منطقتين من المناطق ذات الشهرة القديمة عن طريق خط طنطا - المنصورة - دمياط الذى يمر فى جزء من

-
- (١) عثر بمنديس على مجموعة من اللغائف البردية اليونانية أمدتنا بمعلومات مفيدة عن أحوال المنطقة فى القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد .
 - (٢) تقع مدينة بوزيريس وجبانيتها تحت قرية « أبو صير بنا » وبجوارها ، وهى قرية تقوم فوق تل عال على بعد أربعة أميال من سمندوت ، ولم تعمل بها حفائر ، وما عثر عليه من آثارها قليل جدا لوقوعها تحت تلك القرية وتحت الأرض الزراعية التى يملكها المرحوم على المنزلاوى .

أجمل أجزاء الدلتا . وبالقرب من ميث غمر يقع « تل المقدم » وبه معبد مخرب يرجع تاريخه الى عصر « أوسركون » الثانى من ملوك الأسرة الثانية والعشرين (١) .

وهو ما يعنى فى عرف التاريخ المصرى « قبل أمس » ويوجد شمال محطة « سمنود » والتي يسكنها أكثر من ١٤٠٠٠ نسمة بقايا ما تخلف من مدينة « سبنوتس » (تب نتر المصرية) وهى مدينة جديدة بالاحترام من كل دارس للتاريخ المصرى باعتبارها المدينة التى ولد فيها « مانيثون » - المؤرخ المصرى الذى قسم تاريخ مصر القديم الى ثلاثين أسرة فكان ذلك بمثابة اطار رسم بداخله حقائق ذلك التاريخ .

وقد كان من المؤلف فى الجيل الماضى - (ولكن لم يعد مألوفاً كثيراً فى السنين الحديثة) التصغير من شأن « مانيثون » كمؤرخ ، ولكن من حق « سمنود » أن تطالب بتمجيدها من جميع الذين يقدرّون مانيثون باعتبارها المدينة التى أخرجته للعالم ، وكذا من جميع الذين يغمطونه حقّه ، إذ أنها قدمت لهم ولدا يضرب بالسياط قد أفادهم (٢) ، وموضوعا يسلطون عليه أقلامهم ، ومع ذلك لا يوجد شيء جدير بالذكر فى مسقط رأسه يخلو ذكراه (٣) .

(١) عثر فى هذا التل على بعض التماثيل من الدولة الوسطى وعلى مقابر من الأسرة الثانية والعشرين بها الكثير من الحلى ، من أهمها حلقة صغيرة للصدر من الفضة والذهب والأحجار الكريمة تمثل أحد الآلهة جالسا على زهرة لوتس تكتنفه آلهتان ، والحلقة لأميرة من الأسرة الثانية والعشرين تدعى « كاما » وهى محفوظة بالمتحف المصرى .

(٢) يقصد المؤلف بذلك تلك القصة المعروفة عن طفل كان يتعلم مع أمير ثم يتلقى العقاب منه .

(٣) كانت هذه المدينة عاصمة لمصر فى عهد الأسرة الثلاثين ، آخر

وعلى مسافة أربعة أميال من « سمنود » نصل الى « ميت عساس » ،
وعلى بعد ميلين ونصف ميل شمال « ميت عساس » نصل الى « بهبيت
الحجر » ، وهى الايزيوم (مدينة ايزيس) الرومانية التى كانت تعرف عند
المصريين باسم « بر - أهبيت » .

وعلى الرغم من أن اسمها الرومانى يربط المكان بايزيس ، فقد كان
يعبد بها الثالوث الأوزيرى آلكون من « أوزوريس » و « ايزيس »
و « حورس » . و « الايزيوم » أسعد حفظا من معظم مناطق الدلتا ، اذ أنها
لا تزال تحتفظ ببقايا هامة من معبدها القديم .

وقد بنى المعبد فى عصر متأخر جدا من تاريخ مصر فى أيام « نقطانبو »
الأول (١) من ملوك الأسرة الثلاثين ، و « بطليموس فيلادلفوس » بعد ذلك .

ولا تزال هناك بقايا السور المبنى باللين الذى يضم خرائب ذلك
البناء ، والذى كان فى أحد الأيام معبدا كبيرا . وهذه الخرائب تتمثل فى
كتل من حجر الجرانيت الأحمر والأشهب ، الذى تميزت به مباني
« نقطانبو » فى الدلتا .

ولابد أن هذه المباني قد كبته الكثير من التكاليف والجهد ،
لأن الجرانيت الأحمر كان يجلب من أسوان فى الطرف الآخر من المملكة .

=

الأسرات الفرعونية ، وتجدر الإشارة الى أن هناك عدة مواقع أثرية
أخرى بهذه المنطقة نذكر منها على سبيل المثال « البقلية » شمال « تل
المقدام » ، و « بهبيت الحجر » شمال « سمنود » ، و « تل البلامون » فى
أقصى الشمال بالقرب من فرع « دمياط » .

(١) ثانى الملكين اللذين دعيا بهذا الاسم .



(شكل رقم ١٥)
يمثل الاله أوزوريس

والنقوش الباقية من عمل البطلمة ، وهى تمثل الملك يقدم البخور لايونيس ويهب الهبات من الأرض لأوزوريس وايونيس ، وتتناثر فى المكان بقايا الأعمدة والعوارض وغيرها .

والى الشمال الغربى من الخرائب لا تزال توجد البحيرة المقدسة للمعبد ، التى كانت تسبح فيها مركب الاله أو الالهة . والايديوم به من الآثار ما يبرزه للزائر أكثر مما تبرزه معظم مناطق الدلتا ، ولكن يجب ملاحظة أن آثارها ترجع الى عصر متأخر ، وأنها لا تثير نفس الاهتمام الذى يثيره أى أثر من عصر أسبق (١) .

(١) هناك مواقع أثرية أخرى فى الدلتا لم يشر المؤلف اليها ، نذكر منها على سبيل المثال مدينة سخا (خاسوت بالهيريوغليفية واكسويس باليونانية) التى كانت عاصمة للوك الأسرة الرابعة عشرة والتى كانت تعد من أمهات المدن فى العصر اليونانى الرومانى .

وقد وجد فى أطلالها الكثير من الحلى والعقود والعملات البطلمية وبعض

والدلتا كلها بوجه عام تبعث الخيبة في نفس الزائر الذى يأمل رؤية آثار عظيمة مصر القديمة . وإذا لم يكن لديه الميل العميق الى دراسة تفاصيل تاريخ وحضارة مصر فأحرى به أن يدع جانبا مناطق الدلتا مؤقتا ؛ وأن يكون انطباعاته الأولى من المناطق التى لا تزال مخلفاتها تثير فورا الاحساس بعظمة الحضارة التى أقامت مثل هذه الآثار .

ومع ذلك فان الدلتا - على الرغم من الحالة السيئة لخرائبها

=

التمائيل منها تمثال من البرونز يمثل الآله أبولو الطفل ويرجع الى القرن الأول أو الثانى بعد الميلاد وهو معروض بالمتحف المصرى . كذلك من بين المناطق الأثرية الهامة بالوجه البحرى ، التى لم يرد ذكرها فى الكتاب ؛ بعض المناطق التى ظهرت أهميتها بعد اجراء حفائر بها فى السنوات الأخيرة ؛ ونذكر منها منطقة كوم الحصن ، مركز كوم حماده ، حيث عثر على جبانة شاسعة يرجع تاريخها الى عصر الدولتين الوسطى والحديثة .

وقد وجدت بها مجموعة كبيرة من العلى والأسلحة والمرايا والتمائم والأواني الفخارية المرمية وغيرها . وقد كشف فى منطقة « كوم فرين » مركز الدلنجات عن مجموعة كبيرة من المقابر من عصور مختلفة ، تمتد من عصر الدولة الوسطى حتى العصر اليونانى .

وقد عثر بين مقابر العصور المتأخرة على دفنات يونانية صرفة ، مما يرجح أن اليونانيين قد نزحوا اليها من نقراتيس (كوم جعيف الحالية) التى كانت أحد مراكز التجارة اليونانية .

أما منطقة كوم تروجه مركز « أبو المطاير » فقد عثر بها على عدد من الحمامات من العصر اليونانى الرومانى ، كذلك كشف فى منطقة تل ميت يعيش مركز ميت غمر عن بقايا مدينة كانت عامرة فى العصر اليونانى . وقد عثر بها على كمية كبيرة من العملات الفضية والبرونزية من العصر البطلمى .

القديمة - لا تتميز فقط بجمالها الحالي ، بل كذلك بتأثيرها القوي كشاهد حي على الحياة والنشاط في العصور القديمة اللذين لم يتركوا فوق أديمها سوى دلائل محدودة على وجودهما ، والتي تصعب مقارنتها ببقايا المدن الكبرى بمصر الوسطى والعليا .



(شكل رقم ١٦)
ايزيس تحمى أوزوريس بجناحيها
(متحف برلين)

وقد سجل أحد فراعنة مصر القديمة في الفترة المضطربة الواقعة بين الدولتين القديمة والوسطى في تعاليمه لابنه ، ما اعتقد أنه السياسة الحكيمة التي يجب اتباعها للمحافظة على السلام والرخاء في الدلتا ، فقال : « شيد المدن في الدلتا ، ولن يكون اسم الشخص صغيرا ما دام قد فعل كثيرا . »

والمدينة المسكونة لا ينالها الضر ، ولهذا فان عليك أن تشيد المدن » . وقد اتبع الملوك اللاحقون نصيحة الملك « خيتي » بكل اخلاص ، ولا بد أن الدلتا كانت في أيامها المجيدة تزدهم وتعج بالسكان ، كما تشهد بذلك

- ١٠٤ -

الكيمان العديدة ، التي على الرغم من أن القليل منها هو الذى يستحق الزيارة الآن ، أو يحتمل أن ينقب فيها جيلنا الحالى ، فان كثرتها فى حده ذاتها مؤثرة للغاية .



(شكل رقم ١٧)

الاله حورس على هيئة الملك الصقر

وقد كتبت « مس أماليا أدواردز » فى كتابها الممتع « الفراعنة والفلاحون والمكتشفون » ما يلى : « تتناثر التلال الكبرى فوق سطح البلاد ، وتزداد كثافتها فى الدلتا .

وهى أول ما يثير فضول المسافر عندما يدير ظهره من الاسكندرية متجها نحو القاهرة ، فاذا ما اطل من نافذة القطار رأى على مسافة ميل أو ميلين ، وسط مزارع القطن ، كوما ضخما غير منتظم الشكل داكن اللون غير ذى زرع ، يرتفع حوالى خمسة عشر أو عشرين مترا ، ويبدو كأنه يغطى مساحة من الأرض تبلغ حوالى خمسة عشر أو عشرين فدانا .

- ١٠٥ -

ولا يكاد يبعد هذا المنظر الغريب ، حتى تقع العين ثائية على
تلين أو ثلاثة ، بعضها صغير ، وهكذا يستمر الحال طوال الطريق الى
القاهرة . والمسافر لا يكاد يصدق لأول وهلة أن كل تل من هذه التلال
يضم بقايا مدينة قديمة .

وعندما يتابع السفر ويزداد تعرفه على البلاد ، يكتشف أن هذه
التلال لا تعد بالعشرات فقط ، بل بالمئات ، وهى من الكثرة بحيث أنه
لو أمكن تجسيم الكثير من المناطق بالدلتا بشكل بارز لبدت على الخريطة
كأنها مناطق بركانية (١) .

هذه المعالم المميزة للدلتا هى التى تلفت نظر الزائر أكثر بكثير من
البقايا الخربة للمدن التى كشفت عنها الحفائر ، وهى التى تحدثه عن عظمة
وحيوية مصر القديمة . ويندأ لا يستطيع الزائر أن يغفل من الاحساس
بعظمة الماصي حتى ولو لم يقف ليرى ما أسفر عنه القليل من التنقيب فى
أعماق تلك التلال من آثار العهود الماضية .

(١) أكثر من هذه التلال قد مهلة المستوى الأرض المجاورة وزرع بعد
فحصه فى السنتين الأخيرة .

الباب الثاني

القاهرة وضواحيها حتى الفيوم

الفصل الرابع

المتحف المصرى بالقاهرة (١)

تخرج مدينة القاهرة العظيمة تماما عن نطاق هذا الكتاب ، وعلى الذين يرغبون فى الحصول على معلومات عن تاريخها وقلعتها وجامعاتها ومساجدها ومتاجرها ومقابر خلفائها أن يطلعوا على كتاب « بينكر » أو « كوك » .

وإذا رغبوا فى المزيد أمكنهم قراءة الكتب الكثيرة عن الفن والعمارة العربية، ولكننا لا يمكننا التفاضي عن أحد أهم معالم المدينة فى أى بحث خاص بالآثار المصرية ، ذلك هو المتحف الكبير للآثار المصرية .

فعلى الرغم من أنه لا يزال فى بعض نواحيه غير جدير بالفرض الذى أنشئ من أجله (١) ، فانه يضم كنزا من الفن والصناعة المصرية لا يقدر بثمن ، وليس له مثل فى أى مكان فى العالم . ويمكن القول على وجه عام بأن أجمل الأمثلة لأعظم عصور الفن المصرى محفوظة هنا على الرغم من أن بعض المتاحف الكبيرة فى أوروبا وأمريكا قد تضم بين محتوياتها أمثلة فردية تنافس ما يفاخر به متحف القاهرة .

(١) أدركت حكومة جمهورية مصر العربية ذلك ، فخططت ثم بدأت خطوات التنفيذ لمشروع انشاء أعظم متحف من نوعه فى العالم وهو متحف الحضارة فى أرض المعارض بالجزيرة (ثم رأى المسؤولون عن الآثار مرة أخرى أن أنسب مكان لذلك المتحف هو أن يكون بجوار أهرامات الجيزة فى طريق مصر الفيوم حيث بدأ فى انشاءه على مساحة كبيرة من الأرض) وسوف تعرض فيه آثار مصر الخالدة عرضا حديثا يتيح للناظر استعلاء روحها وعظمتها .

وتاريخ انشاء وتطوير المتحف طريف في حد ذاته ، ويجدر بنا أن نخصص له جزءا من وقتنا ، حتى يمكننا أن نقدر الصعوبات التي مر بها هذا المتحف العظيم الجامع لكنوز الماضي حتى وصل الى وضعه الحالي .
ويقوم في الحديقة الأمامية للمتحف ضريح على شكل نصف دائرة من الرخام الأبيض ، وفي وسط واجهته على رأس درج صغير يقوم تمثال من البرونز فوق تابوت كبير من الرخام ، نقشت عليه كلمة واحدة هي « مارييت » وتاريخان هما ١٨٢١ - ١٨٨١ .

ويقص علينا السيد « جاستون ماسبيرو » أنه في وقت مضي سألته شخصية كبيرة - لم يشأ عالم الآثار الكبير ذكرها شفقة بها - عندما رأت « التمثال والتابوت » عما إذا كان الراقده هناك هو أحد الفراعنة أم أنه شخصية حديثة ، فأجاب « ماسبيرو » بأنه مؤسس متحفنا .

وعندئذ اقتربت الشخصية المشهورة وقرأت النقش ثم قالت « مارييت » ... « انى لم أكن أعرف أن مؤسس المتحف سيدة » .
وهكذا تكون الذكرى حتى في ذلك البلد الذى استمرت فيه الذكريات مدة أطول منها في أى بلد آخر على الأرض ! .

وانا لنأمل ألا يكون سوى قليلين من زائرى متحف القاهرة في مثل جهل تلك الشخصية الهامة التى خلدها « ماسبيرو » بطريقة غير مألوفة .
ولما كان من غير الممكن أن ينشأ ذلك المتحف دون مارييت، وهو بحق خير من خلد ذكره ، فيجب علينا أن نقدم موجزا لأعماله في مصر .

ولد « أوجست مارييت » ببولونيا في فبراير سنة ١٨٢١ ، وشغل وظيفة مساعد احتياطي في القسم المصرى بمتحف اللوفر عام ١٨٤٩ . وفي السنة التالية، أرسل الى مصر لغرض صوري هو شراء مخطوطات قبطية ، ولكن سرعان ما تحول فكره المتوثب عن هذا الهدف الصغير الخاص بمخطوطات قبطية ، عندما وقع نظره على رأس أحد تماثيل « أبو الهول » بارزا من رمال سقارة .

وقد ذكره موقع « أبو الهول » ومشابهته لعدد كبير من تماثيل « أبو الهول » التى رآها في عدة حدائق في القاهرة

بما سبق أن قرأه في الفصل النصل الذى كتبه « ستراىو » عن « السيراىيوم » فى « منف » ، حيث ترقد جثث عجول أبىس .

وسرعان ما تبخرت من ذهن « مارىيت » فكرة المخطوطات القبطية ، وركز كل اهتمامه وصرف كل اعتماداته المالية فى الكشف عن « السيراىيوم » .

وقد توج عمله بنتائج موفقة سنتحدث عنها فيما بعد . وكان أول تبليغ تلقاه متحفه فى بارىس عن تغيير برنامج ممثله هو اعلان الكشف عن « السيراىيوم » مع أخطاره بأن المبالغ التى كانت مخصصة لشراء المخطوطات نفذت وطلب منه بمبالغ أخرى .

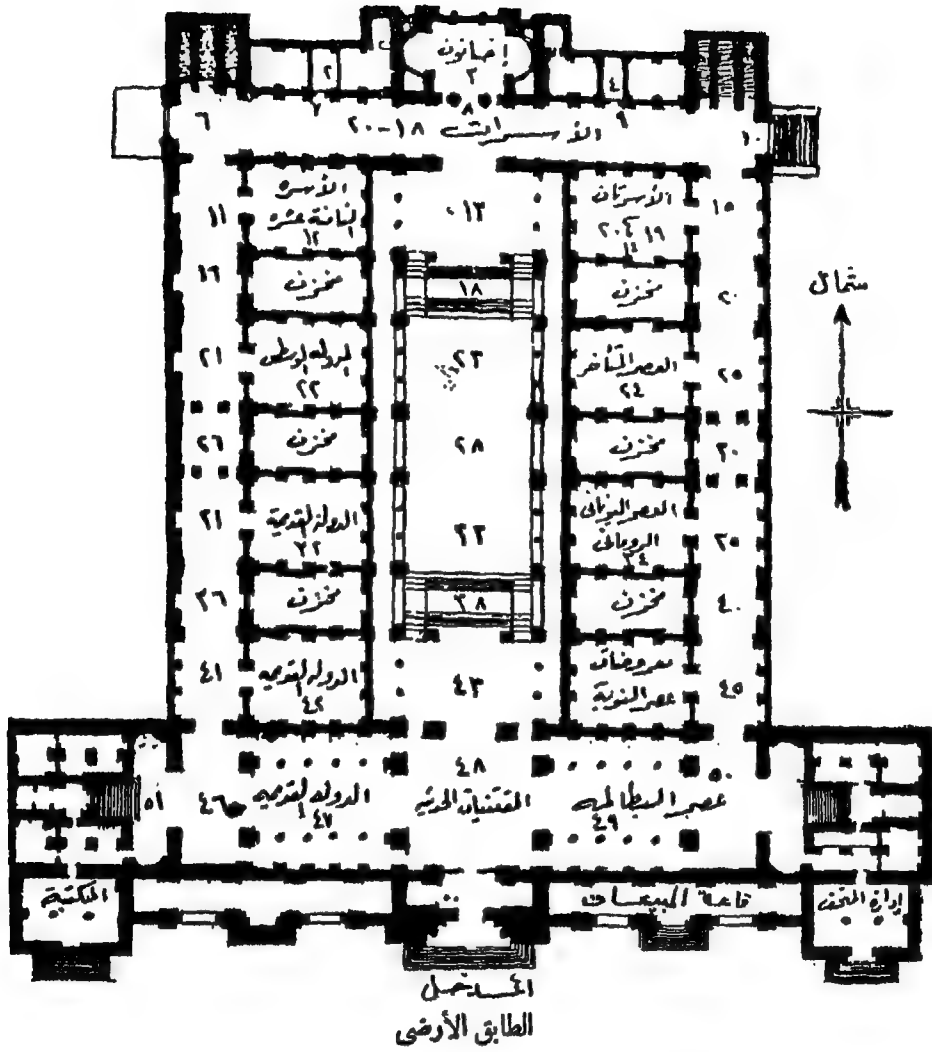
وقد ذاع اسمه بهذا الكشف العظيم ، كما أنه جلب على نفسه كراهية وحقد لجميع لصوص المقابر وتجار الآثار بمصر . وقد كانت كنوز البلاد فى ذلك الوقت تستخرج بطريقة مستهترة متلفة على يد جماعة من المنقبين غير المرخصين .

ويمكن الاطلاع على طرقهم فى كتب من أمثال « قصة بلزوى » . وقد قام بعض منقبى ذلك العصر مثل « باسالكوا » ، والى حد ما « بلزوى » نفسه ، ببعض محاولات لعمل حفائر بطريقة علمية .

ولكن كان معظمهم مجرد مخربين للآثار ، همهم الوحيد اثناء انفسهم ببيع الآثار التى نهبوها وهربوها من مصر الى متاحف أوروبا .

وقد كانت طرق « مارىيت » فى الحفر موضع نقد مستمر وعادل أيضا ، ولكن يجدر بنا - على الأقل - أن نعترف بأنه قد أدرك ، فى وقت لم تكن فيه مثل هذه الأفكار قد بدت من اناس آخرين ، أن أصلح مكان لحفظ آثار مصر القديمة هو مصر نفسها ، وأنه لم يتوان أبدا فى الدفاع عن مثله الأعلى .

- ١١٢ -



(شكل رقم ١٨)
المتحف المصري ، الطابق السفلي

كما لم يتوان في السير به قدما في كل المناسبات حتى رأى أخيرا فكرته قد خرجت الى حيز الوجود بانشاء متحف (ليس هو المتحف الحالي بالطبع). يقل كثيرا عن المتحف المثالي الذي كان يصبو اليه، ولكنه على كل حال حقق فكرته التي أصبحت في النهاية أمرا واقعا .

وقد عين « مارييت » مديرا لمصلحة الآثار عام ١٨٥٨ بسعى من مسيو « دى ليسبس » منشيء قناة السويس ، ونتيجة لنفوذ الامبراطور « نابليون الثالث » . وقد كان سعيد باشا الذي عينه في حاجة الى مساعدة فرنسا الأدبية والمادية .

وقد أوضح « ماسيرو » الأمر في سخريه لاذعة بقوله : « انه قد وصل الى نتيجة هي أنه يمكن أن يكون أكثر قبولا لدى الامبراطور لو أنه أبدى اهتماما بالفراعنة » ، وبعد جهد بالغ نجح المدير الجديد في اعداد أول مكان لتنفيذ خطته عن طريق مكاتب قديمة في بولاق خاصة بالشركة الملاحية استعمالها كمتحف لحفظ الكنوز التي كان نشاطه الغير حكيم أحيانا سببا في تجميعها بسرعة .

وكانت المباني في حالة سيئة الى حد ما ، « لقد كانت مسجدا مهجورا ، مبانيه نصف عارية ، يحوى بعض حظائر قنرة ، ومسكنا موبوءا بالحشرات » كان هو نفسه يسكن فيه . وقد استغل المكان الى أقصى حد ، ولكنه كان غير مناسب بتاتا لتأمين خزن الكنوز التي كانت تزايد بسرعة ، فضلا عن عدم صلاحيته للعرض .

وقد اقتنع « سعيد باشا » عند كشف التابوت والأدوات الجنازية الخاصة بالملكة « اياح حتب » (الأسرة السابعة عشرة) عام ١٨٥٩ بأن هناك حقيقة أشياء في التنقيبات المصرية أثمن من الأحجار القديمة . ومن ثم نجح « مارييت » تدريجيا في السير بمتحفه على أسس ثابتة .

ولكن عمله - حتى وفاته عام ١٨٨١ - كان تحت رحمة ساداته المرففين الشاذين من أمثال سعيد واسماعيل اللذين كانا غارقين في الديون ، (م ٨ الآثار ج ١) ،

ويتطلعان الى كنوز « مارييت » الثمينة باعتبارها رهائن يمكنهما التفاوض على حسابها عند التقدم الى البيوت المالية الأوروبية لعقد القروض .

وقد وعد اسماعيل وعودا ضخمة بإقامة بناء فخم في حديقة الأزبكية ، التى تقع فى وسط القاهرة يضم ، الى جانب متحف الآثار المصرية ، متحفا للفن اليونانى الرومانى وآخر للفن العربى ومعهدا مصرى ومكتبة ، ولكن الوعد شيء والتنفيذ شيء آخر .

ولذا سار « مارييت » بخطوات ثابتة نحو توسيع مبانيه القديمة فى بولاق . وفى عام ١٨٦٣ افتتح اسماعيل باشا رسميا متحفه ببولاق بعد ادخال تحسينات عليه ، على الرغم من أن الشعور بالخوف من مواجهة الموت منع الخديوى من الدخول فى مبنى يضم موميات عظماء المصريين .

وبعد ذلك بأربع سنوات ، حارب المدير المتحمس فى سبيل الاحتفاظ بالمجموعة الرائعة من الآثار التى تضم معظم القطع الهامة من مجموعته التى أرسلت للعرض بالمعرض العالمى بباريس ، فقد استهوى هذا الكنز الرائع الامبراطورة « أوجينى » وطلبته من « اسماعيل » .

ولكن الخديوى - وكان مفلسا كعادته - لم يستطع رفض طلبها مباشرة ، بل جعل هديته مرهونة بموافقة « مارييت » إذ قال : « هناك فى بولاق من هو أقوى منى ، وعليك أن توجهى طلبك اليه » . وقد كان « لمارييت » من الشجاعة والعناد ما جعله يقاوم المناورة الامبراطورية ، ومما يشرفه أنه احتفظ بكنوزه للمتحف وخسر رعاية الامبراطورة .

وفى عام ١٨٧٨ تسبب ارتفاع النيل ارتفاعا غير عادى فى اغراق صالات المتحف ، وكان لا بد من إقامة الكثير من المباني الجديدة ، حيث أن المال لم يكن قد اعتمد بعد للمتحف الجديد .

وما أن أوشكت الأمور فى التحسن نوعا ما ، حتى وقع « مارييت » فريسة المرض الذى أودى بحياته . ومما يثير الشجون قراءة تلك الكلمات التى وصف فيها « ماسبيرو » الساعات الأخيرة للرائد العظيم : « فى

ساعات احتضاره الأخيرة رأى أمامه قيام المتحف المثالى الذى كان يتطلع اليه طيلة حياته .

وقد تخيل خلال نصف ساعة من الليلة السابقة لوفاته أنه رأى حلمه قد تحقق . وقد كشفت الكلمات المتقطعة التى خرجت من بين شفثيه للمحيطين به عن مدى سروره بتحقيق هذا الحلم « (الدليل - ص ٢٠) .

وفى الساعات الأخيرة من وعيه طفحت أساريره بالبشر عند سماعه أنباء انتصارات غير متوقعة ، اذ أخبره « ماسيرو » أنه نفذ الى داخل أحد أهرام صقارة ، التى كان يعتقد دائما أنها خالية من النقوش ، مثل أهرام الجيزة المجاورة ، فوجد به النقوش التى تعرف الآن باسم « نصوص الأهرام » .

وكانت أساليب « مارييت » فى العمل على وجه عام مرتجلة وغير منتظمة ، كما هو منتظر من رجل كان يعيش كمكتشف ليومه فقط ، اذ لم يكن يعرف قط متى تقطع موارده التى كانت تتأثر بأهواء « سعيد » و « اسماعيل » .

وفى حماسه للحصول على قطع قيمة للمتحف - كبراهين اضافية لاقامة متحفه - قام بحفائر فى عدة أماكن فى وقت واحد ، مما جعل من المستحيل عليه أن يشرف اشرفا كاملا على احداها .

وفضلا عن ذلك فانه قلما نشر - أو لعله لم ينشر قط - تقريرا علميا منظما عن عمله فى أية منطقة ، ولذلك فان نتائج عمله تشوبها الشكوك والاستفهامات التى لا بد أن تنتظر عملا ينقصه التسجيل .

ولكن على الرغم من كل هذه الأخطاء الكبيرة فى أساليب الحفر العلمى فقد بقيت هناك حقيقة ثابتة هى أنه حقق الفكرة التى تتلخص فى أن كنوز مصر القديمة يجب ألا تترك فريسة للطامعين من الخارج ، بل يجب أن تحفظ فى متحف مناسب فى البلد الذى خرجت منه ، كما أنه نجح فى حمل حكام البلاد المستهترين على اتخاذ الخطوات الأولى لاقامة مثل هذا المتحف .

وبعد انقضاء عشر سنوات على وفاته نقل المتحف من بولاق الى «الجيزة» ، وبعد احدى عشرة سنة أخرى (١٩٠٢) نقل الى قصر النيل حيث حفظت الآثار في المبنى الحالى ، وهو مبنى غريب الشكل نوعا ما ، ومن عمل المهندس الفرنسى « م . دور جنون » .

وقد توفى « مارييت » فى الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٨١ ، وخلفه المرحوم سير « جاستون ماسبيرو » الذى اشتهر اسمه فى جميع أنحاء العالم بمؤلفه « تاريخ شعوب الشرق القديم » الذى ترجم الى الانجليزية تحت اسم « فجر الحضارة وكفاح الشعوب وزوال الامبراطوريات » .

وفى عام ١٨٨٦ اعتزل « ماسبيرو » العمل وخلفه السيد « جريبو » ، وفى أيامه نقل المتحف من بولاق الى قصر الجيزة على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة جزيرة الروضة .

وفى عام ١٨٩٢ خلفه السيد « ج دى مورجان » مكتشف كنز دهشور المشهور ، والنقبة فى « سوسة » ، والحجة المعروف فى انسان وعصور ما قبل التاريخ ، وكان أعظم كشف قام به السيد « دى مورجان » بعد اعتزاله خدمة الحكومة المصرية عام ١٨٩٧ هو قانون حمورابى ملك بابل ، وهو الآن باللووفر .

وخلف « دى مورجان » السيد « فيكتور لوريه » الذى ظل عامين ، وذاع صيته باكتشافه مقبرة أمنوفيس الثانى بن تحتمس الثالث ، وقد أرشده الأهالى الى مكانها ، وباعتزال « لوريه » الخدمة فى سنة ١٨٩٩ عاد « ماسبيرو » ثانية الى عمله الأول مديرا للمتحف ومديرا عاما لمصلحة الآثار ، وظل فى مركزه حتى عام ١٩١٤ اذ اعتزل العمل ، وتوفى بعد سنتين فى باريس .

وفى أثناء توليه فى المرة الثانية لوظيفته قام بعمل ضخيم ، فنقل المتحف من قصر الجيزة الى مقره الحالى ، وخلفه المدير العام السيد

« ب. لاکو » المعروف بنشره لكثير من النصوص المصرية . ويشغل السيد « ر. أنجلباک » الآن وظيفة كبير أمناء المتحف ، أما السكرتير العام ، فهو السيد « هنرى جوتييه » (١) .

وقد ظل دليل «ماسبيرو» المعروف فترة طويلة هو المرجع فى محتويات المتحف ، ولكنه الآن قد نفذ طبعه ، وهو على كل حال لم يعد دليلا شاملا ، اذ ان الكثير من المقتنيات الحديثة قد أضيفت الى المتحف منذ نشره .

وفضلا عن ذلك فان المتحف جميعه قد أعيد تنظيمه أخيرا ورقمت القاعات بالأرقام بدلا من الحروف ، على الرغم من أن الأخيرة ظلت باقية لتسهيل مهمة البحث على الذين يستعملون الكتب المرشدة ذات النظام القديم .

وقد جمعت معروضات أخناتون الآن فى قاعة واحدة رقم ٢٠ بالطبقة السفلى (وهى معروضة بالحجرة رقم ٣ بالطبقة السفلى الآن) وآثار « يويا و تويو » فى القاعة ١٣ بالطبقة العليا .

وتشغل معروضات توت عنخ آمون ، جميع الدهاليز الشمالية والشرقية بالطبقة العليا (أرقام ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٥) وآثار « حنب حرس » مجمعة فى الطبقة العليا بالحجرة رقم ٢ ، بينما تشغل التوابيت والموميئات الملكية (كل الموميئات المكشوفة توارت عن أنظار الجماهير) الحجرتين رقمى ٤٦ ، ٤٧ بالطبقة العليا (٢) .

(١) مات الأخيران من زمن ، ولكن السيد لاکو توفى هذا العام فقط ، وقد بلغ حوالى التسعين من عمره . وقد عين الأب دريتون — بعد لاکو — مديرا للمصلحة . وهكذا ظل منصب مدير مصلحة الآثار قاصرا منذ انشائها على الفرنسيين حتى قامت ثورة الجيش سنة ١٩٥٢ فمضت المنصب الذى تولاه مصريون منذ ذلك الحين .

(٢) أعيد عرض هذه الموميئات فى القاعة رقم ٥٢ بالطبقة العليا منذ نوفمبر ١٩٥٩ ويمكن زيارتها نظير رسم دخول .

ووضعت توابيت كهنة آمون بالقاعتين ٥١ ، ٥٧ من الطبقة العليا .
وقد نشر « دليل موجز في وصف الآثار الهامة » بالمتحف وهو يطبع
سنويا بعد اضافة أحدث المقتنيات والاكتشافات الحديثة اليه (١) .

وقد لوحظ في الدليل الجديد أن كثيرا من الزائرين لا يجدون متسعا
من الوقت الا لزيارة أروقة توت عنخ آمون ، وقد يكون هذا صحيحا ، غير
أنه مما يدعو الى الأسى أن تقتصر زيارة الزائرين على الجديد فقط وتهمل
الآثار الأخرى المعروضة .

وعلى الرغم من أهمية مقتنيات توت عنخ آمون فانها ليست الا جزءا
فقط من ثمار الفن والصناعة المصرية ، التي يبرزها المتحف للطالب المحب
للاستطلاع ، ولذا رأى أن تتمشى جولة الزائر قدر المستطاع مع الترتيب
التاريخي للمعروضات ، على الرغم من أنه لا يمكن ذكر أو وصف الا
البعض القليل منها .

وعند دخول المتحف من المدخل الرئيسى نجد أن ما جرت العادة على
تسميته بالقبة والدهليز الكبير والرواق ذى الأعمدة الأربعة يسمى الآن
بأرقام ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ بالطبقة السفلى .

وهنا نرى مجموعة من التماثيل والتوابيت الهامة معظمها كبير الحجم
الوزن . وتجدر ملاحظة تمثال « أمنحوتب بن حابو » رقم ٣ بالرواق
٤٨ بالطبقة السفلى ، وكان صاحب هذا التمثال مهندسا معماريا
ومستشارا للملك أمنوفيس الثالث (الأسرة الثامنة عشرة) ، وقد ألهه
القوم في العصر المتأخر مع آمحتب ، الذى كان يشغل مركزا مشابها في
عصر « زوسر » من ملوك الأسرة الثالثة .

(١) وضع هذا الكتاب المرشد على منوال دليل ماسبيرو لسنة ١٩١٤
واصفا الآثار الهامة دون التقييد بالقاعات ، وهو يطبع الآن باللغات العربية
والانجليزية والفرنسية ، ويلاحظ أنه قد وضعت في المتحف تحت أرقام
عرض الآثار الموصوفة به خطوط حمراء .



(شكل رقم ١٩)

رأس تمثال ضخيم للملك أوسر كاف أحد ملوك الأسرة
الرابعة من الجرانيت الأحمر عثر عليه في صقارة (المتحف المصرى)

وتجدر مقارنة هذا التمثال الضخم برقمى ٤٥٩ ، ٤٦١ بالحجرة ١٢
بالطبقة السفلى الى الشمال . وفى وسط الرواق رأس هائل من الجرانيت
الأحمر من صقارة لتمثال الملك «أوسر كاف» أحد ملوك الأسرة الرابعة (١).

كما تجدر ملاحظة التمثال الهائل لسنوسرت الثالث (رقم ١٠ -
الطبقة السفلى ٤٣) ، وتمثال « سنوسرت الأول » على هيئة «أوزوريس»
(رقم ١١ - الطبقة السفلى ٤٨ - الى الغرب) .

ومما يلفت النظر رقما ٦ ، ٩ (الطبقة السفلى ٤٣) وهما مركبان من
الخشب من مخلفات الملك سنوسرت الثانى بدهشور ، ويلاحظ أنهما
صنعا من قطع صغيرة خشبية قوية بعوارض جانبية ، وكانا بالطبع
مخصصين ليستخدمهما الملك المتوفى فى الآخرة .

(١) صحتها الأسرة الخامسة ، ورقم هذا الرأس بالدليل هو ٦٠٥١

(الطبقة السفلى - ٤٨) .

ورقم ٦٠٢٥ (الطبقة السفلى ٤٧ - الى الشمال الشرقى) من أهم المكتشفات الحديثة ، وهو تابوت من المرمر للملكة « حتب حرس » زوجة « سنفرو » وأم « خوفو » باني الهرم الأكبر ، وقد كشف عنه الدكتور « ج. أ. ريزنر » في مارس سنة ١٩٢٥ .

ولما فتح في ٣ مارس سنة ١٩٢٧ وجد فارغا ، ورقم ٦٠٤٧ (الطبقة السفلى ٤٧ - الى الشمال الشرقى) هو صندوق كانوبى من المرمر ، لا يزال بعض السائل (ماء وصودا) الذى وضعت فيه أحشاء الملكة باقيا في ثلاثة أقسام منه .

وقد جمع باقى الأثاث الجنائزى للملكة في الطبقة العليا (١) - ٢ ، ورقم ٤٤ (الطبقة السفلى - ٤٧ - الى الشمال) تابوت كبير من الجرانيت الأحمر لخوفو عنخ الذى كان يشغل وظيفة مشرف على جميع أشغال المباني الملكية في الأسرة الرابعة .

وهذا التابوت مثال لجمال الصناعة في الدولة القديمة . وتمثال القزم « خنوم حتب » (رقم ١٦٠ - الطبقة السفلى - ٤٧ - خزانة ب) يتميز بغرابته أكثر مما يتميز بجماله ، وهو يثير الانتباه ، إذ أنه يمثل جنسا كانت له جاذبية قوية لدى الفراعنة ، ويشهد بذلك كتاب « بيبى الثانى » لخرخوف ، بشأن عثوره على مثل هذا القزم في السودان .

وكان « خنوم حتب » يشغل وظيفة كاهن ومشرف على خزانة الثياب الملكية في الأسرة السادسة ، والمجموعات الثلاث (أرقام ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٨٠ بالطبقة السفلى ٤٧ - الى الشمال) تمثل الملك « منكاورع » من ملوك الأسرة الرابعة بين « حاتحور » والمعبودات الحامية لمقاطعات كينوبوليس (أسيوط) ، وطيبة (الأقصر) .

(١) وضع تابوت الملكة « حتب حرس » وصندوق أحشائها مع بقية أثاثها الجنائزى في الحجرة ٢ - بالطبقة العليا .



(شكل رقم ٢٠)

تمثال لخدام يقوم بصنع الجعة من القمح والدقيق في العصور
القديمة منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة (من مقتنيات المتحف المصرى)

و « ديو سبوليس بارفا » (عاصمة المقاطعة مكان قرية هو ، مركز
تجمع حمادى) ، جديرة بالملاحظة لدقة صناعتها . وتجدر ملاحظة التماثيل
الصغيرة (أرقام ١٦٨ - ١٧٣ ، بالطبقة السفلى ٤٧ خزانة د) التى تمثل
أخداما فى أوضاع متنوعة فى أثناء عملهم ، يحملون أمتعة سيدهم ونعاله ،
ويطحنون الفلال ويصنعون الجعة .

كما يرى طاه وهو يحمى وجهه بيده من وهج النار ، وبمثل هذه
التمثيل المتواضع للحياة المصرية العادية أصبح ماضى مصر القديمة
أكثر واقعية منه فى أى بلد آخر .

ونقلت النظر الى رقم ١٥٢ (الطبقة السفلى ٤٧ - خزانة ١) الذى يمثل كاهن « الكا » جاثيا ويدها متشابكتان ونظيرة الوداعة ترتسم على وجهه .

وتجدر ملاحظة الرقمين ٦١٧١ ، ٦١٧٢ (بالطبقة السفلى ٤٧) ، وهما التابوت الجرانيتى الأشهب للملكة « مرس عنخ » (نهاية الأسرة الرابعة) ولوحة بالنقش البارز للملكة أخذت من مصطبتها (ينظر ريزنر - نشرة متحف الفنون الجميلة - ٢٥ رقم ١٥٧) .

والآن نتجه نحو القاعات (أرقام ٤١ ، ٤٢ ، ٣٦ ، ٣١ ، ٣٢ بالطبقة السفلى) الى اليسار أو الى الجانب الغربى من المحور الرئيسى للمتحف ، حيث توجد كنوز الدولة القديمة التى تؤلف فى كثير من الوجوه أعظم مفـاخر المتحف .

وليس فى العالم ما يدانى متحف القاهرة من حيث احتفاظه بآثار الدولة القديمة ، هذا وكنوز دهشور واللاهون ومقبرة توت عنخ آمون - على الرغم من أهميتها - لا تستطيع أن تدعى أنها تنافس المخلفات الرائعة التى جمعت هنا من عصر يعتبر من أزهى عصور الفن المصرى .

وتجدر ملاحظة الأعمدة الكبيرة ذات الجمال الفريد والمصنوعة من الجرانيت الوردى (أرقام ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ بالطبقة السفلى - ٤٢ - الى الغرب) وهى من المعابد الجنائزية لأوناس وساحورع ، وكذا رقم ٧٩ (الطبقة السفلى ٤١ - الى الغرب) ورقم ٨٨ (الطبقة السفلى ٣١ - الى الغرب) .

ورقم ٧٩ هو منظر من احدى مقابر الأسرة الخامسة بصقارة (١) ورقم ٨٨ يمثل مجموعة من ستة ألواح بديعة من الخشب المحفور من مقبرة « حسى رع » من مقابر الأسرة الثالثة بصقارة وقد مثل فيها « حسى رع » بمهـارة لا تدانى .

(١) يمثل تكديس الحبوب وكيلها ، ثم طحنها وعجنها ، وكذا وزن الذهب وصناعة التماثيل وغير ذلك من مناظر الحياة العامة .



(شكل رقم ٢١)

تمثال للملك خفرع - الأسرة الرابعة - المتحف المصرى

وفى القاعة ٤٢ (بالطبقة السفلى) يوجد أعظم تمثال من الدولة القديمة ، ونعنى به التمثال المصنوع من الديوريت للملك خفرع باني الهرم الثانى (رقم ١٣٨ بالطبقة السفلى - ٤٢ - وسط) .

وقد عثر مارييت على هذا النموذج الرائع لفن النحت فى مصر منذ خمسة آلاف سنة تقريبا مع ثمانية تماثيل أخرى (أقل حفظا) فى بئر المعبد الجنائزى للهرم الثانى (المسمى معبد أبو الهول) حيث ألغواها المخربون دون نظام .

والتمثال يمثل الملك بحجمه الطبيعي على عرشه وخلف تاجه «باشق» يحمى رأس الملك بجناحيه المنشورين . وأول ما يسترعى الاهتمام هو قدرة المثال الفائقة في التغلب على الصعوبات التي لقيها بسبب صلابة المادة ، وتلى ذلك الطريقة الفنية التي استطاع بها أن يمزج النحت بالأبهة الملكية .

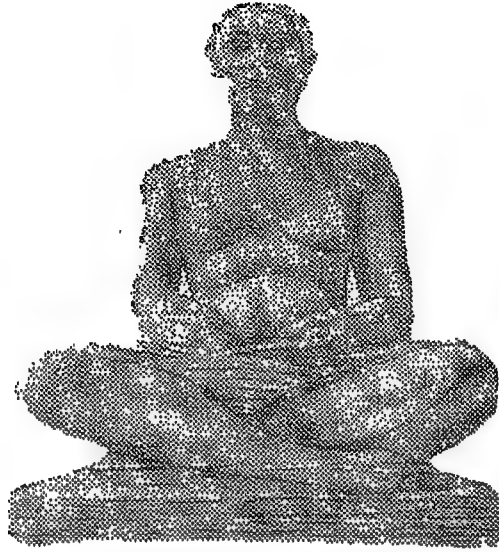
ويعتبر تمثال خفرع مثالا يرمز لفرعون في كل العصور ، فمن الواضح أننا أمام شخصية بارزة ، وقد ذكر « بترى » في كتابه تاريخ مصر (الجزء الأول - ص ٧٠) « أنه تحفة فنية امتزجت فيها بدقة تعبيرات الرجل التي تجذبنا اليه ، وروعة الملك الذي يحملنا على احترامه » .

ونترك آثار الملوك لنذهب الى تماثيل اصحاب الوظائف ذات الطابع العادى التي يمثلها بمهارة متعادلة التمثال الخشبي رقم ١٤٠ (الطبقة السفلى ٤٢ - وسط) . وربما كان أعظم دليل على عظمة تمثال خفرع وهذا التمثال .

ان النماذج المتكررة لم تستطع أن تقلل من قوة التأثير الذي تحدثه التماثيل الأصلية في نفس الزائر . وعندما كشف عمال « مارييت » هذا التمثال الرائع بصقارة بهتوا للشبه العظيم بينه وبين شيخ القرية وقتئذ ، ومنذ ذلك الوقت عرف التمثال باسم تمثال « شيخ البلد » .

ولم يسبق أن صورت الخشونة والاعتداد بالنفس مثلما صورتنا في هذا التمثال الرائع لهذا النبيل ، الذى لم يؤثر فيه القدم ، والذى يبرز التباين الواضح بينه وبين الأبهة الملكية الممثلة في تمثال خفرع .

وعينا التمثال اللتان تضيفان الحياة على الوجه المستدير اللطيف جديران بالاهتمام ، وهما مثبتتان داخل اطارين من النحاس يكونان الجفنين ويضيفان نوعا من التباين والعمق على العين . وبياض العينين من الحجر الجيرى وقرنيتهما من البلور الصخرى ، أما انسان العين فيتكون من رأس دبوس من النحاس .



(شكل رقم ٢٢)

تمثال يمثل الكاتب الجالس المتربع وعلى ركبته ملف منشور من ورق البردى وهو من الحجر الجيري الملون الأسرة الخامسة - متحف اللوفر

والكاتب الممثل تحت رقم ١٤١ (الطبقة السفلى ٤٢ - وسط) يجلس متربعاً وعلى ركبتيه ملف منشور من البردى يمكن أن يحظى بالكثير من إعجابنا لولا أنه يذكرنا بتمثال الكاتب الجالس بمتحف اللوفر ، والذي يعتبر طرازاً مستقلاً بنفسه .

وليس معنى ذلك أن كاتب متحف القاهرة لا يستحق وصف الدليل له بالابداع ، فهذه الصفة متوافرة فيه ، غير أنه يتضاءل إذا ما قورن بتمثال يتصف بأنه أكثر ابداعاً .

وتمثال « منكاورع » المصنوع من المرمر الذي كشفه « ريزنر » في المعبد الجنائزى للهرم الثالث (رقم ١٥٧ - الطبقة السفلى ٤٢ - وسط) ،

وتمثال «زوسر» باني آلهرم المدرج والمصنوع من الحجر الجيري السيليسى والننى وجد بحجرة فى الجانب الشمالى من الهرم (رقم ٦٠٠٨ - الطبقة السفلى ٤٢ - وسط) يلفتان النظر أيضا .

وفى الحجرة ٣٢ بالطبقة السفلى فى الوسط يوجد تمثالان برقم ٢٢٣ من أشهر تماثيل الدولة القديمة ، وهما للأمير « رع حتب » الذى كان رئيسا لكهنة هليوبوليس وزوجته « نفرت » إحدى أميرات الأسرة المالكة .

والتمثالان من الحجر الجيري الملون وجدا فى ميدوم ، ويرجع تاريخهما الى أوائل الأسرة الرابعة . وهما يستحقان ما أضفى عليهما من شهرة ، وربما يكونان أكثر التماثيل المصرية اظهارا للحياة .

ومما يؤكد هذه الصفة لونهما المحفوظ بدرجة مدهشة ، وعيونهما المطلعة التى صنعت بدقة وإبداع يفوقان عيني شيخ البلد .

ويؤكد « ماسبيرو » أن مغنية ايطالية من جيل سابق كانت تشبه « نفرت » شبيها كبيرا حتى انه كان من الصعب التفرقة بينهما اذا وضعت صورتها الى جانب صورة التمثال وهو أمر يمكن تصديقه .

ولكن تجدر ملاحظة التناقض بين العناية الفائقة فى اظهار معالم الرأسين الناطقة بالحياة وبين الاهمال فى صناعة الأطراف . وهذه صفة مميزة للتماثيل الجنائزية بوجه عام ، فالرأس يجب أن يكون واضح الملامح ، اذ أن قرين « كا » المتوفى يعتمد على هذا الوضوح كمنقذ له فى حالة تحلل المومياء .

أما الأطراف فلا تهتم كثيرا ، اذ انه لا داعى اليها لأغراض التعرف ، وتبعاً لذلك فان رسفى « نفرت » (ولا داعى لذكر رسفى زوجها) لا يمكن أن يكونا لسيدة فى مثل هذه الوسامة . ونفس هذا العيب يلاحظ فى التماثيل الأخرى الشهيرة .

ومن أروع أمثلة صناعة التماثيل في الدولة القديمة تماثلان جميلان من الحجر الجيري للكهنة « رع نفر » (٢٢٤ ، ٢٢٥ بالطبقة السفلى ٣٢ — وسط) وهما يمثلان نموذجا صادقا لنوع من الرجال الأشداء ممن عملوا تحت امره فراعنة بناة الأهرام وكذا تماثل تي (رقم ٢٢٩ — الطبقة السفلى ٣٢ — وسط) (١) .

وفي جميع هذه التماثيل تكمن رؤية ما سبقت ملاحظته من التناقض بين العناية بالرأس والاهمال في الأطراف ، وبخاصة في تماثل « تي » حيث يبدو الرأس مبدعا ، بينما تظهر بقية أجزاء الجسم في حالة عادية جدا .

وبعض لوحات المقابر هنا تثير الاهتمام . ومن أمثلة ذلك مناظر الموسيقى والرقص المأخوذة من إحدى مقابر صقارة من الأسرة الرابعة (الطبقة السفلى ٣٢ الى الجنوب) (٢) .

ومنظر لقرود يعض قدم رجل (الطبقة السفلى ٣٢ ، رقم ٣٥) ومنظر يمثل مشاجرة بين بحارة (رقم ٢٣٦ ، الطبقة السفلى ٣٢ — الى الغرب) يتراشقون بالفاظ سوقية ، فأحدهم يقول (اكسر رأسه) وآخر يقول (اقصرهم ظهره) .

وهذه المناظر من صقارة أيضا . واللوح التذكاري لاتي تي (رقم ٢٣٩ — الطبقة السفلى ٣٢ الى الشرق) الذي يظهر المتوفى خارجا من بابه الوهمي ليتناول القرابين هو بمثابة توضيح صادق لعقيدة المصريين في الحياة الأخرى .

(١) وجد في مقبرته وهي من أروع مقابر صقارة ، وترجع الى أيام الأسرة الخامسة .

(٢) نشاهد في هذا المنظر موسيقيين يلعبون على الجناك ويعزفون بالناي ومعهم مغنون قد رفعوا عقيرتهم بالغناء ، وراقصات يرقصن على تصفيق أخريات . وهو منظر من مقبرة « نن خفت كاي » ويرجع الى أيام الأسرة الخامسة لا الرابعة ، ويحمل رقم ٢٣٣ بالدليل .

ورقما ٦.١٠ ، ٦.٥٥ (القاعة ٣٢ بالطبقة السفلى الى الشمال والقاعة ٣٢ في الوسط) مثلان آخران للأسلوب المصرى الغريب في الاحتفاظ بالأقزام بالبلاط في وظائف ذات مسئولية ، فرقم ٦.١٠ هو قبلة من مصطبة القزم « سنب » الذى كان « رئيس جميع الأقزام الموكولة اليهم خزانات الثياب » فى الأسرة الخامسة .



(شكل رقم ٢٣)

تمثال من الخشب لأحد الكهنة من عهد
الدولة الحديثة (المتحف المصرى)

ورقم ٦.٥٥ هو تمثاله ، وقد تزوج « سنب » الذى كان يظهر أنه من أسرة نبيلة ، من سيدة من الأسرة المالكة . وكان صاحب ثراء ، إذ كان يملك ١٠.١٥ رأسا من الثيران ، ١٠.٠٠ من الأبقار ، ١٢.١٧ من الحمير ، ١٠.٢٠ من الأتنة ، ١.٢٠ من الكباش ، ١.٠٣ من النعاج .

والأرقام في حد ذاتها لا بد أن تقنع حتى أكثر الناس شكاً . وإن شعياً احتفظ بمثل السيد « جيوفرى هيدسون » في بلاطه حتى وقت طويل كالقرن السابع عشر لن يجد مبرراً لنقد تصرف مماثل من المصريين الأقدمين (يقصد بذلك الشعب الانجليزى) .

ورقم ١٣٦ (قاعة ٣٢ بالطبقة السفلى الى الجنوب) الذى يمثل رسماً ملونا على الجص لأوز يرمى من مقبرة « نفر معات » (أوائل الأسرة الرابعة) بميدوم يعتبر نموذجاً جديراً بالملاحظة ، يفوق حد المعتاد من حيث أمانة النقل وبراعة التصوير .

ومن بين كنوز المتحف رقما ٢٣٠ ، ٢٣١ وهما تمثالان من النحاس للملك « ببى » الأول وابنه الأمير « مررع » (الطبقة السفلى ٣٢ - وسط) عثر عليهما « مستر ج. ي. كويل » فى (هيراكنبوليس) .

وقد صنعت أجزاء منهما بالسبك وأخرى بالطرق على قالب من الخشب ، والعيون مطعمة . وكلاهما ، على الرغم مما أصابهما من تدمير ، يعدان من أروع القطع الفنية ، ويرجع تاريخهما الى سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد تقريباً ، أى أنهما متأخران بنحو ستة قرون عن الأمثلة الجيدة لنفس الطراز النحاسي الذى كشف عنها السادة « هول ووللى » فى « تل العبيد وأور » .

ومع ذلك فإن « بابل » فى جميع مراحل تاريخها سواء فى حكم السومريين أو الساميين لم تستطيع أبداً أن تخرج الى عالم الوجود ما يشبه تماثيل (هيراكنبوليس) .

والآن يحسن بنا أن نطوف بالحجرات (أرقام ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٦ بالطبقة السفلى) المخصصة للأمثلة من فن الدولة الوسطى والعصر المتوسط الثانى ، الذى تضمن حكم الهكسوس .

وسرعان ما يفاجأ الانسان بالتمثال الغريب المصنوع من الحجر الرملى (م ٩ الآثار ج ١)

— ١٣٠ —

الملون للملك « منتوحتب الثالث » (١) الممثل كملك للوجه البحرى ،
والتمثال ملون بلون أسود ويلبس لباسا بسيطا أبيض اللون ، ويضع فوق
رأسه التاج الأحمر ، ويلاحظ أن الأطراف السفلية للتمثال غير متناسبة .
والتمثال فى مجموعته يدل على همجية ، ولكنها همجية متعمدة أملتھا
أغراض دينية (ماسبيرو - الفن فى مصر ص ١١٥) .

ومن أكثر القطع جاذبية تمثال بديع من الحجر الجيرى للملك
« أمنمحات الثالث » الذى تعتبر تماثيله أقرب تماثيل الى الحقيقة
(اذا صحت آراء النقشاد) .

وفى هذا التمثال الذى عثر عليه فى هرمه بهواره نلاحظ أن ملامح هذا
الفرعون العظيم التى تبدو دائما عابسة وخشنة نوعا ما ، ممثلة فى رقة
توحى بأن التمثال لا بد أنه صنع له فى شبابه قبل أن تدهمه الهموم
والمضايقات التى انعكست مرارثها على ملامح بعض التماثيل المتأخرة التى
تنسب اليه ، أى الى شخصية من خير وأعظم الشخصيات المصرية الفرعونية
(رقم ٢٨٤ بالطبقة السفلى ٢١ الى الجنوب) .

وفى القاعتين ٢٢ ، ٢١ بالطبقة السفلى يجدر بنا الاهتمام بثلاث قطع
متشابهة لسنوسرت الثالث ، الفرعون العظيم المحارب وأحد ملوك الأسرة
الثانية عشرة وفاتح النوبة ، رقم ٣٤٠ بالقاعة ٢٢ بالطبقة السفلى
خزانة (أ) يمثل رأسا جميلا لهذا الملك عثر عليه فى المدامود .

ورقم ٦١٤٩ بالقاعة ٢١ الى الشرق هو أحد التماثيل الرائعة المصنوعة
من حجر الجرانيت الأشهب القائم التى وجدت فى معبد «منتوحتب الثالث»
من الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى .

وهناك ثلاثة تماثيل مشابهة لهذه القطعة معروضة الآن بالمتحف

(١) هو الملك «نب حبت رع منتوحتب» أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة
ومؤسس الدولة الوسطى، الذى يعتبره المؤرخون الآن «منتوحتب» الأول أو
الثانى . وتمثاله (بالطبقة السفلى ، ٢٦ جنوبا) يحمل رقم ٢٨٧ بالدليل .

البريطاني . ولكن رقم ٦٠٤٩ - وهو رأس مصنوع من الجرانيت القاتم للملك سنوسرت يعتبر من أروع وأبدع الأمثلة للنحت المصري ، وهو من المدامود أيضا .

وتقول مسز «جاي برنتون» عند الإشارة إلى التمثال النصفى المشهور والمصنوع من الحجر الجيري الملون للملكة « نفرتيتى » : « وعلى الرغم من جمال رأس نفرتيتى فان رأس سنوسرت الذى عثر عليه فى المدامود أبرع صنعا . . » فهو قطعة منفردة بذاتها فى صناعة التماثيل المصرية ، لا يمكن اخراج مثيل لها دون دراسة من الحياة .

وقد تكون أروع دراسة سيكلوجية خرجت من مصر (عظماء مصر القديمة - ٢٩) وهذا الرأس يستأهل وحده زيارة للمتحف ، ومن القطع التى تجدر ملاحظتها أيضا رقم ٦١٧٦ بالجانب الشمالى الغربى من الخزانة (١) وهى تمثال من البازلت « لخنجر » ، وهو ملك غير معروف كثيرا من أواخر الدولة الوسطى .

وفى القاعة ٢٦ نقف أمام رقم ٢٨٠ ، وهى قطعة تختلف كثيرا عن التماثيل ذات التأثير القوى لسنوسرت . ولا يعرف للملك « حور » شىء سوى تمثاله الخشبى ، ووضعه بين ملوك الأسرة الثالثة عشرة غير مؤكد ، ولكن تمثاله بديع وجذاب .

والتمثال يمثل الملك عاريا تماما ، يلبس اللحية المقدسة التى تنثنى عند طرفها ، ويضع فوق رأسه ذراعين مرفوعتين يرمزان للكا . وصناعة التمثال دقيقة تنم عن البراعة ، ولكن القطعة مهما كانت جذابة ظاهرا فانها تبدو محدودة الجمال ، اذ تنقصها الميزة الكبرى لرأس « سنوسرت »

(١) هذا التمثال معروض فى الحجرة ٢٢ فى نفس الخزانة التى بها التمثال ٣٤٠ ورقمها « ١ » أما التمثال رقم ٦٠٤٩ فهو فى الحجرة ٢١ شرقا بالطبقة السفلى .

الذى عثر عليه فى المدامود (١) .

ومما يلفت النظر فى وسط القاعة رقم ٢٢ بالطبقة السفلى حجرة دفن « حرحتب » (رقم ٣٠٠) وهى مثل بديع للفن الجنازى فى الدولة الوسطى ، الذى من الممكن مقارنته بأمثله من مصاطب الدولة القديمة السابقة الإشارة إليها .

وجدران الحجرة والتابوت الحجرى مغطاة برسوم الأشياء التى تنفع المتوفى فى الحياة الأخرى ، وبكتابات هيراطيقية لصلوات وصيغ سحرية تضمن رفاهيته هناك .

وهذه هى التى يطلق عليها « نصوص التوابيت » وتعتبر الخطوة السابقة لكتاب الموتى وغيره من النصوص الحامية للمتوفى مما كان شائعا فى الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها .

وحول حجرة الدفن عشرة تماثيل (رقم ٣٠١) من الحجر الجيرى لسنوسرت الأول كشف عنها « جوتييه » سنة ١٨٩٤ فى سرداب المعبد الجنازى لهرم هذا الملك فى اللشت ، ولا بد أن هذه التماثيل صنعت فى أواخر حكم الملك لأنها لم تنصب أبدا ، وبعضها لم يكمل صنعه .

وقد وجدت راقدة على جوانبها ومغطاة بالرمال . وربما كانت هذه الحقيقة هى السبب فى بقاء جميع هذه التماثيل فى حالة جيدة من الحفظ عدا واحدا منها أصابه تصدع عندما كشف عنه .

وقد ظلت التماثيل على جذتها ، كما لو كان النحات قد تركها الآن بعد أن وضع آخر لمساته . وحجمها أكبر بقليل من الحجم الطبيعى ، ومع أن صناعتها لا بأس بها فإن التأثير الذى تحدثه هذه المجموعة فى النفس لا يخلو من الملل .

(١) عثر على هذا التمثال والناووس الذى كان موضوعا فيه فى قبر بجنوب دهشور ، ويدل رمز الكا على أن التمثال هو صورة للملك أو القرين خليفة أن تحل فيها الروح . والتمثال معروض الآن بالطبقة العليا من المتحف رواق ٣٢ .

وكما هو الحال في كل مكان ، لم يسفر انتاج التماثيل بالجملة عن اظهار الشخصية في التماثيل . وهناك ستة تماثيل أخرى لهذا الملك - الكثير التماثيل - موزعة في أنحاء الحجرة وتستند الى الأعمدة .

وهي تمثل « سنوسرت » على هيئة « أوزوريس » وفي ثلاثة منها يلبس التاج الأبيض للوجه القبلى ، بينما يلبس في الثلاثة الأخرى التاج الأحمر للوجه البحرى (أرقام ٣٠١ - ٣٠٦) .

وهواة الكلاب لا بد أن تجذبهم اللوحة (رقم ٣١١) بالقاعة رقم ٢٢ بالطبقة السفلى ، وهذه اللوحة من عصر الملك « انتف » من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وقد ورد ذكرها في تقرير اللجنة التى تكونت في عهد الملك رمسيس التاسع للتحقيق فى الاعتداء على المقابر الملكية بجبانة طيبة .

ويذكر التقرير ما يأتى : (أما عن مقبرة الملك « سى - رع ان - عا » التى تقع الى الشمال من معبد أمنوفيس ، فقد تبين أنها أصيبت بتلف على السطح المقابل لموقع اللوحة .

وهذه اللوحة تمثل الملك واقفا وبين قدميه كلبه المسمى « بحوكاى » ، وبفحصها فى ذلك اليوم وجد أنها سليمة) . ومنذ سنة ٢١٤ ق.م لم تلق اللوحة حظا سعيدا ، فقد عثر عليها « مارييت » عام ١٨٦٠ ونقل نسخة منها وتركها فى مكانها ،

وبعد عشرين عاما وجدها أحد الفلاحين وحطمها ليستخدم أحجارها ، وقد انقذ « ماسبيرو » قطعها . ونستطيع الآن أن نرى الملك « انتف » مع أربعة من كلابه الخمسة « الغزال والكلب السلوقى والأسود وموقد النار » .

ولا يزال « بحوكاى » ، وهو الغزال المشار اليه فى تقرير لجنة رمسيس موجودا على اللوحة ، وربما كان الكلب الوحيد الذى سجلت له شهرة امتدت الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وترجع صورته دون شك الى ألف سنة قبل ذلك .

كما أنها تسبق بقليل تاريخ الكلاب الثلاثة للأمير «خنوم حنب» المرسومة على جدران مقبرته المشهورة ببنى حسن . وتوجد أيضا لوحات لكلاب مستأنسة يرجع تاريخها الى الأسرة الأولى ، يمكن رؤيتها بالحجرة ٤٢ بالطبقة العليا .

ومما تجدر ملاحظته التمثال البديع المصنوع من خشب الأرز لسنوسرت الأول لابسا التاج الأبيض للوجه القبلى (رقم ٣١٣ - حجرة ٢٢ بالطبقة السفلى - خزنة د) وهذا التمثال هو أحد تماثيل كشف عنهما متحف المتروبوليتان بنيويورك سنة ١٩١٥ والتمثال الآخر يلبس التاج الأحمر للوجه البحرى (١) .

ولنتابع الآن السير الى الحجرة رقم ١٦ بالطبقة السفلى ، حيث نلتقى بمجموعة من التماثيل كانت مشار جدل ظل عدة سنوات ، وجميعها من تانيس (صان الحجر) فى الدلتا ، وتتميز بملامح واضحة تدل على صفات جنسية تختلف عن صفات المواطنين المصريين .

ومن أكثر التماثيل المثيرة للانتباه التماثيل الأربعة لأبو الهول (أرقام ٣٠٧ - ٣١٠ (٢) بالقاعة ١٦ فى الوسط بالطبقة السفلى) ، التى تبرز ملامح حادة وبروزا فى عظام الوجنات ، وتبعث فى النفس تأثرا بالقوة والعزة .

والمجموعة المعروفة باسم « مقلمى السمك » (رقم ٥٠٨ بالطبقة السفلى حجرة ١٦ فى الوسط) تبرز نفس الصفات بقدر ما تسمح به حالتها المهشمة .

ثم أن الرأس الرائع المصنوع من الجرانيت الأسود الذى عثر عليه فى الفيوم (رقم ٥٠٦ بالطبقة السفلى - حجرة ١٦ الى الشمال الشرقى) ينتمى الى نفس المجموعتين رغم ما أصابه أيضا من تهشيم .

(١) هو معروض الآن بمتحف المتروبوليتان .

(٢) تحمل هذه التماثيل الأربعة رقم ٥٠٧ .

وقد كانت تماثيل « أبو الهول » و « مقدمى السمك » تنسب الى ملوك الهكسوس حيث انها تحمل خرطوشا باسم « أبوبى » ، وهذا نوع من الاغتصاب ، ولكنه ليس الوحيد فيما يتعلق بهذه التماثيل .

وتماثيل « أبو الهول » والقطع الأخرى المشابهة لها تنسب الآن بصفة عامة الى الأسرة الثانية عشرة ، ويرجح أنها تمثل الملك « أمنمحات الثالث » المصنوع من الجرانيت القاتم (رقم ٦٠٦١ بالحجرة ٢٢ بالطبقة العليا الى الشمال الشرقي) .

ويجمل « بترى » الى نسبتهما - لا الى الهكسوس - بل الى ملوك من جنس آخر فاتح ، يعتقد أنه غزا مصر من الجنوب فى الفترة الواقعة بين الأسرتين السادسة والعاشرة .

وهو يتمسك بفكرة أن هذه التماثيل أحضرت أصلا من الكاب ونقلها رمسيس الثانى مع تماثيل أخرى الى تانيس ، وهى تحمل اسمه الى جانب أسماء منفتاح وبسوسنس (صفحة ١٢٦ وما بعدها بالجزء الأول من تاريخ مصر - طبعة سنة ١٩٢٣) .

والآن ندخل الى القاعة ١٢ بالطبقة السفلى حيث نجد قطعا من فن الأسرة الثامنة عشرة . ونلاحظ أولا مجموعتين من المجموعات العائلية : الأولى منهما تحت رقم ٥٠٠ فى الجانب الشمالى الغربى .

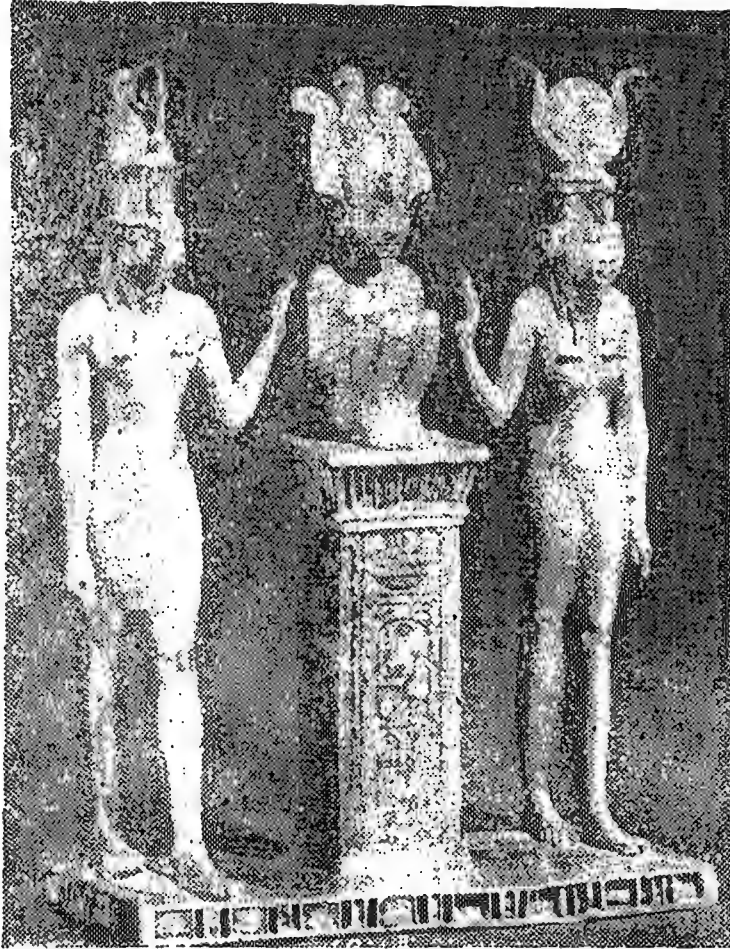
وهى مجموعة من الجرانيت الأشهب تمثل « سن نفر » حاكم طيبة وزوجته « سن ناي » مرضعة الملك ، وابنتهما واقفة بين ركبتيهما .

ويلاحظ أن « سن نفر » يلبس قلادة ذهبية من أربعة فروع ، لا شك أن الملك قد أهداها اليه اعترافا بخدماته ، وصناعة هذه المجموعة دقيقة جدا ، غير أنها من طراز جامد متجرد من الذاتية .

أما المجموعة الثانية رقم ٥٠٣ فى الوسط فهى أكثر اثارة ، وهى من الجرانيت القاتم تمثل الملك « تحتمس الرابع » وأمه الملكة « تى عا » زوجة « أمنوفيس الثانى » .

ولباس رأس الملك المستعار ذى الثنيات من طراز غير عادى، وان وضع
تمثال امه الى جانبه يتفق مع خلقه المعروف باحترامه لأسلافه ولتقاليد
الماضى .

ويعتبر الكثيرون تمثال « تحتمس الثالث » أبداع تماثيل المتحف
(رقم ٤٠٠ بالطبقة السفلى ١٢ غربا) ، وهو من حجر الشست الأشهب .



(شكل رقم ٢٤)

حلية متدلية من الذهب الخالص على هيئة ثالث ابيدوس « أوزوريس -
ايزيس - حورس » منقوش عليها اسم الملك اوسركون الثانى - ٨٩٠ ق.م

وهذا التمثال مثال من أجمل الأمثلة للنحت في الدولة الحديثة ، ويستحق الشهرة الواسعة التي نالها منذ اكتشافه بمخبر الكرنك عام ١٩٠٤ .

وهو بلا نزاع صورة صادقة للفتاح العظيم، وبجانب دقة ورقة خطوط النحت، تجدر بصفة خاصة ملاحظة روعة تمثيله من الجانب (بروفيل) .

ورقم ٤٢٨ بالطبقة السفلى ١٢ خزانة ب هو تمثال من الرخام الأبيض للملك «تحتمس الثالث» جاثيا يقدم اللبن (١)، وهو أيضا من القطع البديعة.

ورقم ٤٢٤ (بالطبقة السفلى ١٢ خزانة ب) يمثل الملكة « ايزيس » والدة « تحتمس الثالث » تلبس تاجا مذهبا . ومن أروع قطع النحت في القاعة ، بل في المتحف كله القطعة رقم ٤٤٦ (بالطبقة السفلى ١٢ شرقا) ، وهى من الحجر الجيري وتمثل البقرة « حاتحور » .

وهذا المثل البديع من أمثلة النحت المصرى للحيوانات هو أجمل ما وصل إلينا حتى الآن ، كشف عنه « نافيل » عام ١٩٠٦ فى أثناء قيامه بالحفر فى معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى .

وتقف « حاتحور » أمام باب مقصورتها (رقم ٤٤٥) المزخرفة بنقوش ملونة فى حالة جيدة من الحفظ ، تصور الالهة « حاتحور » والملك « تحتمس الثالث » .

ومع أن المقصورة الآن تعاني آثار إبعادها عن المحيط الذى صممت لتكون فيه ، مما جعل منظر البقرة خارج المقصورة شبيها بمنظر أحد الكلاب خارجا من كفه ، فإن حالة التمثال بوجه عام لا تزال تبعث على الدهشة .

ويوجد أمام البقرة تمثال لملك يحمل خرطوش « أمنوفيس الثانى » ، كما أن هناك تمثالا آخر لملك يرضع من ثديها ، ولكن ليس هناك شك فى أن الشخص المقصود فى كلتا الحالتين هو « تحتمس الثالث » الذى ترجع إليه فكرة المقصورة .

(١) وربما كان يقدم خمرا أو ماء .

ويظهر أنه قد توفى قبل اتمام تمثال « حاتحور » ، وبذلك ترك لابنه من بعده الفرصة التي سرعان ما استغلها كغيره من الفراعنة ، وذلك بنسبة هذا الأثر البديع الى شخصه ، ومهما يكن من الأمر فإن التمثال لا يضاهيه - قطعة من النحت الحيوانى - أى أثر آخر من العصور القديمة .

ورقما ٥١ ، ٥٦ هما رأسان بديعان اختلفت الآراء فى صحة نسبهما ، فرقم ٤٥١ نسب الى « منفتاح » والى « حور محب » والى « توت عنخ آمون » ، وظاهر أن النسب يرتبط الى حد كبير بمدى الاهتمام العام بالفرعون وقت أن نسب الرأس اليه .

وينسب هذا الرأس الآن الى « حور محب » وهو نسب صحيح كما أعتقد ، ولكن الى متى سيستمر هذا النسب ؟ هذا موضوع آخر .

أما رقم ٥٦ (الطابق السفلى ١٢ الى الشمال الشرقى) فقد نسب الى الملكة « تى » أم « أخناتون » ، والى الملكة « حتشبسوت » والى زوجة أو أم « حور محب » والى الملكة « تى » مرة أخرى .

وأساس هذا النسب يرجع الى ما سبق أن رجحناه فيما يختص برقم ٥١ ، وهو ينسب الآن الى الالهة « موت » .

ورقم ٥١ يقدم لنا مثلاً طيباً لصناعة الجرانيت ، أما الرأس الرائع المصنوع من الحجر الجيرى (رقم ٤٥٦) فانه أعظم من أن يكون فقط قطعة جميلة من الفن .

وقد قورنت تعبيراته الغامضة بتلك التى تظهر على لوحة « موناليزا » لدافنشى التى قد تفوقها ، ولكنه دون شك صورة رائعة تفيض بالحيوية ، التى ينكرها الكثيرون بدون وجه حق على النحت المصرى ، وتجعل الانسان يتشكك فى نسبتها الى شخصية الهية خيالية . ويمكن القول بأن النحات قد أستوحى صورتها من سيدة - كائنة ما تكون - جلست امامه .



(شكل رقم ٢٥)

صورة صادقة لتمثال أمنحوتب بن حابو
(المتحف المصرى)

ونجد نفس هذه الحيوية ظاهرة في (رقم ٤٦١ الطبقة السفلى ١٢ شمالا) الذى يمثل مع رقمى ٤٥٩ ، ٤٦٥ الحكيم المشهور « أمنحوتب بن حابو » فى مراحل حياته المتعددة ، وكان « أمنحوتب » يشغل وظيفة المستشار ومدير المباني فى عهد الملك « أمنوفيس الثالث » ، وقد ألهه القوم فى العصور المتأخرة .

وقد كان مجردا من الجمال كما سبق أن رأيناه فى تمثال رقم ٣ (بالطبقة السفلى) وتمثاله رقم ٤٦١ كما يمكن أن نقول (يظهره بعضلاته) ، وجزء من الوجه أعيد نحتة . وهناك بعض الشك فى أنه يرجع الى الدولة الوسطى ثم اغتصبه أمنحوتب .

أما رقم ٦٠٥٢ (بالطبقة السفلى ١٢ جنوبا) فهو أحد التماثيل الضخمة للملكة « حتشبسوت » ، عثرت عليه بعثة متحف المتروبوليتان بنيويورك محطما الى عدة قطع (١). وتجدر ملاحظة الأرقام ٦١٣٩ (الطبقة السفلى ٤٨) و ٦١٥٢ ، ٦١٥٣ ، الطبقة السفلى ٧ في الوسط) (٢) .

ورقم ٤٦٢ جدير بالاهتمام ، وهو قطعة جذابة نادرة تمثل ملكا يعتقد البعض انه توت عنخ آمون ممثلا على هيئة الاله خنسو (حجرة ١٢٥ شمالا).
والآن نلجأ الى القاعة رقم ٦ (٣) بالطبقة السفلى حيث تتجمع معا (أرقام ٣٨٧٣ ، ٣٦١٠ ، ٣٦١٢ ، ٤٧١ ، ٤٨٧ ، ٦٠١٥ ، ٦٠١٦ ، ٦١٨٢) وهي مخلفات الملك السيسىء الحظ أخناتون ، الذى قد يكون أبرز فراعنة مصر ، نظرا لصراعه مع كهنة آمون في الدفاع عن عقيدته الجديدة الخاصة بعبادة « آتون » وبسبب النكبات التى حلت بالامبراطورية المصرية بسبب اخلاصه لمبادئه الجديدة .

ومعظم الآثار المعروضة هنا جاءت من تل العمارنة ، ولكن العديد من القطع الهامة خرجت من المقبرة المعروفة باسم مقبرة الملكة « تى » التى عثر عليها المستر « ت.م ديفز » ومستر « أيرتن » على تابوت وجثة الفرعون عام ١٩٠٧ .

(١) لما قبض تحتمس الثالث على زمام الحكم بعد وفاة حتشبسوت قام بنهشيم تماثيلها وألقى بها في محجر بجوار معبد الدير البحرى . وقد رمم هذا التمثال من قطع تربو على المائة .

(٢) التمثال رقم ٦١٣٩ هو أبو الهول من الحجر الجيرى الملون يمثل الملكة حتشبسوت ، عثر عليه في معبدها بالدير البحرى (غرب طيبة) . أما رقم ٦١٥٢ فهو أبو الهول من الجرانيت لها أيضا وقد حطمه تحتمس الثالث والقاء في المحجر . وعثر على رقم ٦١٥٣ معه وهو تمثال هائل جاث لنفس الملكة رملت أكثر أجزائه . وتجدر ملاحظة أن التمثال رقم ٦١٣٩ معروض الآن بالحجرة ١١ في الوسط غربا بالطبقة السفلى .

(٣) آثار عصر تل العمارنة المعروضة الآن في الحجرة رقم ٣ بالطبقة السفلى .

ومما يلفت النظر لأول وهلة تلك التماثيل الضخمة لأخناتون (أرقام ٦٠١٥ ، ٦٠١٦ ، ٦١٨٢) التي عثر عليها سنة ١٩٢٥ في أنقاض معبد شيدته للاله آتون في السنين الأولى من حكمه شرقى المعبد الكبير لآمون بالكرنك . وبعد وفاة أخناتون هشم كهنة آمون هذه التماثيل وغيرها من تماثيل مشابهة كانت مقامة في فناء محاط بالعمد ، ثم دفنوها الى عمق بعيد حتى بعثت الآن من جديد .

وهذه التماثيل شديدة الغرابة ، ورغم صنعها في الفترة الأولى من ارتداد هذا الملك ، فانها تجمع كل الصفات التي تميز تماثيله المتأخرة . والتمثال رقم ٦١٨٢ أشدها غرابة ، فقد مثل الملك عاريا ، حتى يكاد يخيل للانسان أنه لامرأة ويلاحظ كيف عرى الحجر خلف عظام الترقوة ليكسب الرقبة استطالة .



(شكل رقم ٢٦)
تمثال للملك سنوسرت الأول
(المتحف المصرى)

ورقم ٣٨٧٣ (بنفس الحجرة خزانة هـ) قد يكون غطاء تابوت « أخناتون » ، وهو مكسو برقائيق الذهب ومرصع بقطع من الزجاج الملون . وقد نزع كهنة آمون القناع الذهبى وأسم الملك المطعم انتقاما من عدوهم الأكبر ، غير مراعين حرمة الميت .

وقد عثر عليه سنة ١٩٠٧ فى المقبرة التى كشف عنها مستر « ديفز » ومستر « أيرتن » فى وادى الملوك (١) . ومع هذا الغطاء وجدت أرقام ٣٦١٠ ، ٣٦١١ ، ٣٦١٢ بالخزانة ، وهى لثلاثة أوان كانوبية لحفظ الأحشاء ، مغطاة برعوس بديعة تمثل صورا لشخصية ملكية ، بدلا من الرعوس المعتادة لأبنساء « حورس » .

وقد دافع مستر « ديفز » بشدة عن رأيه بأنها صور الملكة « تى » ولكن يبدو أنها تشبه « أخناتون » أو زوجته الملكة « نفرتيتى » على ان الذين يلمون بالشبه الكبير بين صور « أخناتون و نفرتيتى » لم يدهشهم أن يجدوا صعوبة فى التمييز بينهما فى حالة كهذه .

وأرقام ٤٧١ - ٤٨٧ (الطبقة السفلى بنفس الحجرة - خزانة د ، و) هى قطع من النحت معظمها من تل العمارنة ، وهى تمثل « أخناتون » نفسه أو بعض أفراد أسرته . وتجدد ملاحظة رقم ٤٧١ وهو يمثل « اخناتون » فى صورة من الصور العاطفية للأسرة المالكة حين تحررت فى عصر العمارنة من القيود التى كانت تقيدها قبل ذلك وبعده .

فالمملك يحمل على ركبتيه احدى بناته وقد أدارت له وجهها لتقبله ، ونلاحظ للأسف أن التمثال لم يتم صنعه ، ويلاحظ أيضا رقم ٤٨٢ الذى يمثل أخناتون ونفرتيتى يدلان بناتهما تحت أشعة قرص الشمس آتون .

وهذا الأسلوب الذى يتجه إلى تحرر الفن المصرى قضى عليه كهنة آمون بشدة بعد انتصارهم ، غير مقدرين أنهم بذلك قضوا على العنصر الوحيد الذى كان من الممكن أن يخلص الفن المصرى من الجمود الذى حطمه أخيرا . ولا شك أنه كان لفن العمارنة أخطاء جسيمة وأطوار غريبة ، يكفى

(١) هناك رأى بأن صاحب غطاء التابوت والأوانى الكانوبية هو سمنخ كارع خلف أخناتون .

للتدليل عليها بعض القطع الموجودة هنا ، ولكنه كان على الرغم من ذلك فنا حيا . فأرقام ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ وهى تماثيل أو أجزاء من تماثيل لبنات أخناتون (١) تعرض مزيجا من محاسن وعيوب فن العمارة الذى كان متكاملا من الناحية الفنية بصرف النظر عن الصفات الأخرى .

ومن المؤسف أن الكثير من أجمل قطع مدرسة العمارة قد نقل الى الخارج ، ورقم ٦ (٢) هو تصميم حديث صنع بالمتحف ليمثل منزلا من منازل تل العمارة ، وجميع تفصيلاته مأخوذة من الواقع والتصميم ممتنع للغاية .

واذا عدنا الى مجموعة القاعات المتوسطة نجد فى القاعة ١٣ شرقا القطعة رقم ٥٩٩ ، وهى على الرغم من أنها غير جذابة المظهر ، فانها على جانب كبير من الأهمية التاريخية . وهذه القطعة هى لوح كبير من الجرانيت الأسود سجل « أمنوفيس الثالث » عليها أعماله المعمارية فى طيبة ، وبخاصة ما يتصل بمعبده الجنائزى بالشباطى الغربى .

وقد تهدم هذا المعبد تماما ، ولم يبق منه الآن غير تمثالى ممنون . وقد اغتصب منفتح بن رمسيس الثانى اللوح ، وعلى ظهره يتغنى الملك بانتصاراته على الليبيين وغيرهم من الشعوب الأخرى بأسلوب شعرى .

وتتضمن هذه الأغنية النص الوحيد الذى ذكر فيه بنو إسرائيل فى النقوش المصرية المعروفة لنا الى وقتنا هذا حيث قيل « سحقتم إسرائيل ولم يبق لها درية » وقد كشف هذا اللوح مستر « بشرى » سنة ١٨٩٦ .

وهذا الكشف - الذى كان منتظرا بفارغ الصبر - أدى الى بليلة فى الأفكار الحديثة فيما يختص بتاريخ اضطهاد وخروج اليهود بشكل يفوق أى عامل آخر (انظر أيضا رقم ٦٠١٧ بالطبقة السفلى ٣ وسطا وشرقا) (٣) وهو لوح لنفس الفرعون يشبه الى حد ما اللوح السابق الذكر) .

(١) مثل أخناتون بناته برؤوس شكلها غير طبيعى وملامح

وأجسام غير متناسقة .

(٢) بالطبقة السفلى ، حجرة ٨ ، فى الوسط .

(٣) هو معروض الآن بالحجرة ٨ - بالطبقة السفلى .

والقاعات المتوسطة بالطبقة السفلى أرقام ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٣ - التي ندخل إليها الآن - تحوى عددا من التماثيل الضخمة بعضها من تانيس ، وتوابيت الكثير منها على جانب من الأهمية .

ويلاحظ رقما ٦١٣ ، ٦١٧ (بالطبقة السفلى ٢٣ شمالا) وهما تماثلان هائلان من الجرانيت القاتم للملك الغاصب « مرمشع » أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة - وصناعتهما الدقيقة تدل على أن التقاليد المرعية في الأسرة الثانية عشرة ظلت زمنيا ما فيما بعد .

وقد وجد التماثلان في تانيس ، ونقشت عليهما خراطيش « أبوبى » أحد ملوك الهكسوس ، ثم اسم « رمسيس الثانى » من بعده . وملامح الوجهين ليست « مصرية » وهذا يؤيد الرأى فى أن « مرمشع » يحتل أن يكون غاصبا أجنبييا .

ويلاحظ فى الطبقة السفلى ، ٢٨ وسط ، رقم ٦٢٧ ، وهو بقايا من الزخارف المصنوعة من ألجص الملون كانت تكسو أرضية إحدى حجرات الاستقبال بقصر « أخناتون » بتل العمارنة .

وقد ألحق الحارس السابق ، الذى فصل من الخدمة ، الدمار بالأرضية عندما كانت فى موضعها الأصلي داخل مظلة تحت الحراسة . ويلاحظ بصفة خاصة مجموعة الهريمات التى يعتقد أنها كانت قمم أهرامات ، فرقم ٦٢٦ هو قمة هرم أمنمحات الثالث بدهشور ، أما رقم ٦١٧٥ (١) فهو قمة هرم وجدت محطمة الى قطع بصقارة سنة ١٩٣٠ ثم رمت ، وتحمل القاب أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة المعروف باسم « خنجر » ، ومعظم هذه الألقاب لم يكن معروفا من قبل .

ورقما ٦١٨٩ ، ٦١٩٠ جديران بالبحث ، وهما عتبتان لبوابتين وجدا بالمدامود ، أولاهما تصور احتفال الملك « سنوسرت الثالث » من ملوك الأسرة

(١) هذه القمم الهرمية معروضة بالقاعة ٣٣ بالطبقة السفلى .

الثانية عشرة بيوبيله (احتفال السد) ، وثانيهما خاص باحتفال « أمنمحات سوبك حنب » من ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، ويرى بوضوح التفاوت في اتقان النحت في كل منهما (١) .

ورقما ٦١٩ ، ٦٢٠ (بالطبقة السفلى ٢٣ غربا) تابوتان للملك « تحتمس الأول » وابنته « حتشبسوت » وقد وجدا في مقبرة الأخيرة بوادي الملوك .

أما رقم ٦٠٢٤ فتجدر مقارنته برقم ٦٢٠ ، وهو تابوت صنعته حتشبسوت قبل أن تجلس على العرش ليوضع في مقبرتها الأولى المنحوتة في الصخر .

وقد عثر عليه « هوارد كارتير » سنة ١٩١٦ في المقبرة الصخرية التي



(شكل رقم ٢٧)

تمثال آخر من الحجر الجيري للملك سنوسرت الأول وجد بداخل معبد هرمه بالشت (المتحف المصرى)

(١) هاتان العبتان معروضتان في القاعة ٢٣ بالطبقة الأرضية ، وقد نصبت قوائمهما في الحجرة ١٣ بالطبقة السفلى أيضا .

(م . ١٠ الآثار ج ١)

سقط عليها اللصوص ، ونقل بصعوبة كبيرة من موضعه المنعزل في أعلى الجبل ، وهذه التوابيت الثلاثة من حجر الكوارتزيت ، وتتميز بأبداع صنعها . والتابوتان ٦١٩ ، ٦٢٠ من نفس الشكل ، ورقم ٦٢١ ، على الرغم من أنه من عصر متأخر (الطبقة السفلى ٣٣ - بالوسط) ، فانه جدير بالاهتمام إذ أنه نسخة متأخرة من سرير « أوزوريس » الذى عثر عليه في « أبيدوس » في مقبرة « جر » . أحد ملوك الأسرة الأولى .

وان كشف هذا السرير المصنوع من الجرانيت الأسود مع جزء من جمجمة في المقبرة ، هو الذى حمل « اميلينو » المكتشف على الاعتقاد بأنه وجد المقبرة الأصلية وجمجمة « أوزوريس » . والاعتقاد السائد الآن هو أن هذا السرير ٦٢١ يرجع الى العصر الصاوى .

ورقم ٦٢٤ (الطبقة السفلى ٣٨ شرقا) هو كل ما بقى من تابوت من حجر الجرانيت الوردى للملك « آى » - خلف توت عنخ آمون - وجد بمقبرته بوادى الملوك . وقد صورت على أركان التابوت أربع معبودات باسطة أذرعتها المجنحة لحماية الجسم

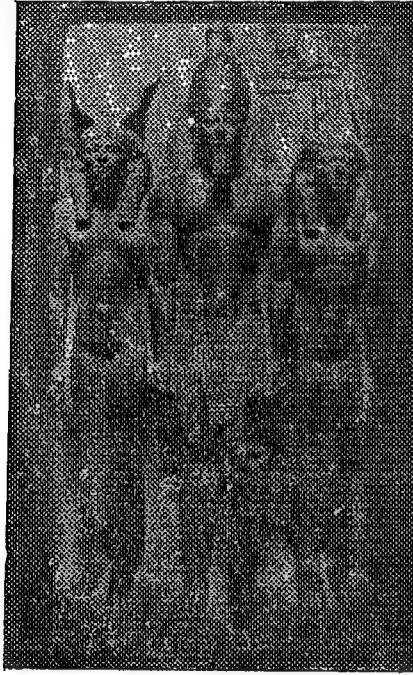
وقد شاع هذا اللون من الزخرفة في أواخر الأسرة الثامنة عشرة ، ويوجد أيضا على تابوت « توت عنخ آمون » في وادى الملوك ، وعلى تابوت « حور محب » أيضا في مقبرته بوادى الملوك .

وفي القاعة ١٤ بالجانب الشرقى للطبقة السفلى توجد مجموعة من القطع الأثرية ليست بذات أهمية كبيرة ، ترجع الى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، ويمكن أنتقاء واحدة أو اثنتين منها : فرقم ٧٢٨ الى الشمال هي مجموعة من الآثار الغربية تضم مسلتين صغيرتين وأربعة قرود وجدت بمقصورة رمسيس الثانى بمعبد (أبو سنبل) .

وسوف نتحدث عنها عند وصف المعبد الكبير المنحوت في الجبل (١) ،

(١) هذه المجموعة تقف على نموذج من الخشب لمذبح يشبه المذبح الأسمى التى كانت قائمة عليه بالمقصورة الشمالية للمعبد الكبير (بأبو سنبل) وبجوارها نموذج لناووس عليه جعران يحمل قرص الشمس وقرد على رأسه قرص القمر يرمز الى الاله تحوت عثر عليهما بالمقصورة أيضا ، أما الناووس فلا يزال قائما فيها بجوار المذبح هناك .

ورقم ٧٤٣ تمثال غريب الشكل يمثل رمسيس السادس مسلحاً ببلطة الحرب، ويتبعه أسد أليف ، ويقبض على ناصية لبي يهرول بجانبه .



(شكل رقم ٢٨)

تمثال ثلاثى من الاردواز الأسود للملك منكاورع تحيط به آلهتان
— على يمينه حتحور وعلى يساره ابن آوى على شكل ملكة
من الملكات — من ملوك الأسرة الرابعة (المتحف المصرى)

ورقم ٧٦٨ بالوسط يمثل فكرة غريبة أيضاً ممثلة فى ابداع غير
عادى ، فهو تمثال صغير لرئيس كهنة آمون المدعو « رمسيس نخت » ممثلاً
على هيئة كاتب متربع وبين ركبتيه ملف من البردى يكتب عليه ، وعلى
كتفيه يجلس الاله تحوت آله الآداب والكتابات ممثلاً على شكل قرد يوحى،
اليه بما يكتبه .

وعلى الرغم من صلابه المادة (الجرانيت الأشهب) فقد وفق المثال في «ظهار آوجه بمظهر يتسم بالرقه والعذوبه ، كما أنه أبدع في اظهار انحناء الكتفين تحت ثقل القــــرد .

وهنا (الطبقة السفلى ١٤ بالوسط) نجد أنفسنا أيضا أمام عائلة من الأسرة التاسعة عشرة (١) تمكن مقارنتها برقم ٥٠٠ الذى يمثل مجموعة من حجر الجرانيت « سن نوفر » وزوجته « سن ناى » من الأسرة الثامنة عشرة ، على الرغم من أن اختلاف المادة فى المجموعة المتأخرة (حجر جبرى) يجعل المقارنة غير عادلة .

ويلاحظ أن « زاي و نايا » يلبسان زيا وشعرا مستعار من النوع الشائع فى الأسرة التاسعة عشرة ، ومقارنة هذه المجموعة بالمجموعة الأقدم تكشف لنا عن مدى التطور الذى طرأ على الزى (الموضة) .

والقاعات الباقية فى الطبقة السفلى مخصصة لقطع من العصر المتأخر ، يرجع تاريخها الى المدة الواقعة بين ٧١٢ ، ٣٣٢ ق.م ، وإلى العصر البطلمى والعصر الرومانى والعصر القبطى (٢) . وليست لهذه الآثار من الأهمية ما لمخلفات الحضارة المصرية الأصيلة ، عندما كانت فى ذروتها .

والقطعة رقم ٧٩١ (الطبقة السفلى ٢٤ وسط) تلفت النظر برغم قبورها الشديد ، أو ربما بسببه ، وهى لتمثال من حجر الشست الأخضر يمثل الالهة تاويرس « تاورت » على هيئة فرس البحر ، وصناعة التمثال رائعة على الرغم من شدة بشاعته .

وفى القاعة ٣ ، وسط تمثال من المرمر (رقم ٩٣) للملكة « امنرتيس » أخت الملك الأثيوبى « شباكا » من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وهى قطعة نالت من الشهرة الواسعة أكثر مما تستحقه كنموذج للنحت المصرى .

(١) عثر على هذه المجموعة بصقارة وهى تحمل رقم ٧٦٧ بدليل المتحف .

(٢) نقلت هذه الآثار للمتحف القبطى بمصر القديمة .



(شكل رقم ٢٩)

تمثال من الحجر الجيري للملك امنمحات الثالث - منطقة هواره
(المتحف المصرى)

وهى فعلا نموذج ضعيف مصطنع الجمال ، وغير جديرة بأن تقف الى جانب الأعمال الممتازة فى العصور القديمة ، ولكنها الى حد ما لها ميزاتها ، واذا قورنت بأى تمثال من عمل أى شعب آخر من شعوب الشرق القديم فى ذلك الوقت (حوالى ٧٠٠ ق.م) فأننا نرى بوضوح تفوق التمثال المصرى .

وقد كان فى امكان مثال ذلك العصر أن يقدم لنا عملا أحسن ، فتمثال الأمير العجوز الدميم « منتومحات » (رقم ٩٣٥ حجرة ٣٠ شمال ، وتمثاله رقم ١١٨٤ بالطبقة السفلى ٢٤ وسط) أروع بكثير من تمثال الصغيرة الجميلة امنرتيس ، التى تبدو دائما كأنها تشن من ثقل أعبائها الملكية .

أما « منتومحات » فيتميز بشخصيته على الرغم من أنه يخلو من الجمال ، وبأن المثال في كلا التمثالين وبخاصة في التمثال الأخير قد أبدع في إظهار الكفاح المريع المرتسم على وجه الرجل الذى أسند إليه ذلك العمل الميئوس منه ، وهو محاولة إعادة بناء طيبة ، التى لحقها الخراب بعد غزو الآشوريين لها تحت قيادة « آشور بانيبال » .



(شكل رقم ٣٠)

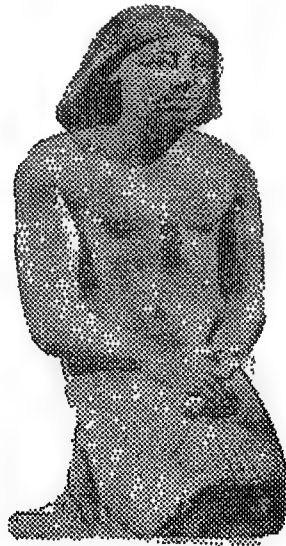
تمثال جميل من الرخام الأبيض للملك تحتمس الثالث جاثيا يقدم وعائين من العطر ، الأسرة التاسعة عشرة - دير المدينة (المتحف المصرى)

والتمثال رقم ١١٨٥ لشخصية كان لها شأن فى تنصيب « منتومحات » فى المركز الذى كان يشغله ، وأعنى بذلك شخصية « طهارة » أخذ الملوك الآثوريين ، وسوف نتكلم عنه عند الحديث عن « نباتا » .

وقد أدى تحرشه المستمر العقيم بأشور الى أن تقف مصر وجها لوجه أمام عدو كان من الصعب عليها أن تتعادل معه في أزمى عصورها ، ومن ثم تعثر ذلك في عصر اضمحلالها .

ويبدو « طهارقة » في هذا التمثال المصنوع من الجرانيت الأسود شخصية قوية قادرة ، تحمل ملامح معبرة تشبه ملامح الزنوج .

وفي القاعة ٣٤ (بالطبقة السفلى رقم ٩٨٠) نسختان من منشور أحد كهنة مدينة كانوب ، وهما جديران بالاهتمام ، لما لهذا المنشور وحجر رشيد ومسلة « فيلة » من أهمية في المحاولات الأولى لحل رموز الهيروغليفية ، وقد عرض نموذج من حجر رشيد في نفس القاعة ، وبذلك يمكننا أن نرى مفتاحي السري في حل الرموز الهيروغليفية .



(شكل رقم ٣١ - ١)

تمثال نادر وجد في مقبرة مجهولة بصقارة
لأحد الخدم منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة
(المتحف المصرى)

ومجموعة الآثار الباقية من العصر المتأخر ، مهما كانت ميزتها من الناحية الفنية ، فانها من عصر يعد حديثا بالنسبة لتاريخ مصر القديم ، ويمكن التغاضى عنها بسهولة ، بينما يتعذر ذلك فيما يختص بمخلفات مصر اiban عظمتها ومجدها .

وتجدر ملاحظة رقم ٦٠٥٤ (بالطبقة السفلى ٣٥ الى الشرق) حيث توجد قطع منقوشة بأقدم خط أبجدي معروف الى الآن ، وقد كشف عنها « بترى » وآخرين بسرابيط الخادم بسيئات .

ونقلت أخيرا الى المتحف للمحافظة عليها . ويعتقد البعض أن هذه النقوش التى يرجح أنها من عصر الدولة الوسطى هى حلقة الاتصال بين الخط الهيروغليفي وأبجدية الفينيقيين (١) .

(١) بالطبقة السفلى من المتحف آثار عديدة أخرى لم يتسع المجال فى الكتاب للحديث عنها. ونذكر من الدولة القديمة على سبيل المثال حجرة جنازية من الحجر الجيري الملون من مصطبة دشرى بصقارة ، وترجع الى الأسرة السادسة (رقم ٤٦ بالرواق ٤٧) وباب وهمى من خشب الأسنط لأحد النبلاء ويدعى ابكا ، وقد عثر عليه تحت طريق هرم أوناس بصقارة (٦٣٢٧ ، قاعة ٤٢) .

ومن آثار الدولة الوسطى سفينتان كبيرتان من الخشب ، طول كل منهما عشرة أمتار لسنوسرت الثالث (رقم ٦ و ٩ القاعة ٤٣) ، وثابوت من الحجر الجيري رائع النقش للمدعو دأجى (رقم ٣٤ ، الحجرة ٢٦) . ومن آثار الدولة الحديثة نقوش بارزة من معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى يمثل ملكة وملك بلاد بنت (٤٥٢ ، القاعة بالحجرة ١٢) ، والرسائل التى عرفت برسائل تل العمارنة والمدونة بالخط المسمارى على ألواح من الطين (١١٩٤ - ١١٩٩ ، القاعة ٣) .

وتمثال صغير بديع الصنع من الأبنوس للمدعو تاي (٦٢٥٧ ، الحجرة ١٢) ، وتمثال رائع من الشست لرمسيس الثانى يزحف على ركبتيه (٦٣٣٤ بالقاعة ١٥) ، ومجموعة تمثل تنوير الملك رمسيس الثالث



(شكل رقم ٣١ - ب)

منظر لحفل نسائي من عصر الأسرة الثامنة
عشرة ، وهو لوحة جميلة مأخوذة من إحدى
مقابر النبلاء بمنطقة الكاب

(٧٦٥ ، الحجارة ١٤) .

ومن آثار العصر المتأخر والعصر اليوناني الروماني تابوت وغطاؤه من
الجرانيت للقمز « ججر » من العصر الفارسي على الأرجح (١٢٩٤ ، رواق
٤٩) ثم عملات من العصر اليوناني الروماني (٦٣٣٢ ، القاعة ٤) .

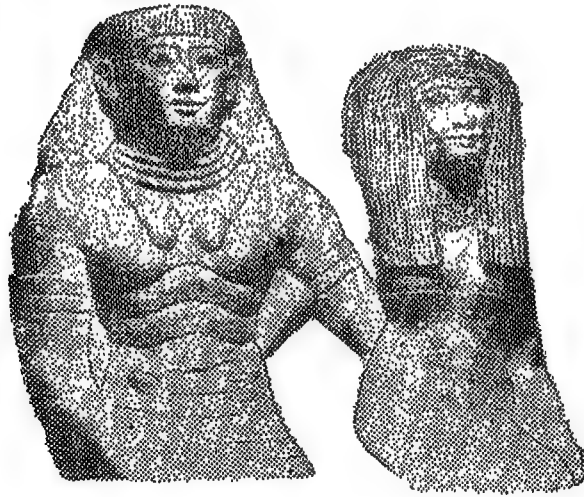
وهناك حجرتان كاملتان (٤٤ - ٤٥) قد خصصتا لعرض الآثار الهامة
التي وجدت في قسطنطينية وبلانة ببلاد النوبة للملوك الذين عاشوا هناك
بين القرون الثالث حتى السادس بعد الميلاد وقد اشتهروا
بقوتهم وفروسيتهم وسوف نتحدث عنهم باسهاب عند التكلم
عن المناطق التي عاشوا فيها .

كذلك تجدر مشاهدة بعض الآثار الهامة بحديقة المتحف ، نذكر منها
على سبيل المثال تمثالان هائلان من الكراتزيت من اهناسية للملك رمسيس
الثاني (٦١٥٨) ، كذلك مقبرة الأمير شيشنق من ميت رهينة
ومقبرة أحد العجول المقدسة من عين شمس .

الفصل الخامس

المتحف المصرى بالقاهرة (٢)

والآن نصعد الى الطبقة العليا لنرى ذلك الجزء من المتحف الذى يعتبره الكثيرون أكثر متعة ، فهو لا يبرز كثيرا من القطع الكبيرة والتماثيل ، مثلما يبرز من المخلقات الشخصية للعظماء من رجال ونساء مصر القديمة ، وأثاثهم الجنائزى الذى يلقى ضوءا قويا على طريقة معيشتهم ، وحليهم وكتاباتهم التى حفظت لنا من أيامهم .



(شكل رقم ٣٢)

الجزء العلوى لتمثال منحوت من الجرانيت
الأسود لسن نفرو وزوجته من الكرنك
(المتحف المصرى)

وفى هذا القسم سنتناول بوجه خاص ، الأثاث البديع المكتشف بمقبرة « يوبا و تويو » والذى الملكة المعروفة « نى » وتلك المجموعة الرائعة من مقبرة « توت عنخ آمون » ، وهى كنز ليس له مثيل فى أى متحف آخر من متاحف العالم .

وبينما نصعد أحد السلمين من الواجهة القبلىة للمتحف نشاهد أولا فى أعلى كل سلم (الطبقة العليا ٥٧ أو ٥١) نماذج من تابوت كهنه آمون (أرقام ٦٠٩٢ ، أ ، ب) .

وهذه التوابيت ترجع الى عصر الأسرة الحادية والعشرين عندما تحمس الكهنة لاختفاء « موميات » الملوك من عبث لصووص المقابر . وبينما هم يقومون بوضع لفائف جديدة للموميات الملكية التى عبث بها اللصوص . وبينما هم يعملون على اخفائها فى أماكن سرية أمينة ، كان من البديهي أن يحموا كذلك أجسام طائفتهم بنفس الطريقة . وقد وجدوا مقبرة قديمة على مقربة من الدير البحرى دفنوا فيها ما لا يقل عن ١٥٣ تابوتا لكهنة وكاهنات آمون .

وقد كشفت مصلحة الآثار هذا المخبأ عام ١٨٩١ وأهدت الحكومة المصرية الكثير من هذه التوابيت الى المتاحف الأجنبية . وأرقام ٦٠٩٢ أ و ب هى مجموعة من التوابيت ذات طراز واحد بديع تتألف كل مجموعة منها بوجه عام من تابوتين أو ثلاثة يدخل بعضها فى بعض ، وهى مزخرفة برسوم متعددة الألوان ، ومغطاة بطلاء قد اصفر لونه بمضى الزمن .

والمناظر التى عليها ذات أهمية للباحثين فى الأساطير الدينية ، وهناك توابيت أخرى من هذا الطراز ، يستطيع أن يشاهدها الدارسون الاخصائيون باذن من أمين المتحف .

وفى الطبقة العليا ٤٦ ، ٤٧ نرى مجموعة من التوابيت أكثر روعة وأهمية ، والجزء الأكبر منها (داخل خزانات) كان يضم موميات عثر عليها فى الكشفين الكبيرين للموميات والتوابيت الملكية فى أواخر القرن التاسع عشر .

وقصة اخفاء الموميات الملكية ثم الكشف عنها وعن الأدوات الجنازية التى سلمت من ايدى لصوص المقابر، وقيام الكهنة باعادة تكفين هذه الموميات لهى واحدة من القصص الروائية فى تاريخ الاكتشاف .

ولا يتسع المجال هنا لسردها بالتفصيل ، ولهذا سنسردها باختصار .
وان بعد النظر المتمثل فى قول الملك الحكيم « وفرة الثراء تحرمه من النوم »
لم يصدق فى حالة ما بقدر ما صدق فى حالة ملوك الدولة الحديثة الذين
دفنوا فى مقابرهم المنحوتة بالصخر فى وادى الملوك بطيبة (بالضفة الغربية
للنيل) ومعهم كنوزهم التى تفوق أحلام الطامعين .

ولم تسفر مظاهر الأبهة الماثلة فى مقابرهم الا عن نتيجة واحدة هى اطلاق.
راحتهم مرة بعد أخرى : أولا على ايدى اللصوص الذين نهبوا فى اصرار وفى
غير رحمة كل مقبرة مهما بلغت درجة التفتن فى اخفائها ، وندر أن سلمت.
مقبرة ملكية من عبثهم .



(شكل رقم ٣٣)

النصف الأعلى لرأس تمثال الالهة آمون رع ويرجع تاريخه الى عهد
الملك حور محب الأسرة ١٩ (المتحف المصرى)

ثم على أيدي حراس المقابر الملكية من رجال الدين (وذلك ضد رغبة اللصوص) عندما بذلوا جهودا مضنية في سبيل إيجاد مخايب منيعة للموميات الملكية ، التي لم يستطيعوا حمايتها ، وبذلك أصبح خلود هؤلاء الملوك مهددا دائما بالضياح بسبب العبث بمومياتهم على أيدي اللصوص القساة .

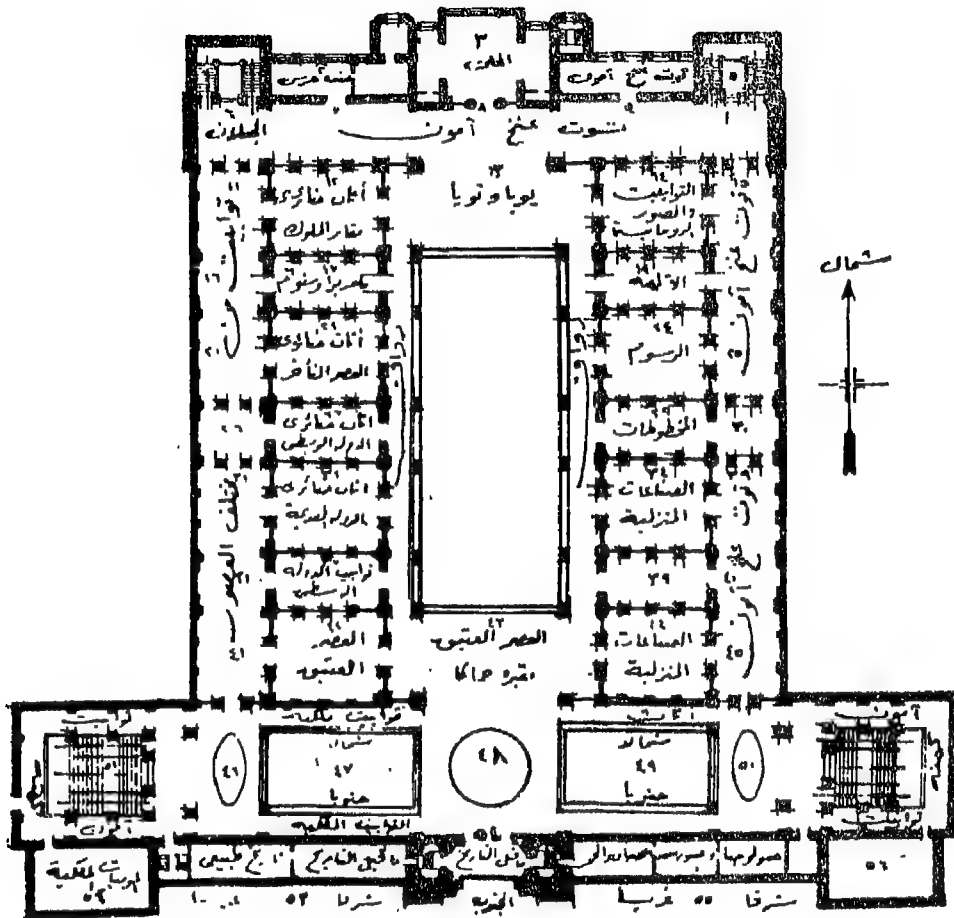
وقد مدتنا مجموعة من أوراق البردى من عصر الأسرة العشرين مثل برديات « أبوت » و « أمهرست » و « ماير » بأخبار عن الحالة التي كانت عليها جبانة طيبة في عهد الملك رمسيس التاسع .

ولم تسفر العقوبات الشديدة التي نزلت باللصوص الذين ثبت إجرامهم الا عن منع القليل من السرقات ، بل يمكن القول بأنها لم تنجح قط في وقفها .

ولما كان الكهنة المخلصون يعلمون أن بعثرة المقابر في الوادى الموحش تسهل للصوص فرصة السطو المستمر عليها ، فقد جربوا خطة تهدف الى تجميع ساداتهم الملوك في أماكن محصورة حتى يمكن حراسة عدد كبير منهم بالسهولة التي يمكن بها حراسة أحدهم .

وهكذا جريت مقابر متتالية لتكون مثوى لهم ، ولكن التجربة باءت بالفشل . وأخيرا ، في بداية عهد شيشنق ، أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين ، وضعت بعض الشخصيات الملكية في حجرة صغيرة بمقبرة الملك « أمنوفيس الثانى » بوادى الملوك ، ثم أحكم اغلاقها .

وأخفيت مجموعة أخرى ملكية ، لم تكن قد جردت تماما من لفائفها ، أو عبث بها اللصوص ، في مقبرة من مقابر الدولة الوسطى غير بعيدة عن معابد الدير البحرى . ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى بدأ عهد الانحلال التدريجى لطيبة ونهبها على أيدي الآشوريين .



(شكل رقم ٣٤)
المتحف المصرى الطابق العلوى

وقد أسدل ستار النسيان على هذين المكانين ، ولم يعد سرهما معروفا ،
فقد ذهب الكهنة الذين يعرفون السر ، وجاء الدور على اللصوص الذين
سطوا على المقابر الملكية لينالوا نفس المصير بنهب مقابرهم لو كان
بهما ما يستحق السرقة .



(شكل رقم ٣٥)

تماذج موميّات من العصر الروماني حيث
تمثل جثة الميت في ثيابه الكاملة ومغطاة
بالأشرطة واللفائف - وهي صورة صادقة

ملبوسة للميت

(المتحف المصري)

وفي أواخر القرن الماضي تبين أن الراحة الطويلة ، آلتى نعم بها
الفراعنة الذين انتهكت حرمتهم فيما سبق ، قد قطعت من جديد ، إذ
بدأت مخلفات معظم الملوك المنسيين في الظهور بأسواق تجارة الآثار .

وأخيرا حامت الشبهات حول أسرة بعينها ، ويطرق الاغراء التى كانت
شائعة في القرون الوسطى والتى كانت أكثر شيوعا في مصر القديمة ،
أدلى الفلاحون المحظوظون الذين عثروا على الكنز بمعلوماتهم .

وفي شهر يولييه من عام ١٨٨١ فوجيء العالم بالكشف الكبير عن جثث
الفراعنة بالدير البحرى تماما كما فوجيء في نهاية سنة ١٩٢٢ بالكشف عن
مقبرة « توت عنخ آمون » وفي عام ١٨٩٨ تمكن « لوريه » بالاستعانة
بمعلومات الأهالى من فتح مقبرة « أمنوفيس » الثانى .

ووجدت مع ضارب القوس المرحوب الجانب مجموعة من الفراعنة
الذين نزلوا - دون اختيارهم - ضيوفا على ابن « تحتمس الثالث »
في وقت قد يكون أقدم من الوقت الذى استقر فيه فراعنة الدير البحرى،
ولا يمكن مقارنة الكمية الفعلية من الأثاث الجنائزى الذى أسفر عنه
هذان الكشفان بكنوز « توت عنخ آمون » .

لأن هؤلاء الفراعنة نهبوا أكثر من مرة قبل أن يرقدوا في مثواهم
الأخير ، ولكن من الناحية التاريخية ، يفوق كشفا أواخر القرن التاسع
عشر الكشف الذى تلاهما ، اذ عثر في هذين المخبأين عما لا يقل عن ثلاثة
وثلاثين ملكا أو شخصية كبيرة ، الى جانب عشرة أشخاص آخرين
من مرتبة أقل .

ومنذ ذلك الوقت تم كشف عدد آخر من مقابر الملوك أو الأمراء مثل
كشف مقبرة الأمير « يويا » وزوجته الأميرة « تويو » (اكتشافات ديفز سنة
١٩٠٥) « واخناتون » في مقبرة أمه الملكة « تى » (اكتشافات ديفز سنة
١٩٠٧) والتابوت الضخم للملكة « مريت آمون » (متحف المتروبوليتان
الفنون - مارس ١٩٢٩) .

(م ١١ الآثار ج ١)



(شكل رقم ٣٦)
تمثال للملك امنحتب الثانى
(المتحف المصرى)

أما كشف مقبرة « توت عنخ آمون » الغنية فقد طغى على كل شيء
سواه (كارنارفون وكارتر - نوفمبر سنة ١٩٢٢) ، وباستثناء
« أمنوفيس الثانى » و « توت عنخ آمون » لم يعثر على أى ملك فى
المقبرة التى دفن فيها أصلا .

وحتى فى حالة هذين الملكين نجد أن « أمنوفيس الثانى » نهب الى
حد كبير . أما الملك « توت عنخ آمون » فلم يصب الا بخسارة قليلة ،
اذ يبدو أن اللصوص فوجئوا فى أثناء سطوهم عليه ، وبذلك لم يكن لديهم
الوقت الكافى لنهب الكثير من محتويات مقبرته .

وهكذا تجمعت مخلفات كثير من ملوك مصر العظماء في المتحف بدلا من تركها في المقابر التي دفنوا فيها . وان بقايا أثاثهم الجنائزى التي تبدوا لنا - في حالتها الراهنة - رائعة انما هي في الحقيقة البقايا الطفيفة التي تخطفت عن البهاء الذى صحب أصلا أولئك الملوك في مشواهم الأخير كما صحبهم في الحياة الدنيا .



(شكل رقم ٣٧)

تمثال للملك رمسيس الثانى من
الجرانيت الأسود (متحف تورينو)

ويجب أن نذكر أن المتعة التي يشوبها نوع من الفزع عند التطلع إلى وجوه « سيتى الأول » و « رمسيس الثانى » وغيرها أصبحت الآن من آثار الماضي ، إذ أن جميع الموميات التي نزعمت عنها أكفانها قد حجبت

منذ عام ١٩٢٨ عن أنظار الجماهير (١) .

ومما يسترعى الانتباه تلك التوابيت الثلاثة الضخمة أرقام ٣٨٧٢ ، ٣٨٩٢ ، ٦١٥٠ المصفوفة بالطبقة العليا ٤٦ ، ورقم ٣٨٧٢ أقدمها وقد صنع للملكة « اياح حتب » التى كانت تتمتع بمكانة عالية في تاريخ مصر بصفتها زوجة للملك سقننرع .

الذى صوب أول ضربة في حرب التحرير ضد الهكسوس ، وقد تلتها ضربة « أحمس » الذى أتم التحرير مع زوجته الملكة « أحمس نفرتارى » أم الملك « أمنوفيس الأول » .

والتابوت ضخمة يزيد ارتفاعه على ثلاثة أمتار دون احتساب الريشتين الطويلتين لآمون اللتين كانتا في الأصل تعلوانه ، وهو مصنوع من الخشب ومغطى بطبقة من الجص موضوعة فوق كتان ، شكلت بشكل الملكة على هيئة أوزوريس .

والتابوت ملون باللون الأصفر . أما التابوت الداخلى لهذه الملكة العظيمة الذى وجدت به مجموعة الحلى ، وكانت سببا في اقامة المتحف الذى سعى لاقامته مارييت ، فيحمل رقم ٣٨٨٨ (٢) .

(١) أعيد عرض هذه الموميات في نوفمبر سنة ١٩٥٩ تحت أرقام ٦٣٤٢ - ٦٣٦٦ بالطبقة العليا - حجرة ٥٢ ، وتشمل مومياء الملك سقننرع ، الثالث من الأسرة السابعة عشرة ومومياء أحمس الأول وأمنوفيس الأول وتحتمس الأول والثانى والثالث وأمنوفيس الثانى وتحتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة ، وموميات سبتى الأول ورمسيس الثانى ومنفتاح وسيتى الثانى من الأسرة التاسعة عشرة ، وموميات رمسيس الثالث والرابع والخامس والسادس والتاسع من الأسرة العشرين ، وكذا موميات بعض الملكات .

(٢) هو معروض بالطبقة العليا في الحجرة رقم ٤٧ .

- ١٦٥ -

والتابوت الثانى الضخم رقم ٣٨٩٢ خاص بالملكة « أحمس نفرتارى » التى كانت ، كما ذكرنا سابقا ، زوجة لأخيها « أحمس » وأم «أمنوفيس» الأولى التى بجلت أيضا بعد وفاتها .

وهذا التابوت ضخم يزيد ارتفاعه أيضا على ثلاثة أمتار ، وهو يمثل الملكة على هيئة أوزوريس ، وقد وجد مع الموميات الملكية بالدير البحرى .

أما رقم ٦١٥٠ فيرجع تاريخه الى قرابة قرن أو ما يزيد قليلا بعد تاريخ التابوتين السابقين ، وهو خاص بالملكة « مريت آمون » التى كانت حسب قول المكتشف « هـ.ى ونلوك » ابنة تحتمس الثالث وزوجة أمنوفيس الثانى .

ولكن يظهر انها توفيت مبكرا فى عهد الملك الأخير دون أن يكون لها وريث ، وتابوتها من الحجم الضخم مثل التابوتين الآخرين ، اذ يبلغ ارتفاعه حوالى ثلاثة أمتار وربع ، وقد شكل بالملكة على هيئة « أوزوريس » ، وعلى كتفيه وصدره زخرفة على شكل خلايا النحل تشبه التابوتين الآخرين ، وزخارفه المطعمة لابد أنها كانت فى الأصل أثمن بكثير مما تدل عليه العيون الزجاجية الحالية .

ويذكر مستر « ونلوك » (مجلة متحف المتروبوليتان - البعثة المصرية ١٩٢٨ - ١٩٢٩ - ص ٢٧٠) أن الزجاج الحالى ثبت على عجل مكان مادة أخرى أثمن ، كما أن الدلائل التى على التابوت تدل على انه كان فى الأصل مغطى برفائق من الذهب ، كما هو الحال فى التابوتين الخارجيين لتتوت عنخ آمون .

وقد وجدت على لفائف المومياة كتابة تدل على أن مومياة الملكة قد أعيد تكفينها فى عهد الملك « بانجم الثانى » من ملوك الأسرة الحادية والعشرين . ومنذ ذلك الوقت لم يعكر صفوها أحد حتى كشفت عنها البعثة الأمريكية عام ١٩٢٩ .

ورقم ٦١٥١ (الحجر ٥١ ، وسط شرقى) ، هو التابوت الأصفر الداخلى للملكة مريت آمون ، وبه دلائل على أنه كان أيضا فى الأصل مغطى برفائق الذهب ، ومحلى بقطع جميلة من الزجاج انتزعها للصمصم . والتلوين الذى أجرى للتابوت فى عهد الأسرة الحادية والعشرين خشن نوعا ما ، وفى هذا التابوت ، يمكن أن ترى المومياء الرشيقة لهذه الملكة ملفوفة بعناية فى أكفانها ، وقد توج رأسها بأكاليل الزهر .



(شكل رقم ٣٨)

أحد التماثيل النادرة للسيدة مريت
زوجة الوزير الفرعون مايا
(متحف ليدن)

وتابوت « أمنوفيس الأول » يحمل رقم ٣٨٧٤ بالطبقة العليا (٤٧ شمالا وسط) ومومياء هى الرحيلة بين المومياء الملكية التى لم تفك لفائفها لغرض الفحص ، وغطاء التابوت عند الرأس يمثل صورة الملك من الخشب والورق المقوى .

ويوجد قناع من نفس النوع فوق رأس المومياء بداخل التابوت .
وعند فحص المومياء وجد أن ذكرا من النحل قد اجتذبتته الأزهار فدخل
التابوت لحظة الدفن ، وقد ظل سليما ، وبنا أمدنا بنموذج قد يكون
هو الوحيد من ذكر النحل المحنط (دليل ما سبرو - ص ٤٠٨) ويضيف
« ماسبرو » : « ولسوء الحظ فقد ذكر النحل ١٨٩٢ في أثناء نقل
المتحف من بولاق الى الجيزة » .

ورقم ٣٨٧٧ بالطبقة العليا ٤٦ جنوبا ، هو غطاء تابوت الملك
« رمسيس الثانى » أو بمعنى أصح غطاء التابوت الذى صنع له فى تاريخ
متأخر عندما ظهر أن مقبرته قد نهبت وتابوته قد دمر ، ويشك فى
أن الصورة الأخاذة للملك المتوفى الممثلة على هيئة « أوزوريس »
لرمسيس الثانى ، ويحتمل أنها « لهور محب » أو « رمسيس الأول » ،
وعلى كل فهى قطعة رائعة من الفن .

واشتهر اسم « كاموسى » خليفة « سقنن رع » ووريثه فى حربه ضد
الهكسوس بعض الشيء منذ كشف اللوحة المشهورة التى تمثله وهو يصف
موقفه بصراحة وشجاعة غير متوقعتين من شخص فى مثل مركزه العظيم ،
فيقول : « فهذا أمير يجلس فى أفاريس ، وهذا آخر يجلس فى النوبة »
وها أنا قد حوصرت بين آسيوى وزنجى « (١) (انظر ارمان : أدب المصريين
القدماء - ترجمة بلاكمان ، ص ٥٢ وما يليها) .

وتابوته رقم ٣٨٨٦ بالطبقة العليا (٤٧ شمالا - وسط) من النوع
المعروف عند الأهالى باسم « الريشى » ولولا ذلك لما استحق أى اهتمام .
والتابوت رقم ٣٨٨٧ بالطبقة العليا ٤٧ شمالا يلفت النظر ، لا لميزة

(١) عثر فى عام ١٩٥٤ عند مدخل بهو الأعمدة بمعبد الكرنك على لوحة
كبيرة تحدثنا عن حروب كاموسى مع الهكسوس وكيف نجح فى إجلائهم عن
الوجه القبلى ومهد بذلك السبيل لأخيه وخليفته أحمس وطردهم
نهائيا من البلاد .

خاصة به ، بل لأنه التابوت الذى ضم مومياه « تحتمس » الثالث
أعظم محارب أنجبته مصر .

وتدل جثة تحتمس الثالث ، التى تناولها المكتشفون العرب لمخبأ
الدير البحرى بخشونة ، على أن صاحبها كان ، ككثير من المحاربين
العظام ، صغير الجسم .



(شكل رقم ٣٩)

رأس تمثال أوسر كاف من حجر الشست -
الأسرة الخامسة (المتحف المصرى)

وتابوت « تحتمس » الأول رقم ٣٨٨٩ بالطبقة العليا ٤٧ شمالا
قد أعيد استعماله للملك « بانجم » الأول من ملوك الأسرة الحادية
والعشرين ، وهو مذهب ومغطى بزخارف من القاشانى .

وآخر تابوتين ملكيين سنذكرهما فى هذا الموضع هما رقمما ٣٨٩٣
و ٣٨٩٤ بالطبقة العليا ٤٧ . ورقم ٣٨٩٣ خاص بالملك سقننرع الذى
- ان صح ما ذكرته بردية سالية - قد بدأ الحرب ضد الملك «أبوفيس»

آخر ملوك الهكسوس ، تلك الحرب التى انتهت بطرد الغزاة الآسيويين .
ومومياء تدل على أنه قد لقي حتفه فى أثناء قتال مرير ، وربما كان
ذلك فى إحدى المواقع الحربية التى خاضها ضد الهكسوس ، وقد تم
تحنيطه على وجه السرعة .

أما رقم ٣٨٩٤ فهو تابوت الملك « أحس » الأول ، الذى قاد
بنجاح معركة التحرير ضد الهكسوس ، تلك المعركة التى بدأها سقننرع
وكاموسي .

وليس فى هذين التابوتين ما يستحق الاهتمام ، ولكن من الضروري
أن يرى الإنسان التوابيت التى تضم بقايا الرجال الثلاثة الذين خاضوا
حربا طويلة لتحرير مصر .

وتضم القاعتان ٥٣ و ٥٤ بالطبقة العليا على التوالى نماذج توضح
تاريخ مصر الطبيعى وصناعة الصوان . وتوجد أيضا نماذج من الأخيرة
فى الحجرتين ٤٢ و ٤٣ بالطبقة العليا والدهليز رقم ٤٢ (١) . ولقد كان

(١) نقلت هذه المعروضات إلى القاعة ٥٥ التى تضم بجانب الأدوات
والآلات الحجرية نماذج للأحجار الموجودة بمصر وصورا جوية لمواقع
الآثار . والآلات الحجرية المعروضة بهذه الحجرة ترجع إلى العصرين
الحجرى القديم والحديث ، عثر عليها فى طيبة وطلوان والفيوم
(أرقام ٢١٠١ إلى ٢١٠٥) .

أما الدهليز رقم ٥٤ فيضم آثارا من عصر البدأى (٦٠٥٩) ومن
« مرمدة بنى سلامة » (٦٢٠٠) .

وتضم الحجرة رقم ٥٣ آثارا أخرى من العصر الحديث ، لعل من
أهمها فأس من النحاس الأحمر المصبوب يعد من أقدم الآلات المعدنية التى
اكتشفت بمصر (٦٢٠٣) وكذا مجموعة كبيرة من الأواني الفخارية .
أما البقايا الحيوانية والنباتية (٦١١٧ - ٦١٣١) فهى معروضة بالجانب
الغربى من هذه الحجرة ، وقد نقل الجانب الأكبر من هذه الآثار إلى
المتحف الزراعى بالدقى .

صانع الصوان المصرى من أبرع من حملوا لواء هذه الصناعة .

وبعض السكاكين المتموجة لا تعتبر فقط أدوات رائعة ، بل انها كذلك قطع من الفن الجميل . ويجب أن نلاحظ في أثناء تجولنا رقم ٣٠٠٠ بالحجرة ٤٨ بالطبقة العليا (١) ، وهو مقدمة المركبة الحربية تحتتمس الرابع ، المصنوعة من الخشب ، المحلى بنقوش بارزة فوق طبقة بين الجص تمثل الانتصارات الحربية لهذا الملك .

وقد بدت مركبة تحتتمس الرابع بعد كشف المركبات الخربية بمنقبة توت عنخ آمون شيئا تافها بالنسبة لها ، ولكنها مع ذلك على جانب كبير من الأهمية . وعلى الرغم من أنها لا تصل في فخامتها الى مستوى المركبات التى صنعت بعد ذلك ، غير أنها أكثر أهمية من النساحة التاريخية (١٠)

وعند الدخول الى القاعة ٤٣ بالطبقة العليا نلتقى بمجموعتين هامتين من نماذج صنعت بدقة حتى ليخيل لينا أن الحياة المصرية القديمة عاشت من جديد فى أيامنا هذه .

والنماذج التى تحمل رقمى ٣٣٤٥ و ٣٣٤٦ تمثل جنودا مسلحين بحراب وآخرين مسلحين بأقواس وسهام ، وقد عثر عليها بمير فى مقبرة « مسحتى » أحد أمراء أسيوط (٢) .

واحدى المجموعتين تتكون من أربعين من الجنود المشاة المصريين ومعهم تروس وحراب لها أسنة من البرونز ، أما المجموعة الأخرى فتتألف من مثل هذا العدد من الجنود السودانيين الذين يحملون أقواسا وسهاما لها أسنة من الصوان .

(١) نقلت الآن الى الحجرة ١٢ بالطبقة العليا .

(٢) مجموعة « مسحتى » معروضة الآن بالحجرة رقم ٣٧ بالطبقة

العليا أرقام (٣٣٤٥ - ٣٣٤٩) .

ومعدات كل جندي ملونة بلون خاص حتى يمكن التعرف على أسلحته بسهولة عندما تصدر إليه الأوامر بالقتال .

والصورة التي تقدمها هاتان المجموعتان على جانب كبير من الحيوية والصدق . وبصرف النظر عن قيمة هذه النماذج الصغيرة كمستندات عن معدات الجيش المصرى ، فان لها جاذبية كبيرة من حيث دقة نظامها وفعالية التماثيل الصغيرة بها .

ورقم ٣٣٤٧ قارب جنازى خصص لرحلات « مسحتى » فوق صفحة النيل السماوى أو قنوات أو بحيرات العالم الآخر ، وله قمرتان ، المؤخرة ورقما ٣٣٤٨ و ٣٣٤٩ تابوتان مذهبان لمسحتى تزينهما عيون سحرية .



(شكل رقم ٤٠)

تمثال صغير للملك خوفو باني الهرم الأكبر بالجيزة مرتديا تاج الوجه البحرى ، وهذا التمثال رغم صغره وعدم فخامته الا أنه يدل على القوة البدنية لصاحبها وهو التمثال الوحيد الذى عثر عليه لذلك الملك

(المتحف المصرى)

ويجب أن نوجه اهتمامنا إلى تمثال صغير من العاج - قد يبدو قليل الأهمية - لملك الوجه البحرى (رقم ٤٢٤٤ بالحجرة ٤٣ بالطبقة العليا ، الخزانة الجنوبية) (١) .

فهذا التمثال هو التمثال الوحيد للملك « خوفو » باني الهرم الأكبر ، وملامحه دقيقة فالوجه يبلغ ارتفاعه ربع بوصة فقط ، وقد قال عنه مكتشفه سير « فلندرز بترى » : « ان العزم البعيد النظر والنشاط والارادة المثلة في هذا الحجم تستطيع أن تبعث الحياة في تمثال بالحجم الطبيعى » (الفنون والحرف في مصر القديمة - ص - ١٣٥) .

والتابوتان المصنوعان من الحجر الجيرى رقم ٦٢٣ ورقم ٦٠٣٣ بالطبقة العليا ٤٣ جديران أيضا بالاهتمام وهما خاصان بالسيدات « كاويت » و « عشايت » من زوجات أحد الملوك المعروفين باسم « منتوحتب » من الأسرة الحادية عشرة (٢) .

ويشير « بيدكر » إليها باختصار في قوله : « انهما من الطراز الخشن المعروف في الأسرة الحادية عشرة » ، ولكن هذا القول فيه كثير من التجنى على طراز استطاع بصعوبة أن يقف على قدميه بعد فترة الانهيار في العصر المتوسط الأول ، ويتميز مع ذلك بالجدنة والجلابية .

وأما مثل آخر لقطعة على جانب كبير من الأهمية . وهذه القطعة التي تحمل رقم ٤٢٥٧ بالطبقة العليا ٤٣ - الخزانة الجنوبية - هي رأس صغير من حجر الشبست الأشهب للكمة تضع الحية المزدوجة على مقدمة لباس الرأس المتقن .

(١) معروض الآن بالحجرة رقم ٤٨ من الطبقة العليا ، وقد عثر عليه أصلا في أبيدوس .

(٢) هو منتوحتب الكبير مؤسس الدولة الوسطى ، الذى استطاع أن يوحد القطرين في أعقاب العصر المتوسط الأول . وتابوت كاويت بوجه خاص - (٦٢٣) مزين بصور بديعة تعد مثلا رائعاً لفن الأسرة الحادية عشرة .

والخرطوش الذى يعلو الحيتين يحمل اسم الملكة « تى » (١) . ولابد أن التمثال الذى عثر عليه « بترى » فى معبد عمال المناجم بسراييط الخادم بسيناء عام ١٩٠٥ كان ارتفاعه فى الأصل حوالى قدم والقطعة التى بقيت منه والتى تمثل الرأس ولباس الرأس يبلغ ارتفاعها حوالى ثلاث بوصات ونصف بوصة .

ولكن هذه القطعة التى قد تغفل بسهولة لها أهمية غير عادية ، اذ أنها الرأس الوحيدة المؤكدة لسيدة لعبت دورا كبيرا فى التاريخ ، وكان لها نصيب غير صغير فى رسم مصير مصر ، وعلى الرغم من صغر حجمها فإنها لاشك صورة صادقة لصاحبها ، ولها تأثير جذاب .

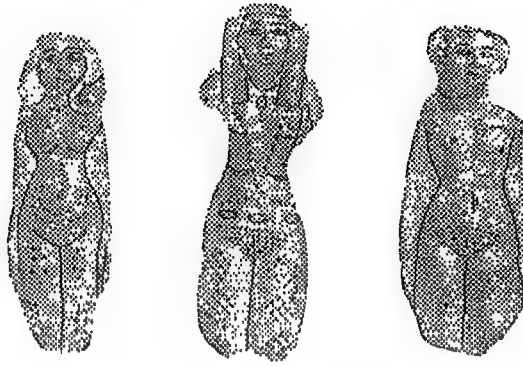
« فالترفع المرتسم على وجهها يمتزج بصرامة ساحرة وجاذبية شخصية ... والشفاه المتدلّية فى امتلاء مع الرقة والأنفة المثلثة فيها - دون حقد - شكلت فى صدق مستمد من الحياة » (بترى : أبحاث فى سينا - ص ١٢٦) .

والآن لنمض الى القاعة ٤٢ الطبقة العليا ، وهى ودهليزها مخصصان للمعروضات التى تمثل الفن العتيق فى مصر . ومن الناحية التاريخية نجد أن رقم ٦٠٥٩ ، ب يستحق اهتمامنا أولا حيث توجد الآثار التى كشف عنها السيد « جاى برنتون » فى الفترة من ١٩٢٥ الى ١٩٣٠ بمنطقة البدارى على مسافة غير بعيدة جنوبى أسيوط .

وهى لا تسترعى الكثير من الانتباه ، ولكنها تمثل مرحلة ذات آثار أقدم من أى أثر آخر وجد فى مصر . والحضارة التى تنسب إليها تسبق

(١) زوجة أمنوفيس الثالث وأم أمنحتب الرابع وقد لعبت دورا هاما فى عهديهما . وهذه الرأس وكذلك تابوتا « عشاييت » و « كاويت » تعرض الآن بالطبقة العليا فى الحجرة رقم ٤٨ .

ما جرى العرف على تسميته بعصر ما قبل الأسرات (١) .



(شكل رقم ٤١)

نماذج لتمائيل صغيرة لسيدات أو محظيات عاريات
على جسم كل منهن زخرفة بالوشم ولاسيما
الجزء الأسفل
(المتحف المصرى)

وأهم مظهر مميز لتلك الحضارة هي الأواني المصنوعة من الفخار
الرقيق الأحمر ذي الحافة السوداء وقد وجدت عينة واحدة من
الفخار الرقيق الأسود مزخرفة بزخارف غائرة من اللون الأبيض، وتغطي
معظم الأواني تموجات على جانب كبير من الرقة والجمال .

وكان الفخار الخشن يستخدم أيضا في الأغراض المنزلية العادية .
وبالحكم على هذا المظهر من مظاهر الحضارة يتبين لنا أن البدائيين
كانوا متقدمين جدا في ثقافتهم .

(١) هناك حضارات اكتشفت من العصر الحجري الحديث أقدم من
هذه الحضارة مثل حضارة مرمدة - بنى سلامة وقد نقلت آثار البداري
الى الدهليز رقم ٥٤ بالطبقة العليا حيث تعرض الآن .

وقد كانت أدواتهم وأسلحتهم من الظران ، وعلى الرغم من جودة صناعاتها فإنها لم تصل الى المستوى الرفيع الذى وصلت اليه فى العصور التالية ، ويبدو أن لباسهم كان يصنع أساسا من الجلد المدبوغ ، على الرغم من أنهم كانوا يستعملون الكتان فى صناعة القطع الصغيرة .

وكانوا يزينون أنفسهم بأساور من العاج وغقود من أصداف البحر الأحمر وخرزات من الحصى المطفى بطبقة زرقاء ، من المحتمل أنها كانت ترد اليهم عن طريق التجارة ، وكانوا يعرفون النحاس ، ولكنهم لم يستخدموه الا فى أغراض الزخرفة .

وربما كان أهم أثر فى القاعة ٤٢ بالطبقة العليا هو الأثر رقم ٣.٥٥ ، وهو اللوح الكبير من الشمس للملك « نارمر » الذى يعرف باسم « مينيس » أو « مينا » أول ملوك الأسرة الأولى لمصر المتحدة .

وهذا اللوح هو واحد من أهم المستندات لتاريخ مصر فى العصر العتيق . فعلى أحد وجهيه نقش بارز يمثل الملك مرتديا تاج الوجه القبلى الأبيض ، وقد رفع دبوسه ليضرب به أسيرا جثى أمامه .

أما الاله الصقر فيمسك بحبل يتصل بأنف أسير آخر يمثل الستة آلاف أسير الذين أسرهم « نارمر » والوجه الثانى للوح يحمل منظرين : أحدهما يمثل الملك مرتديا تاج الوجه البحرى الأحمر يتقدمه حاملو الأعلام ويتبعه حامل نعليه .

أما المنظر الثانى فيمثل حيوانين خرافيين يمسك برقبة كل منهما مقود يشده رجل ، وتشتبك رقبتا الحيوانين بطريقة غير عادية ، ليحدثا الفجوة المتوسطة التى يفترض استعمالها فى سحق الملاحيت لطلاء الوجه ، ولاشك أن هذا اللوح الكبير كان يستخدم كنوع من القربان لا للاستعمال المنزلى .

وتمتلىء خزانات هذه الحجرة بالآثار . وعلى الرغم من أن مظهرها لا يلفت النظر نسبيا ، فإنها على جانب كبير من الأهمية فى الناحية التاريخية ، وخاصة ما وجد منها فى مقابر الأسرات الأولى بنقادة وأبيدوس وغيرها .

ويلاحظ بوجه خاص الأثر رقم ٣.٥٦ عند الباب الغربى ، وهو تمثال صغير من الشست للملك « خع سخموى » من ملوك الأسرة الثانية ، عثر عليه فى « هيرا كنبوليس » (١) . وهذه القطعة الفنية على الرغم من تاريخها السحيق وحالتها السيئة نسبيا تشهد بعظمة الفن المصرى فى صناعة التماثيل .

وقد أعيد تنظيم محتويات القاعة ٤٢ بالطبقة العليا على يد الأستاذ « ب.ى . نيوبرى » ، ووضعت على آثارها بطاقات تحمل بيانات مستفيضة .

وجميع الآثار المعروضة بهذه الحجرة جديرة بالدراسة الدقيقة ، حيث انها تمثل أقدم الأمثلة لحضارة مصر فى عصر ما قبل الأسرات وعصر الأسرات الأولى .

والحجرتان رقما ٣٧ و ٣٢ بالطبقة العليا مخصصتان للدولة الوسطى، والأولى منهما معدة لتوابيت وموميات العصر ، والأخرى للآثاث الجنائزى فى الدولة الوسطى ، وهو يتميز بصفة خاصة باستخدام نماذج للحياة المصرية .

والتوابيت بالحجرة رقم ٣٧ تجدر ملاحظتها ، لأنها مزخرفة بتلك النصوص الجنائزية التى أصبحت تعرف باسم « نصوص التوابيت » التى تتميز بها الدولة الوسطى ، وهذه التوابيت تكون حلقة الاتصال بين نصوص الأهرام التى تتميز بها الدولة القديمة ، وكتاب الموتى وغيره من كتب الشعائر الجنائزية والسحرية التى كانت سائدة فى الدولة الحديثة .

وفى القاعة ٣٢ بالطبقة العليا نجد أنفسنا وسط احدى المجموعات الرائعة المستوحاة من الحياة والعمل فى مصر . وقد جرت العادة فى عصر الدولة الوسطى بأن يزود المتوفى بالآثاث الجنائزى الذى يتكون فى

(١) هيراكنبوليس التى عثر فيها على هذا التمثال وكذلك على لوحة « نارمر » فى قرية « الكوم الأحمر » الواقعة فى منتصف المسافة بين اسنا وادفو .

معظمه من نماذج تمثله هو نفسه وخدمه يؤدون الأعمال التي اعتادوا القيام بها في الحياة الدنيا .

وهذه النماذج كانت تحل الى حد ما محل الرسوم البارزة في مصاطب الدولة القديمة ، على الرغم من أنه كانت لعظماء الرجال في الدولة الوسطى، رسومهم البارزة وصورهم أيضا .

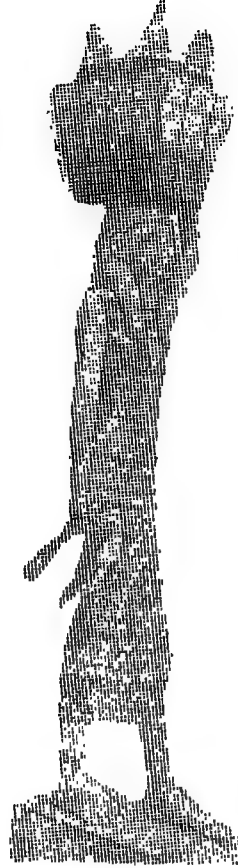
وهذه النماذج الصغيرة لا يمكن اعتبارها قطعاً من الفن ، لأنها صنعت كما صنعت معظم الأشياء العملية في مصر القديمة ، لا لمجرد الدوافع الفنية ، بل لفرض المنفعة البحتة لتضمن سعادة المتوفى في العالم الآخر ، ولكن قيمتها كبرهان على الحياة الاجتماعية وعادات المصريين في الدولتين القديمة والمتوسطة لا يمكن التقليل منها .

فأرقام ٣١٢٣ - ٣١٢٧ بالحجرة رقم ٣٢ بالطبقة العليا خزانة ب مثلاً ، هي نماذج من صقارة في بداية الدولة الوسطى ، ورقم ٣١٢٣ يمثل صناعة الجعة ورقم ٣١٢٤ يمثل الخزافين وهم يصنعون الأواني .

ورقم ٣١٢٥ يصور النجارين يؤدون عملهم ، ورقم ٣١٢٦ هو نموذج لحفلة سمر للسيد وزوجته يستمعان خلالها الى المغنين وضاربى الجناك ، ورقم ٣١٢٧ هو استعراض لخدم المتوفى الصغار والكبار وهم يحملون الأزهار والطعام والشراب لسيدهم في بيت الآخرة .

ورقم ٣١٥٥ هو تمثال لطيف من الحجر الجيري لعازف على الجناك من الأسرة ١٢ ، ورقم ٣٢٢٤ هو واحد من مجموعة التماثيل التي وجدت في مقبرة شخص يدعى « نى عنخ بيبى » الأسود بدير ، وكان يشغل وظيفة كبيرة في عصر الأسرة السادسة .

والمجموعة تضم الأرقام من ٣٢٢٠ الى ٣٢٣٥ ، ولكن أروعها هو رقم ٣٢٢٤ الذى يمثل خادمه يحمل حقيبة ملابسه وصندوق رسائله . ووجه هذا الحمال الصغير غير جميل ، ولكن منظر التمثال من الخلف يلفت النظر .



(شكل رقم ٤٢)

تمثال صغير من الخشب الملون لحدى الخادمت
حاملة سلة فوق رأسها وتمسك بيدها أوزة
(المتحف المصرى)

ولا يمكن التغاضي عن الميزة الفنية لتلك المجموعة البديعة من النماذج
التي كشف عنها السيد « ونلوك » عام ١٩٢٠ في مقبرة « مكت رع » من
الأسرة الحادية عشرة ، وربما كانت هذه المجموعة أجمل مجموعة من
هذا النوع كشف عنها حتى الآن .

وعلى الرغم من أن عددا من القطع الجميلة قد نقل الى متحف « المتربوليتان » للفن بنيويورك فقد بقى بالمتحف المصرى ما يكفى لاعطاء فكرة جيدة عنها (أرقام ٦٠٧٧ - ٦٠٨٦ بالقاعة ٢٧ بالطبقة العليا - الخزان الوسطى) ، فرقم ٦٠٧٧ هو لمركب ذات شراع ، بها قمرة بداخلها سرير قد وضع أسفله صندوق صاحبه .

ورقم ٦٠٧٨ مركب مستعمله كمطبخ ويشاهد بها الطاهى يوقد النار كما أن بها قطعا من اللحم معلقة على الصارى . أما رقم ٦٠٧٩ فهو مركب « مكت رع » الذى يرى جالسا فيها .

ورقم ٦٠٨٠ تمثل قطيعا رائعا من الماشية المطوقة والرقطاء ، قد جلس صاحبها وكتبته يراجعون البيانات ، بينما يجيب أحد الخدم عن أسئلتهم ، وربما كان هذا الخادم هو رئيس الرعاة - ورقم ٦٠٨١ تمثل ملون لخدمه تحمل سلة فوق رأسها وتمسك أوزة بيدها .

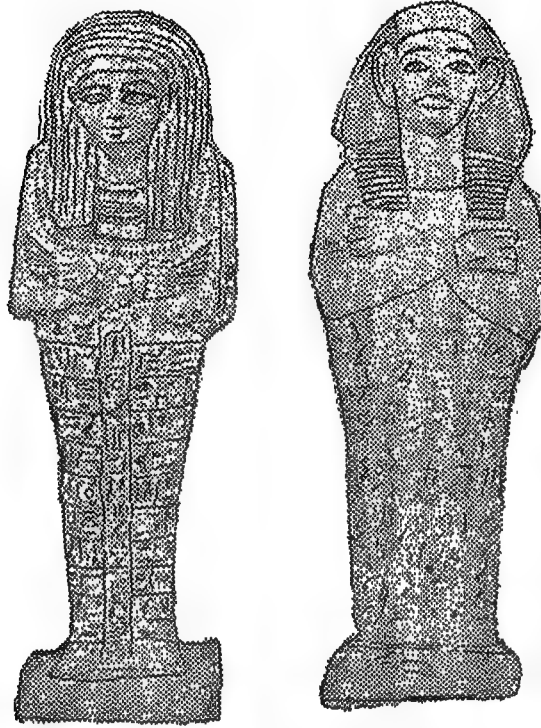
ورقم ٦٠٨٢ نموذج رائع لحديقة تتوسطها بركة صناعية ، وفى طرفها شرفة تقوم على عمد ذات تيجان على شكل براعم البردى ، وتجدر ملاحظة النوافذ ومزاريب المياه .

ورقما ٦٠٨٣ و ٦٠٨٤ يمثلان ورشة للنجارين وأخرى للغزالين والنساجين فى أثناء تأدية عملهم داخل فناء . وأخيرا نرى فى رقم ٦٠٨٥ و ٦٠٨٦ مناظر لقوارب ، ويمثل المنظر الأول ، قاربين يجران شبكة بها نماذج لبعض الأسماك النيلية المألوفة ، أما الثانى فيمثل قاربا يدفعه البحارة بالمجاديف ، بينما يرى صاحبه يستمع الى تقرير من الربان .

وجميع هذه الآثار تؤلف مجموعة رائعة من النماذج التى تمثل الحياة المصرية فى عصر الدولة الوسطى .

وبالدخول الى القاعة ٢٢ بالطبقة العليا نجد أنفسنا فى جو مختلف ، فكل المظاهر الخاصة بالأدوات الجنائزية تبدلت ، فنماذج الخدم المألوفة فى الدولة الوسطى (وفى الدولة القديمة الى حد ما) اختفت وحلت مكانها

منذ ذلك الوقت (عهد الدولة الحديثة) حتى نهاية عصر الأسرات التماثيل من كل نوع ، وجعلان القلب ، وجعلان الحنجرة ، والصدريات ، والعيون المقدسة ، والتماثيل المشكلة على هيئة اصبعين ... الخ .



(شكل رقم ٤٣)

نماذج تماثيل الشوابتي من الدولة الوسطى ،
وهي البديل عند ضياع الجثة والتمثال
الخاص بالمتوفى لكي يحل محلها
(المتحف المصرى)

وكذلك تماثيل الشوابتي ، وكان الغرض منها جميعا ضمان سعادة المتوفى في الآخرة بفضل الأساليب السحرية . وكان يقصد بالشوابتي بصفة خاصة اجابة طلبات المتوفى في الحياة الأخرى وتادية ما يطلبه منها من عمل ، وهذه التماثيل الصغيرة مصنوعة من مواد شتى : خشب ، حجر جيري ، قيشانى ... الخ ، في أحجام متعددة .

وهى فى العادة تصور على شكل أوزوريس قابضا على الحجنة والسوط، على الرغم من أنها تحمل أحيانا أدوات زراعية ، والنص المألوف على هذه التماثيل التى كانت تنقش (فى بعض الأحيان كانت خالية من النقش) هو الآتى : « يا شوابتى (فلان) ، اذا دعى (فلان) أو كلف بأداء عمل ما ينبغى القيام به فى الآخرة ، فيجب عليك أن تمنع ذلك لصالحه ، كرجل يؤدى وأجبه » .

ويجب عليك أن تقدم نفسك فى أى وقت للعمل المطلوب منك ، فتزرع أرض المستنقعات ، وتروى الأرض الجافة ، وتنقل الرجال الى الشرق والى الغرب . ويجب عليك أن تقول : ها أنا هنا ، سأعمل ذلك « ومن كل ذلك يبدو واضحا أن المصرى القديم - كاخوانه من الشعوب القديمة الأخرى - لم يكن يميل الى العمل فى الآخرة .

وتماثيل الشوابتى قد لا تكون لها - اذا نظرنا اليها نظرة سطحية - الجاذبية التى كانت لنماذج الخدم ، ولكنها على جانب كبير من الأهمية ، حيث أنها تمثل مرحلة من الفكر المصرى تتعلق بالحياة بعد الموت ، فضلا عن أنها شاهد على المادية الضرورية التى لازمت الاتجاهات الروحية للأفكار المصرية بهذا الخصوص .

وقد بدأ ظهور الشوابتى كتجربة على نطاق ضيق فى الدولة الوسطى، ولكن نطاقها اتسع فى عصر الدولة الحديثة ، وبخاصة فى العصر المتأخر عندما كانت مئات مئات منها تدفن مع المتوفى ، فمثلا وجد أكثر من ألف شوابتى فى حجرة الدفن بهرم « طهارة » من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين فى نوري ، بالقرب من جبل برقل (انظر مجلة متحف الفن الحديث ببوسطن، عدد ١٦ ، رقم ٩٧ ، ص ٧٢) .

وتعرض هنا نماذج من هذه الشوابتى لكل العصور (٦.٦٢ - ٦.٧٢ ، ب) ، وتجدر ملاحظة رقم ٦.٦٧ من العصر المتأخر ، الممتد من الأسرة السادسة والعشرين الى الأسرة الثلاثين ، وهذه النماذج مصنوعة من القيشانى الأزرق الجميل العديم المثال .

ورقما ٣٣٨٢ و ٣٣٨٣ بالحجرة ٢٢ بالطبقة العليا يشيران العاطفة ،
فرقم ٣٣٨٢ هو مجموعة من الجرانيت الأسود تمثل مومياء راقدة على
سرير . وترى الروح المثلثة على شكل صقر برأس آدمى تحوم حول الجسم
وتضع يديها برفق على الموضع الذى ينبض منه القلب الحى .

وحركة الطائر الرمزى الصغير والتعبير الجميل لوجهه المتسمم
بالضراعة، ثم التباين بين «الحياة التى تنعكس على أساريه ، وبين جمود المومياء
تجعل من هذه المجموعة نموذجا فريدا فى نوعه (دليل ماسيرو ، ص ٣٤٨) .

ويرجع تاريخ هذه المجموعة الى الأسرة العشرين ، وكانت فى الأصل
داخل تابوت صغير أبيض عليه بعض الكتابات والنقوش ورقم ٣٣٨٣ يمثل
مجموعة صغيرة أخرى جنازية من نفس العصر ومن حجر الحية الرمادى .

وبالحجرة رقم ١٧ بالطبقة العليا نرى مجموعتين من الأدوات الجنازية
المكتشفة بطيبة احدهما لنبيلى من الأسرة الثامنة عشرة يدعى «ماحريرا»
وكان يشغل وظيفة حامل مروحة الملك ، ومقبرته غير المنقوشة تحمل
رقه ٣٦ بوادى الملوك .

والمجموعة الثانية للمدعو سنجم « سنوتم » ، (الخادم فى مكان
الحق) ، ومقبرته رقم ١ فى قائمة المقابر الخاصة بطيبة ، وتقع فى
دير المدينة ، وسوف نصفها فيما بعد .

ومن بين أدوات « ماحريرا » نذكر ما يلى : رقم ٣٨٠٠ هو تابوته
المصنوع من الخشب المدهون بطلاء أسود لامع ، ومزخرف برفائق الذهب،
ويضم تابوتا آخر على شكل مومياء ، ورقما ٣٨٢١ و ٣٨٢١ (١) تابوتان
احتياطيان له .

ولا يعرف بالضبط الغرض منهما ، ورقما ٣٨٠١ و ٣٨٠١ (١) هما
جعبة من الجلد الملون ومعها السهام التى كانت بها ، ورقم ٣٨٠٢ طوق
من الجلد الوردى اللون لكلبه ، ورقم ٣٨١٠ هو رقعة اللعب المصنوعة
من الخشب والعاج ، ومعها الزهر وقطع اللعب .

أما أرقام ٣٨١٢ و ٣٨١٣ و ٣٨١٤ فهي أساوره ومشبكته الذهبى ، ورقم ٣٨١٥ كأس جميل أزرق ، ورقم ٣٨١٨ صندوقه الكانوبى ، أما الأوانى الكانوبية الرمزية التى كانت تضم أحشاءه فتحمل رقم ٣٨٢٣ .

ورقم ٣٨٢٢ هو نسخة من كتاب الموتى وجدت معه ، وهى مكتوبة بالمداد الأحمر والأسود ومزينة بزخارف جميلة ملونة « أما صور المتوفى الكثيرة فلقد رسمت بدقة فائقة » (دليل ماسبرو ، ص ٣٩٦) وكتاب الموتى « لما حبروا » على كل حال مثال جلى لكتاب نفذ بكثرة وبطريقة تنقصها الدقة اللازمة فى التنفيذ .

ومجموعة « سنجم » تضم رقم ٢٠٠٠ ، وهو التابوت الخشبى الملون المطلى الخاص بامه « آيزيس » ورقم ٢٠٠١ هو تابوته الخارجى ، وهو من الخشب المطلى والملون بمنظر ونصوص جنازية ، ومن بينها منظر يمثل « سنجم » مع أخته (زوجته) أمام رقعة اللعب .

ورقم ٢٠٠٢ هو تابوت لأحد أقارب « سنجم » ويدعى « خنسو » ورقم ٢٠٠٣ هو تابوت « سنجم » الداخلى وغطاء مومياء ، وهما أيضا من الخشب الملون المدهون بطلاء لامع .

وأرقام ٢٠٠٤ - ٢٠٠٧ هى قطع أثاث وتمثيل جنازية وسرير وكرسى ومقاعد بدون مساند ونماذج آلات وزاوية نجار وميزان بناء وميزان خيط وغير ذلك .

وفى الحجرة ١٢ بالطبقة العليا نجد قطعاً متنوعة من الأدوات الجنازية التى وجدت فى بعض المقابر الملكية بوادى الملوك (مقابر : تحتتمس الثالث ، وأمنوفيس الثانى ، وأمنوفيس الثالث ، وتحتتمس الرابع ، وحورمحب) ، وفى مخبأ الدير البحرى .

ويلاحظ الفهدان المصنوعان من الخشب المدهون بطلاء أسود ، (رقم ٣٧٦٦) ، وكان فوق ظهر كل منهما فى الأصل تمثال الملك « أمنوفيس الثانى » .

ورقم ٣٧٧٢ كفن تحتتمس الثالث ، نقشته عليه فصول من الشعائر السحرية مأخوذة من كتاب الموتى . وفي نفس الخزانة أدوات أخرى من أثاث الملك العظيم (١) .

ومن بين الأشياء التي تدعو الى الغرابة رقم ٣٧٨٠ ، وهو تابوت على شكل غزالة وضعت بداخله غزالة محنطة ، ربما كانت تعتز بها إحدى أميرات الأسرة الحادية والعشرين .

ورقم ٣٧٨٣ مثال غريب لعقيدة المصرى في الحياة الأخرى ، فهو لوح من الخشب نقش عليه مرسوم من الاله آمون يمنح جميع العطايا في الآخرة للأميرة « نس - خنسو » ويحذرهما أيضا من إيقاع الضرر بزوجهما « بانجم » بأى شكل من الأشكال .

والمخطفات الشخصية للملكة حتشبسوت من القلة بحيث لا يلفت نظرنا منها غير رقم ٣٧٩٢ الذى كان فى الأصل خاصا بالملكة العظيمة .

ولكن لما كان اسمها « معات كارع حتشبسوت » يشابه كثيرا اسم ملكة أخرى أحدث عهدا تسمى « معات كارع » زوجة الملك « بانجم » الأول من ملوك الأسرة الحادية والعشرين، فقد أخذ كهنتها - من باب الاقتصاد - صندوق الأحشاء المطعم الخاص بالملكة الأولى ووضعوا به أحشاء الملكة الثانية .

وإذا تركنا الحجرة رقم ٦ بالطبقة العليا حيث توجد مجموعة الجمارين (٦٠٦٠) التي تضم نماذج جميلة وطريقة ، من بينها جمارين الزواج والصيد الخاصة بالملك « أمنوفيس الثالث » ، نصل الى الحجرة رقم ٢ وفيها مخطفات الأثاث الجنائزى للملكة « حتب حرس » زوجة « سينفرو » وأم « خوفو » وقد سبق أن رأينا تابوتها وصندوق الأحشاء فى الشمال

(١) فهود من الخشب وتمائيل صغيرة وتمائم ... الخ .

(الشرقى من الحجرة ٤٧ من الدور الأرضي) (١) .

وفى وسط هذه الحجرة محفة الملكة والسرير والكرسي ذو المسند وصندوق الأساور الذى يضم أساور فضية مطعمة بفراشات من الأحجار نصف الكريمة . وتضم خزانات النوافذ أوانى الزينة والأمواس وأوانى وأطباق المرمر .

ومما يذكر أن الخشب المصنوع منه الأثاث قد انكمش بحيث لم يعد صالحا للاستعمال (انظر الصور على الجدران) . وقد استطاع الدكتور « ج. أريزى » مكتشف المقبرة - بعد دراسة طويلة - أن يعمل نماذج دقيقة الصنع ثبت عليها الرقائق الذهبية القديمة (٢) .

والآن لتوجه الى ذلك القسم من المتحف الذى يعتبره الكثيرون أعظم الأقسام جاذبية ، ونعنى به حجرة المجوهرات رقم ٣ بالطبقة العليا (أرقام ٣٨٩٨ « أ » - ٤٢١٨) التى تحتوى على مجموعة لا مثيل لها فى العالم من الصناعات الفنية المصرية الدقيقة ، ترجع الى الفترة من سنة ٣٥٠٠ ق.م الى العصور اليونانية الرومانية والبيزنطية .

وعلى الرغم من أن اكتشافات السيد « وولى » بأور برهنت على أنه فى الأيام الأولى من الحضارتين المصرية والبابلية كان الصائغ البابلى يسير جنبا الى جنب مع زميله المصرى ، فسرعان ما أصبح الفنان المصرى أكثر تفوقا فى هذه الصناعة .

(١) عثر فى مارس سنة ١٩٢٥ فى بئر على مسافة مائة متر من الجانب الشرقى لهرم الجيزة الأكبر على أثاث هذه الملكة ، الذى يدل على تقدم كبير فى الصناعة والفن أيام الدولة القديمة .

وقد خصصت الحجرة رقم ٢ بالطبقة العليا لهذه المجموعة الرائعة التى تضم تابوتها المرمرى وصندوقها السكندرية من المرمر وبقايا مظلة كبيرة وغير ذلك من آثارها .

(٢) قام بالمجهود الأكبر فى هذا السبيل الفنان المصرى المعروف أحمد

يوسف .

ولمدة لا تقل عن ٢٠٠٠ سنة ، كان من ناحية التنوع الجمالى والمهارة الفنية ، أعظم الفنانين فى العالم القديم .

وقد تدخلت العناصر الأجنبية بعد فتوح الأسرة الثامنة عشرة فى افساد ذوقه فى التصميم ، حتى طبع هذه الصناعة فى الأيام الأخيرة من الامبراطورية بطابع ممل معقد ، ولكن المهارة الفنية للصانع استمرت حتى النهاية دون أن يعتريها الضعف .

ويمكن تتبع الانحطاط التدريجى فى النوق بوضوح فى المجموعة الرائعة من أمثلة جميع عصور التاريخ الوطنى المجتمعة هنا . ومن العدل أن نقول ان الصناعة المدهشة للصانع المصرى يمكن أن نلمسها على حد سوى بوضوح فى كل العصور .

ولدينا دليل كاف على ما وصل اليه فن الصياغة المصرى فى فجر وعصر الأسرات من رقى منذ أكثر من خمسة آلاف سنة .

وهنا (الأرقام ٤٠٠٠ ، ٤٠٠٣ بالحجرة ٣ بالطبقة العليا خزانة ٢) نرى الأساور الأربع التى كشفها عمال « بترى » على ذراع زوجة الملك « جر » من الأسرة الأولى ، وقد حشر هذا الذراع فى فجوة بجدار المقبرة حيث تركها اللصوص القدماء منذ عدة قرون .

وصياغة الأساور ممتازة ورائعة ، « والكمال الفنى فى لحامها لايجارى ، فالوصلات لا يظهر بها أى اختلاف فى اللون أو أى أثر يدل عليها » (بترى - المقابر الملكية - جزء ٢ - ص ١٩) .

وفى الخزانة ١ نجد رقمى ٤٠٠٥ و ٤٠٠٦ وهما تمثالاً ثور وغزال من الذهب المطروق من عصر الأسرة الأولى ، عثر عليهما فى نجع الدير - ورقم ٤٠١٠ ، يعد أحد بدائع الصناعة فى الدولة القديمة ، وهو رأس رائع لصقر من الذهب تعلوه ريشتان من الذهب أيضاً .

وقد كشف عنه « كوبييل » في «هيراكنبوليس» مع التمثالين البرونزين « ليببي الأول » وابنه .

وهنا هذا الطائر البديع مطعمتان وتكونان من الأطواق المصقولة لقضيب من الأوبسيدات يخترق الرأس ، ويرجع تاريخ هذه التحفة الممتازة الى عصر الأسرة السادسة التي ينتسب اليها أيضا الملك « بيبى الأول » .

والأرقام ٣٨٩٨ « أ » - ٣٩٩١ بالحجرة ٣ بالطبقة العليا خزانة ٤ و ه هي كنز دهشور الذى يضم حليا لبعض أميرات الأسرة الثانية عشرة، عشر عليها السيد « ج . دى مورجان » .

وتجدر ملاحظة رقم ٣٩٨٣ بالخزانة ٤ بصفة خاصة ، وهو صدرية عليها خرطوش « سنوسرت » الثانى بين صقرين ، يضع كل منهما فوق رأسه التاج المزدوج .

والحلية من الذهب المطعم بالللازورد والعقيق والفلسبار الأخضر، ورقم ٣٩٧. هو أيضا صدرية عليها عقاب ينشر جناحيه ليحمى خرطوش « سنوسرت » الثالث الذى يرتكز فى كل من جانبيه على حيوان خرافى يطا أعداء مصر ، والحلية مصنوعة أيضا من الذهب والللازورد والعقيق والفلسبار الأخضر ، وارتفاعها يزيد على البوصتين .

ومما يدعو الى الدهشة أن الفنان استطاع فى هذه المساحة الصغيرة أن يبرز تصميمه بشكل واضح خال من التعقيد . ورقم ٣٩٧١ بالخزانة ٤ هو أيضا صدرية محلاة بخرطوش « أمنمحات الثالث » ، وكسابتها نجد العقاب بها يحمى الخرطوش الذى يرتكز على صور صغيرة لأمنمحات نفسه يضرب أعداءه بدبوسه .

وهى مصنوعة من الذهب والللازورد والعقيق والقاشانى ، وارتفاعها ثلاث بوصات ونصف بوصة . ورغم اتساع سطحها نسبيا فان تصميمها ليس رائعا كما هو الحال فى المثال السابق ، لأنه مزدحم ومشوش ، ومع ذلك فصناعته بديعة كما هى العادة .

وتاجا الأميرة « خنومت » قد يكونان أروع ما في الكنز جميعه (رقم ٣٩٢٩ و ٣٩٢٦ - خزانة ٥) وهما من طرازين متباينين تباينا كبيرا ، فرقم ٣٩٢٥ مصنوع من أسلاك تحليها زهيرات من الذهب مطعمة بحبات على شكل قلوب من العقيق وأوراق من اللازورد وحبات من نفس المادة .

وقد قال عنه « بترى » في كتابه « الفنون والحرف » ص ٨٨ و ٨٩ « انه « أروع تاج تقع عليه العين » أما التاج رقم ٣٩٢٦ ففيه تكلف على عكس رقم ٣٩٢٥ الذى يتميز بأن مظهره طبيعى .

وهو مكون من زخارف على شكل القيثارة المزدوج مفصولة عن بعضها بحليات على شكل الورد القائم على القيثارة .

والتاج جميعه من الذهب المطعم باللازورد والعقيق واليشب الأحمر والغلسبار الأخضر . والصناعة فى كلتا الحالتين جميلة جمال التصميم .

ففى حالة التصميم الزهرى نجد أنها قد بلغت حدا كبيرا من الروعة ، فالزهيرات ليست مطبوعة ، بل ان كل تجويف ذهبى صيغ باليد لتطعيمه بالأحجار ، ولم يصقل الحجر وهو فى فجوته ، بل كان يتم صقله قبل تثبيته (بترى : الفنون والحرف - ص ٨٩) .

هذه هى أهم قطع الحلى ، غير أنه توجد قطع أخرى أقل منها أهمية ، وان كانت تقرب منها فى الجمال ، وجميعها فى نفس المستوى العالى من الصياغة .

وأرقام ٣٩٩٥ - ٣٩٩٩ بالخزانة ٨ تكون جزءا من كنز اللشت الذى عثر عليه « بترى » فى مقبرة الأميرة « سات حاتحور ، أيونت » بجوار هرم « سنوسرت الثانى » باللاهون .

فرقم ٣٩٩٨ صدرية من الذهب والعقيق واللازورد والقيشانى الأرق (الذى أبيض لونه الآن) تحمل اسم « أمنمحات الثالث » الذى يرجع أنه تزوج هذه الأميرة .

ويحمل الخرطوش رجلا جالسا القرفصاء ، يمسك فروع النخيل
المجزوزة التي ترمز الى ملايين السنين ، ويسنده صقران ، بينما تلتف
حيثان على جانبي الخرطوش .

وصناعتها قد تكون أجمل من صناعة صديريات دهشور ، ولكن
صدريه « أمنمحات » المعروضة هنا أقل درجة في التصميم والضيافة من
صدريه « سنوسرت الثاني » ، والد الأميرة التي وجدت في نفس الوقت ،
والمعرضة الآن بمتحف المتروبوليتان بنيويورك .

ورقم ٣٩٩٧ بالخزانة هو مرآة يدوية من الذهب والفضة
والأوبسيديان ، وهي تعد أكمل مثال من هذا النوع .

ومن بين النماذج الرائعة التي تشهد بالدق والمهارة للصائغ
المصري رقم ٣٩٩٩ بالخزانة ٨ وهو تاج الأميرة .

وهذا التاج هو شريط ضيق من الذهب غير مزخرف تحليه على مسافات
متقطعة وريادات من الذهب المطعم ، ويتقدمه الصل الملكي المصنوع من
الذهب المطعم بالعقيق واللازورد .

وترتفع من فجوة خلف التاج ريشتان طويلتان رفيعتان من صفائح
الذهب ، وهما تهتان مع حركات لابس ، بينما تتدلى من خلفه وجانيه
ثلاثة أزواج من الشرائط الذهبية .

والتاج على وجه العموم في بساطته ورقته يضاهي تيجان دهشور
الدقيقة الصنع . والقطع الثلاث في مجموعها تثبت لنا أن المصري في عصر
الأسرة الثانية عشرة كان - على أقل تقدير من ناحية الذوق - متحضرا
كأي شعب من الشعوب التي تلت ، ان لم يكن أكثر حضارة من معظمها .

ورقم ٦١١٦ بالحجرة ٣ من الطبقة العليا خزانة ٨ يشير الاهتمام الكبير،
فهو صل من الذهب الصلد مطعم بالعقيق واللازورد والفيروز ، وقد عثر
عليه « بترى » في غرفة متصلة بحجرة الدفن بهرم سنوسرت الثاني
باللاهون ، ويرجح أنه كان يزين التاج المزدوج لهذا الملك .

ويجدر بنا أن نتذكر حلى الأسرة الثانية عشرة المطعمة - التى سبق وصفها - عند فحص كنز « توت عنخ آمون » ، ففى الأولى كان التطعيم من أحجار نصف كريمة ، بينما كان فى الثانية - مع قليل من الاستثناءات - من الزجاج ، وهو مادة أكثر مرونة .

والخزانة رقم ١٠ بالحجرة ٣ من الطبقة العليا تضم الحلى التى كانت السبب فى انشاء المتحف (أرقام ٤٠٣٠ - ٤٠٥٧) ، فقد كان يعوز « مارييت » فى وقت ما - رغم نجاحه فى العثور على آثار وتماثيل ، الكنز الذى يجذب « سعيد باشا » ، وهو كنز من الذهب والأحجار الكريمة .

ففى الخامس من فبراير سنة ١٨٥٩ عثر بعض عماله الذين كانوا يحفرون فى « ذراع أبو النجا » بجبانة طيبة على تابوت فى الرمال للملكة « اياح حتب » أم الملك «أحمس» الأول محرر مصر من نير الهكسوس .

ولما سمع مدير قنا بالكشف ، وضع يده على التابوت وأخرج المومياة وحمل معه الحلى فى مركب، ليهدىها الى « سعيد » .

غير أن « مارييت » لم يسمح له بأن يضع يده على ثمرة كشوف عماله، فتعقب بسفينته المصلحية «سمنود»المدير السابق ووضع يده على مركبه ، ليسترد ما اختلسه ، « ولما لم يفلح الاقتاع لجأ الى العمل فهدد بالقضاء أحد الرجال فى اليم وكسر رأس آخر وارسال ثالث الى المفصلة وشنق رابع .

وبعد أن أتبع كلامه باللطمات تسليم الصندوق الذى يحوى الكنز بعد أن أعطى إيصالا بذلك « (دليل ماسبرو ، ص ١٥) ولم يضع « مارييت » وقته ، فسرعان ما أبلغ سيده « سعيد » بكل ما حدث ، ولحسن الحظ نظر « سعيد » الى الموضوع نظرة دعابة ولم يصمم على الاحتفاظ بالكنز لنفسه ، « ولما اقتنع أخيرا بغناء مجموعته امر بأن يبنى مكان ملائم لها فى بولاق » (دليل ماسبرو ، ص ١٥) .

وكنز الملكة «اياح حتب» - الذى اغتصب مرتين ، والذى كان السبب

في انشاء متحف كبير يشغل الآن مكانا هادئا ممتازا بالخزانة ١٠ - كما ذكرنا من قبل - ويلاحظ بصفة خاصة ان رقمي ٤٠٣٠ و ٤٠٤٩ هما قاربان من الفضة والذهب على التوالي، بضمان بحارتهما .

ورقم ٤٠٣١ سلسلة ذهبية تتدلى منها ثلاث ذبابات مصنوعة من الذهب . ورقما ٤٠٣٢ (١) و ٤٠٣٣ بلطتا حرب ، والثانية منها تحمل خرطوش كاموسي ، الفرعون الذي سبق « أحمس » الأول ، والذي لم يتحمل أن يجلس « محصورا بين آسيوى وزنجى » .

ورقم ٤٠٣٧ عقد بديع من الذهب له مشبكان على رأس صقر ، وكان العقد في الأصل أطول منه الآن بمقدار الثلث على الأقل ، اذ أن جزءا منه اختفى عندما جردت المومياء من لفائفها في منزل مدير قبا .

وأرقام ٤٠٥٥ - ٤٠٥٧ خناجر أولها من الذهب قد زخرف نصله وغمده بمناظر على النمط الايجي .

وأرقام ٤٢١٠ - ٤٢١٨ تؤلف كنز الزقازيق أو « تل بسطة » الذي عثر عليه عام ١٩٠٦ عند اقامة جسر السكة الحديد الذي يمر بموقع « بوبستس » القديمة ، وقد كان كذلك مثار مشكلات في وقته ، اذ أن مصلحة الآثار تمسكت بحقها فيه ازاء الادعاء الوقح الملح من تاجر آثار محلي

ويرجع تاريخ معظم هذا الكنز الى الأسرة التاسعة عشرة . وعلى الرغم من أنه لا يشك في غنائه وجودة صناعته ، فان أهميته الكبرى ترجع الى ما يقدمه من أمثلة تدل على الانحطاط التدريجي في التصميم والنوع الذي يتسم به العصر المتأخر .

فرقما ٤٢١٢ و ٤٢١٣ وهما سواران لرمسين الثانى يتميزان بالغلظة وعدم الاتقان ، وحتى الابريق الفضي المشهور (٤٢١٦) ذى المقبض الذهبى

(١) ٤٠٣٢ بلطة حرب الملك « أحمس » ، رأسها مكسو بالذهب ومزخرف بتطعيم من الأحجار الملونة .

المشكل على هيئة ماعز منتصبه على قائمتيها الخلفيتين ومطله في شراة على حافته ، مصمم تصميما رديئا ، على الرغم من غرابته ومع ذلك فان صناعته لاتزال ممتازة .



(شكل رقم ٤٤)

اناء من الفضة مطعم بزخرفة جميلة له مقبض من الذهب على هيئة ماعز - عثر عليه في منطقة تل بسطة عام ١٩٠٦ ضمن حفائر المعهد العالي لحضارات الشرق القديم (المتحف المصرى)

وأرقام ٤١٩٠ - ٤١٩٩ بالخزانين ١٣ و ١٤ هى حلى الملكة « تى » والملكة « تا أوسرت » التى كشف عنهما السيد « ت.م. ديفز » فى سنتى ١٩٠٧ و ١٩٠٨ وبمقارنتهما بالحلى الملكية التى سبق وصفها لا نجد فيها شيئا هاما أو طريفا على الرغم من أن رقم ٤١٩٠ بالخزانة ١٣ - وهو صدرية على شكل عقاب ينشر جناحيه - على جانب من الأهمية ، اذ يرجح أنه لا يخص الملكة « تى » بل يخص ابنها « أخناتون » .

وكنز طوخ القراموص من أرقام ٤١٧٠ - ٤١٧٧ بالخزانة ٢٤ ، هو الآخر كنز من الكنوز التى يرجع الكشف عنها الى ظروف عجيبة ، فقد عثر عليه بسبب حادث بسيط ، ذلك أن حمارا كان يركض فنزل حافره فى اناء كبير من الفخار كان مقبورا على مقربة من سطح الأرض .

وكانت نتيجة ذلك العثور على تلك الثروة من الحلى الذهبية التي بهرت راكب الحمار . وصياغة هذه الحلى بدیعة ، غير أنها ليست في المستوى الأول من الأهمية ، وهى من تاريخ متأخر .

والزائر لن يفوته أن يلاحظ أنه ليس بين تلك المجموعة الرائعة التي لا مثيل لها في العالم ما تمكن تسميته بدقة حليا تسميته بدقة حليا في الاصطلاح الحديث ، فالأحجار الكريمة التي نستعملها في صياغة الحلى لم يستخدمها قط الفنان المصرى القديم .

والسبب في ذلك لا يرجع فقط لجهله بمثل هذه الأحجار ، على الرغم من أنه لم يكن لديه شيء من هذا النوع الذى يستخدمه الصائغ الحديث ، فالماس والياقوت الأحمر والأزرق لم يكن يعرفها قطعا ، ومعرفته بالؤلؤ لم تبدأ الا في عصر البطلمة ، غير أنه كان يعرف الزمرد (على الأقل النوع الأقل منه جودة وهو الزبرجد) .

والأما تيسست وغيرهما من الأحجار (لو كاس : المواد المصرية القديمة ، ص ١٦٠) ولكنه لم يكن يستعمل الزمرد الا نادرا ، بل انه لم يكن يستعمله قط في صياغة الحلى ، وكان يستعمل الأما تيسست على شكل خرزات لعقد أو لغرض آخر مشابه . .

ويبدو أن المصرى لم يكن يهتم ببريق ولعان ما نسميه بالحواهر الكريمة ، اذ كان يهدف الى اللون . وقد وجد هدفه هذا في الأحجار التي نسميها الآن أحجارا نصف كريمة ، بل في أحجار أخرى أقل درجة ، فاللازورد والفيروز والعقيق واليشب الأحمر والفلسبار الأخضر وغيرها من الأحجار المماثلة كانت تمد به بما يسعى اليه من ألوان ممتزجة أو متباينة ، كان يميل اليها في تطعيم تيجانه وصدرياته الذهبية .

فقد كان يتجه بلوقه الى اللون أكثر منه الى البريق ، واذا نظرنا الى النتائج التى حصل عليها تبين لنا انه كان في الغالب على حق .
(م ١٣ الآثار ج ١)

فالطلى الحديثة قد تكون أغلى ثمناً ، ولكنها تبدو عادية وسوقية ، بجانب ذلك التلوين البديع الفنى الذى تتميز به كنوز دهشور وآلاهون^(١) .

وإذا تركنا حجرة الطلى نجد على جانبى الباب تمثالين يقسربان من الحجم الطبيعى لتوت عنخ آمون الذى وجد فى الكرنك ، والتمثال الذى الى اليسار (رقم ٥٧) من حجر الجرانيت الرمادى المنقط ، وقده اغتصبه لنفسه الملك « حور محب » .

والرأس اللدقيق الملامح الى درجة تقرب من الأنوثة مثال واضح للشبه بينه وبين صاحبه .

وللمقارنة وضع قالب منه الى جانب قناع تابوت « توت عنخ آمون » بالحجرة رقم ٤ فى الطبقة العليا ، والتمثال الذى الى اليمين (رقم ٦١٦٩)^(٢) من الحجر الجيرى ، وصناعته أقل جودة ، ولكنه يرينا كيف أن قدماء المصريين حاولوا جدياً أن يخرجوا صورة حقيقية للملك ولو أدى ذلك الى مظهر الجمود الذى يظهر على التمثال عند أول نظرة .

وإذا اجتزنا الرراق الرئيسى نجد أنفسنا أمام أغنى وأجمل مثال تقريباً للأثاث الجنائزى المصرى قبل كشف مقبرة « توت عنخ آمون » مع أنه ليس لفرعون أو لأمير ملكى ، ولكن لحاكم من حكام الأقاليم كان يشرف على اصطبل الملك « أمنوفيس » الثالث ، والأمير « يوبا » وزوجته « تويو » كانا والدى زوجة « أمنوفيس » المحبوبة « تى » .

وربما كانت هذه القرابة هى السبب فى حصولهما على تلك المقبرة

(١) لم تضاف الى هذه الحجرة أية قطعة منذ عام ١٩٣٠ ، اللهم الا بعض الأوانى المصنوعة من الحجر السليمانى التى وجدت فى طريق فقط - القصير منذ حوالى ثلاثين سنة فى أثناء محاولة وصل المنطقتين بالسكة الحديد .

(٢) هذا التمثال ، والتمثال رقم ٥٧ معروضان بالقاعة رقم ٨ .

العادية بوادى الملوك (رقم ٤٦) ، التى كشف عنها السيد « ب. م. ديفز » فى فبراير من عام ١٩٠٥ . وأمثلة الصناعة المصرية المعروضة هنا جديرة بالاهتمام الكبير (حجرة ١٣ بالطبقة العليا - خزائن متعددة - أرقام ١٦١٣ - ٣٧٠٥) .

فرقم ٣٦١٣ سرير من الخشب ذو شبكة من الخيوط وحشوات من الجص المذهب ، ورقما ٣٦١٤ و ٣٦١٥ يمثلان الاله « أوزوريس » كرمز حى للبعث ، اذ كان الشعير ينثر على صورة مرسومة « لأوزوريس » فينبت الزرع ، وعلى هذا القياس يعود المتوفى الى الحياة مرة أخرى . ورقم ٣٦٦٠ بالخزانة ت مجموعة من التماثيل الصغيرة « ليويا » و « لتويو » مصنوعة من الخشب والمرمر والبرونز ومغطاة برقائق الذهب والفضة .

والأرقام ٣٦٦٦ - ٣٦٦٩ توابيت مختلفة « ليويا » ، فرقم ٣٦٦٦ هو التابوت الثانى المشكل على هيئة مومياء « ليويا » . وهو مصنوع من الخشب والجص المذهب ومطعم بالأحجار نصف الكريمة والزجاج .

ورقم ٣٦٦٧ هو التابوت الخارجى المشكل أيضا على هيئة مومياء ، وهو مصنوع من الخشب ومغطى بطلاء أسود لامع ومزخرف برقائق الذهب ورقم ٣٦٦٨ هو التابوت الخارجى الكبير وكان يضم التوابيت المشكلة على هيئة المومياء ، وهو محمول على زحافة لكى ينقل فوقها الى المقبرة (١) . ورقم ٣٦٦٩ هو التابوت الداخلى « لتويو » المشكل على هيئة المومياء ، وهو من الخشب المغطى بجص الذهب ومزخرف بمواد زجاجية متعددة الألوان .

ورقم ٣٦٧١ هو التابوت الداخلى « لتويو » ، وهو على شكل المومياء ومصنوع من الخشب المغطى بجص مذهب .

(١) هذا التابوت مستطيل الشكل ، وكان يحتوى على توابيت « يويا » المتداخلة بعضها فى بعض ، وكانت مومياء يويا - كما كانت مومياء توت عنخ آون - موضوعة فى ثلاثة توابيت على شكل المومياء ، داخل ذلك التابوت المستطيل ، ولم يكن لتويو سوى تابوتين على شكل مومياء .

والأرقام ٣٧٧٢ - ٣٦٧٤ جديرة بالاهتمام ، اذ أنها تظهر تقدم صناعة النجارة المصرية في عهد الملك « أمنوفيس الثالث » فرقم ٣٦٧٢ أحد كرسيين لهما مساند وعليهما اسم الأميرة « سات آمون » ابنة « أمنوفيس الثالث » و « تى » .

ويظهر أنها أهدته الى جدها وجدتها كجزء من الأثاث الجنائزى. وهذا الكرسي دقيق الصنع ، مصنوع من الخشب العادى ، مغطى بقشرة من خشب الجوز ، ومزخرف بالجص المذهب .

وقد شكلت رعوس أناث بأعلى القائمتين الأماميتين حيث تتصل الأذرع بمستوى الكرسي . والرسوم المصورة على ظهر الكرسي تمثل الأميرة « سات آمون » تتلقى من إحدى خادمتها ذهب البلاد الجنوبية ، كما توجد أشكال غريبة للاله « بس » على الجانبين .

ورقم ٣٦٧٣ هو كرسي من الخشب المذهب ، على ظهره رسوم بارزة تمثل الملكة « تى » جالسة فى زورق من البردى وتحت كرسىها قطة أليفة ، وعند مقدمة ومؤخرة الزورق صورت فتاتان تحملان المراوح : احدهما « سات آمون » نفسها فى مواجهة الملكة .

وهذا الكرسي يبرهن لنا على أن الملكة « تى » على الرغم من فخامة حاشيتها ، كانت لها اتجاهات اقتصادية ، فعندما بليت خيوط قاعدة كرسي الأميرة الصغيرة « سات آمون » لم تفكر الملكة « تى » فى تكييفه ، بل استدعت نجار القصر الذى وضع قاعدة خشبية مكان القاعدة المصنوعة من الخيوط ، ودهنها بلون أصفر يتمشي مع الخشب المذهب .

ورقم ٣٦٧٤ كرسي آخر صغير على ظهره زخارف مفرغة تمثل الاله « بس » والالهة « تاورت » ، أما الجانبان فمزينان بعمل يجشو أمام علامتين للحياة وربطة (بكلة) « ايزيس » ، وكان للكرسي عند الكشف عنه وسادة باللونين الأبيض والوردى (رقم ٣٦٧٥) محشوة بزغب الحمام « وهى محفوظة تماما بحيث يستطيع الانسان الجلوس عليها او يقذف بها من هذا الكرسي الى كرسي آخر دون أن يلحق بها أى ضرر »

وهذا قول السيد « ويجول » الذى فتح المقبرة نيابة عن السيد « ديفز »
(كنوز مصر القديمة . ص ١٧٥) .

ورقم ٣٦٧٠ هو مركبة صغيرة ، يرجح أنها كانت أيضا للأميرة
« سات آمون » ، وهى مصنوعة من خشب رقيق مذهب ، ولكنه قوى ،
ولها حشوات من الجلد .

وطريقة صنعها تدل على أنه لم يكن يقصد بها الاستعمال الجدى ،
بل كانت لأغراض جنائزية .

وقد ظلت أجمل مثال للمركبة المصرية حتى كشفت مركبات
« توت عنخ آمون » الرائعة ، مع استثناء المركبة الموجودة بمتحف
« فلورنسا » ، التى توجد نسخة طبق الأصل منها « بالمتحف المصرى » .

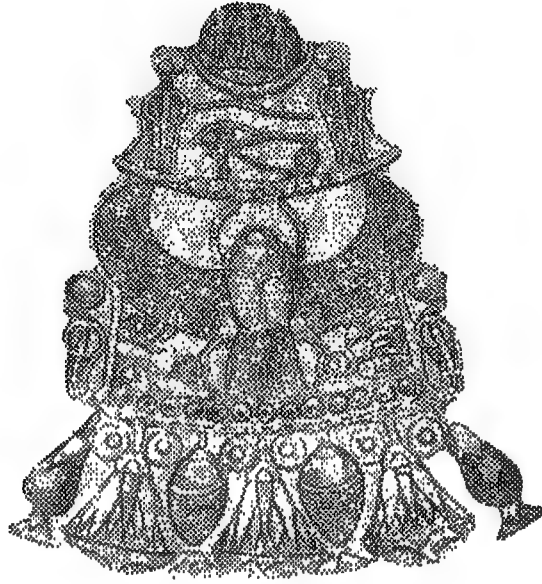
ورقما ٣٦٧٧ و ٣٦٧٨ مثلان رائعان للفن المصرى فى صناعة الصناديق،
أيام الأسرة الثامنة عشرة ، وهما صندوق لأدوات الزينة للملك
« أمنوفيس الثالث » ، وصندوق للمجوهرات « لأمنوفيس والملكة » .

وكلاهما مصنوع من الخشب المطعم بالقاشانى الأزرق المحلى بالذهب،
وربما كانت هدية من « أمنوفيس العظيم » لوالدى زوجته (ومن المحتمل
أنهما هدية جنازية) ، وهما بحق جديران بما كان له من أبهة .

وتجدر ملاحظة الرقمين (٣٦٧٩ و ٣٦٨٠) وهما نموذجان لفن
النجارة فى صناعة الأسرة ، وبخاصة رقم ٣٦٧٩ ، الذى يقدم لنا نموذجا
رائعا . والأرقام ٣٦٩٠ - ٣٦٩٣ ، وكذلك الأرقام (٣٦٩٠ « أ »
- ٣٦٩٣ « أ ») هى أوان كانوبية « ليويا » و « تويو » على التوالي،
صنعت من المرمر ، فى حين أن الرؤوس التى تغطيها من الورق المقوى
المذهب .

ورقم ٣٧٠٤ هو التابوت الخارجى « لتويو » ، وهو على شكل
الرمياء ، ومصنوع من الخشب المغطى بجص مذهب ، ورقم ٣٧٠٥ هو

تابوتها الخارجى الكبير ، وهو من الخشب المدهون بطلاء أسود لامع
محمول على زحافة .



(شكل رقم ٤٥)

حلية ذهبية للصدر تمثل جعران له جناحان حاملا
العين الرمزية بين شعبانين منتصبين من الذهب المطعم
بالأحجار الكريمة والزجاج المألون (ضمن مجموعة
توت عنخ آمون) (المتحف المصرى)

وإذا رجعنا الى الرواق الرئيسى نجد أنفسنا أمام الكنز المشهور
« للملك توت عنخ آمون » الذى بهر الأنظار منذ كشفه عام ١٩٢٢ ، أكثر
مما بهرها أى كشف آخر فى عالم الآثار .

وهذا لا يعنى أن محتويات مقبرة « توت عنخ آمون » لها أهمية
تاريخية كبرى ، فمثلا مكتشفات السيد « ولى » لمقابر «أور» القديمة (١)،
تفوقها من هذه الوجهة .

(١) إحدى مدن السومريين الذين أقاموا أقدم حضارات العراق .

وقد أضافت لوحات تل العمارنة ، ذات المظهر العادى ، الى معلوماتنا عن العالم القديم المعاصر للعصر الذى عاش فيه « توت عنخ آمون » تقريبا ، ما لا تدانيه فى الأهمية المخلفات الرائعة للفرعون الشاب .

ومع ذلك فان مخلفات «توت عنخ آمون» لها أهمية من الدرجة الأولى، إذ أنها تمدنا بمادة لا تضارع من الطراز الأول نستطيع بها أن نصحح ونصلح آراءنا عن حضارة مصر فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وبخاصة فيما يختص بالفن والصناعة .

ومن العدل أن نقرر أنها لم تأت بجديد إلا فيما ندر ، ولكنها قدمت لنا درساً عن اتقان الصناعة المصرية ووفرته العارمة ، وهى تبرز بوضوح تام ، وبطريقة رائعة ، عصرها يعتبر فى حد ذاته من أمتع العصور فى التاريخ القديم للشرق الأدنى ، كما أنها هى نفسها باستثناء نموذج أو اثنين سنذكرهما فى وقتها ، تنفرد بجاذبية فريدة .

وسنلخص القليل مما يعرف عن الحياة القصيرة التى عاشها « توت عنخ آمون » : فهو ينتسب الى العائلة المالكة ، كما هو واضح ، ليس فقط ، فيما جاء من اشارات على تمثال أسد جبل « برقل » الموجود بالمتحف البريطانى ، بل من مميزاته الجسمية التى تظهر فى صوره العديدة .

ومع أن قرابته الحقيقية لأخناتون ونفرتيتى، والذى زوجته لم تذكر فى أى مكان ، فان الدارس لصور ذلك العصر لا يخالجه أدنى شك فى انه قد كانت هناك صلة دم قريبة بينه وبين « أخناتون » .

وعند وفاة « أخناتون » ، خلفه على العرش مدة قصيرة «سمنخ كارع» الذى كان قد تزوج كبرى بناته ، ثم توفى أو أقصي عن العرش (١) ، ثم خلفه « توت عنخ آمون » كما كان يسمى وقتذاك .

(١) المعروف أنه اشترك فى الحكم مع أخناتون وربما يكون قد مات قبله . ومن الجائز أنه لقي حتفه فى أثناء زيارته لطيبة ، عندما أراد أن يمهد للرجوع الى الديانة القديمة .

وكان متزوجا من ابنة « أخناتون » المسماة « عنخس يا آتون » ، وكان كلاهما صغيرا . ولم يكن الفرعون الصغير أكثر من لعبة في أيدي كهنة آمون المنتصرين .

وقد اضطر الى تغيير اسمه من « توت عنخ آتون » (حياة آتون أو الشمس جميلة) الى « توت عنخ آمون » (حياة آمون جميلة) ، ولن يستطيع الانسان أن يتصور أن التغيير الذى حدث فعلا قد وقع اختياريا .

وقد عاد مع الحاشية من تل العمارنة الى طيبة ، اذا لم يكن البدء فى هذا التغيير قد تم فى عهد « سمنخ كارع » .

وبعد حكم لم يطل أكثر من ست سنوات توفى بسبب غير معروف ، ودفن فى مقبرة متواضعة نسبيا فى وادى مقابر الملوك بطيبة مع ثروة من الأثاث لم يعرف لها مثيل ، حتى انه يظن أن هذه المقبرة كانت تستعمل كمكان أمين لحفظ أشياء ثمينة غير جنازية كانت تراد المحافظة عليها ، ويجدر أن نذكر أنه بموت « توت عنخ آمون » ينتهى الفرع الحقيقى للأسرة الثامنة عشرة .

ويظهر أن تصرفاته فى مدة حكمه القصير لم ترض كهنة آمون بدليل أن اسمه كاسم « أخناتون » قد أغفل فى قوائم الملوك ، وقد محا خطفه « حورمحب » اسمه فى كل مناسبة ممكنة ، مما يدل على أن هذا الملك الصغير قد اشتبك فى صراع ما مع الكهنة الحاقدين .

وباستثناء المقاصير الأربع التى كانت تضم التوابيت والتى ستشغل الرواقين السابع والثامن بالطابق العلوى ، والتى تعذر اقامتها قبل شتاء ١٩٣١ ، فإن كل محتويات المقبرة معروضة بالمتحف المصرى .

وتضم مخازن المتحف فقط مجموعة كبيرة من المنسوجات معظمها فى حالة سيئة من الحفظ ، وبعض قطع على جانبا قليل من الأهمية (لها نظائر فى الخزانات) ، ويستطيع المسؤولون فى أى وقت البدء باعادة تنظيم المعروضات حسب نوعها .



(شكل رقم ٤٦)

تمثال لتوت عنخ آمون من حجر الجرانيت

(المتحف المصرى)

والأرقام الحالية مرتبة حسب تسلم المتحف لها (أى أنها أرقام مؤقتة) . وأرقام الخزانات التى توجد بها الآثار فى الصفحات التالية موضوعة بين قوسين بعده أرقام العرض .

والمجموع الكلى للقطع المعروضة ١١٨٣ ، وجميعها عدا القطع التى عرضت حديثا عام ١٩٣١ موصوفة فى « الموجز فى وصف الآثار الهامة » الذى يباع بالمتحف .

والوصف الكامل لهذه الآثار كلها يخرج بنا عن مجال هذا الكتاب ، كما أنه ليس ضروريا ، إذ أن جزءا كبيرا من آثار المقبرة لا يحتاج الى شرح ، وأقصى ما يمكن عمله في الصفحات التالية هو لفت نظر الزائر الى الأشياء ذات الأهمية البارزة .

وفي حالات معينة تضاف بعض المعلومات للأوصاف الملخصة في الدليل . وقد روعي في الترتيب المتبع هنا سهولة مشاهدة هذه الآثار (١) .

فالمجموعة الأولى رقما ٩٨٤ و ٩٨٥ جديرة بالاهتمام ، وقد وردت حديثا من الأقصر ، وهى تضم صندوقا كانويا من المرمر محمولا على زحافة من الخشب وله غطاء على شكل سقف المقصورة التقليدية المصرية

وهذا الصندوق مقسم من الداخل الى أربعة أقسام كل منها مغطى برأس من رءوس الملك المعروضة الآن في الخزانة رقم ٧٥ الواقعة أمامه .

والصندوق يضم أحشاء الملك التى كانت موضوعة داخل أربعة توابيت صغيرة من الذهب المطعم بالزجاج المتنوع الألوان ، وهى بذلك تقليد للتوابت الداخلى الثانى المعروض الآن في الحجرة ٤ بالطبقة العليا .

وقد أخرجت هذه التوابيت الصغيرة ، وفي الأماكن رؤيتها في الخزانة ٣٢ بالحجرة ٤ بالطبقة العليا . وكان إخراجها صعبا ، لأنها كانت ملتصقة بمادة الراتنج (صمغ الصنوبر) الذى صب عليها قبل أن توضع الأغشية في موضعها .

ونلاحظ حول الصندوق المعبودات الأربع الحارسة ، وهى ظاهرة نراها أيضا في تابوت « توت عنخ آمون » بمقبرته في (وادى الملوك) وفي تابوت الملك « آي » في الحجرة ٤٣ بالطبقة السفلى .

(١) قد تم بالطبع ترتيب هذه الآثار منذ زمن طويل ، وجميع الآثار التى وجدت في المقبرة معروضة بالمتحف ، فيما عدا البعض القليل غير التى وجدت في المقبرة معروضة بالمتحف ، فيما عدا البعض القليل غير الهام الموجود الآن بالمقبرة مع مومياء الملك الموضوعة في أحد التوابيت

وخلف هذا الصندوق الكانوبى صندوق آخر من الخشب المذهب كان يضم الصندوق المرمى ، وهو أيضا على هيئة المقصورة ، وله سقف آخر محمول على أربع قوائم ، وكلا السقفين مزخرف بصوف من الحيات .

وهذا الصندوق محاط بالمعبودات الأربع الحارسة « ايزيس » (٤٥٥) و « نفتيس » (٤٥٦) و « نيت » (٤٥٧) و « سلكت » (٤٥٨) ، وهى فريدة فى طراز الفن المصرى على ما هو معروف حتى الآن ، فهى مصنوعة من الخشب المغطى برقائق الذهب .

وتمتاز بدقة لا مثيل لها وابداع بالغ فى تصميمها ورشاققتها يكشف لنا عن مدى أثر فن العمارة فى تحرير النحت المصرى من التقاليد التى خنقته أخيرا لولا التأثير الضار الذى جاء على أيدي كهنة « آمون » المنتصرين .

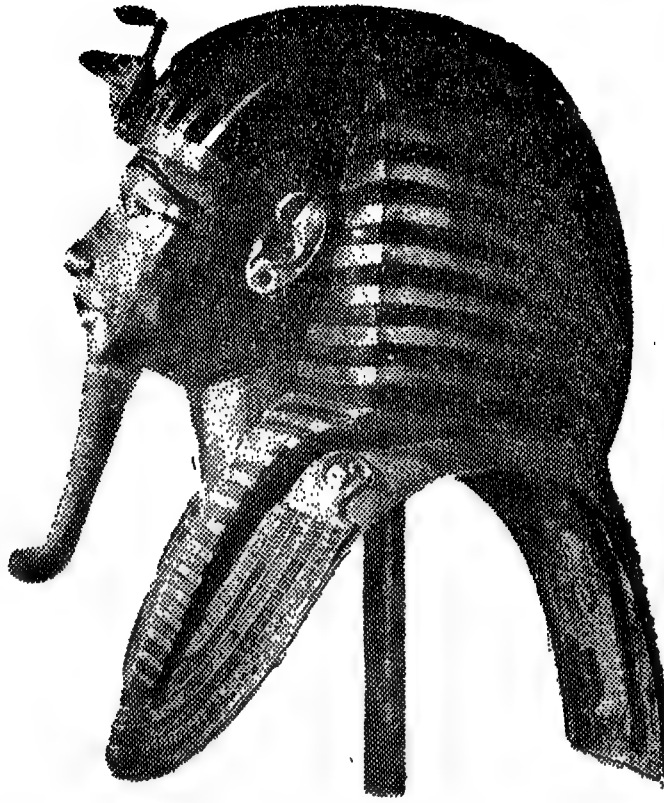
ولا يجدر بنا أن نمتدح كثيرا تلك القطع الفنية الصغيرة ، وإن كان تأثير المجموعة بأكملها يمكن وصفه بأنه رائع .

والآن نجتاز شرقا الصالة الرئيسية ونتجه الى اليسار لندخل الحجرة ٤ بالطبقة العليا التى تضم اثمن مخلفات « توت عنخ آمون » .

فبعد فتح المقاصير الأربع التى تضم تابوت « عنخ آمون » الحجرى ، وبعد أن أزيح غطاء التابوت ، وجد أن مومياء الملك موضوعة داخل ثلاثة توابيت ، الاثنان الخارجيان منها من الخشب المغطى برقائق الذهب ، بينما الثالث الداخلى من الذهب الخالص .

ويوجد التابوت الخشبى الخارجى الذى يضم مومياء الملك داخل التابوت الكبير « بواى الملوك » ، أما التابوتان الخشبيان الثانى والذهبى فموجودان هنا .

ورقم ٢١٩ (الخزانة ٢٩) هو التابوت الداخلى المصنوع من الذهب الخالص ، وهو منقوش ومطعم بزخارف ملونة من الأحجار نصف الكريمة والزجاج ، وطوله ست أقدام وبوصة وثلاثة أرباع البوصة .



(شكل رقم ٤٧)

القناع الذهبى لتوت عنخ آمون من الذهب الخالص
كان يغطى رأس المومياء ، وهو نموذج بديع لوجه الملك
الشاب جمعت بين نفاسة المادة وكمال الفن بمقدارين
متكافئين (مجموعة توت عنخ آمون) المتحف المصرى

ويتراوح سمكه بين مليمترين ونصف وثلاثة ونصف مليمترات ،
ووزنه ١١٠ كيلو جرامات ، وثمنه كسبيكة خالصة حوالى ٩٩١٣٥٠٠
جنيه (١) . وقيمة السبيكة لهذا الأثر الفنى الذى لا يقدر بثمن هى دون شك
أقل بكثير من قيمته الأثرية .

(١) ثمنه عشرة أضعاف ذلك الآن لارتفاع ثمن الذهب غير قيمته
الأثرية والتاريخية التى لا تقدر بثمن .

وعلى الرغم من أن التابوت الذهبى قد يوحى بالتراث المحدث أ، غير أن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة ، كما يدل على ذلك منظر التابوت الحالى لأول وهلة ، فهو بحق تحفة لا مثيل لها فى الابداع والفخامة .

وصياغته الرائعة تفوق عظمة صورة « الفرعون الصغير » المنحوتة التى تطل من ملابسه الأزورية (١) ، وربما يكون أجمل ثناء يوجه الى الفنان الذى صاغ هذا العمل البديع ، هو أن الأثر الذى يحدثه فى النفس يجعل الانسان ينسى تماما موضوع مادته وقيمتة كسبيكة .

ورقم ٢٢٠ (بالخزانة ٣٢) يجمع بين نفاسة المادة وكمال الفن بمقدارين متكافئين ، وذلك هو القناع الذهبى الذى كان موضوعا داخل التابوت فوق رأس الملك وكتفيه .

وهو صورة له بديعة حقا ، واللامح تكشف عن مدى الشبه الواضح بينه وبين «أخناتون» وأمه «تى» ، حتى يمكن القول بأن «توت عنخ آمون» لم يكن قريبا لهما عن طريق الزواج فحسب ، بل انه كان ينتسب الى الدوحة الملكية « لأمونوفيس الثالث » .

ويلبس الملك الصغير قلنسوة ملكية مزركشة بشرائط من عجينة الزجاج الزرقاء ، بينما طعم الحاجبان والجفنان بالازورد ، وعلى الصدر عقد عريض مرصع بالزجاج والأحجار نصف الكريمة ، وعلى جبينه الصل والعقاب .

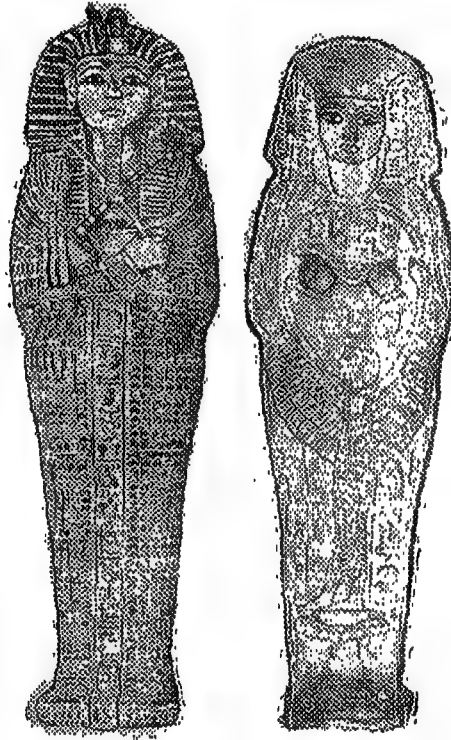
ورقم ٢٢٢ (بالخزانة ٣٦) ثانى التوابيت الثلاثة المشكلة على هيئة آدمية ، وكان بداخله التابوت الذهبى . وهذا التابوت كان داخل التابوت الخارجى الذى لا يزال فى مكانه بوادى الملوك .

وهو من الخشب المغطى برقائى الذهب ومطلى بزخارف مطعمة

(١) فهو مصور فى هيئة وزى الاله أوزوريس .

- ٢٠٦ -

بعجينة الزجاج ذات الألوان المختلفة . وطبقة الذهب على الرأس
والأيدين أكثر سمكا منها على بقية الجسم .
والملك ممثل على شكل « أوزوريس » ممسكا بالحنطة والسوط ،
وعلى جبهته الصل والعقاب ، بينما بسطت الالهتان الحارستان (عقاب
« نخبيت » وصل « بوتو ») أجنحتهما فوق جسمه .



(شكل رقم ٤٨)

ثالث التوابيت الذهبية المصنوعة على هيئة انسان
للملك توت عنخ آمون ، وهو التابوت الداخلى الذى
كانت فيه المومياء وهو مصنوع من طبقة سميكة
من الذهب ومنقوشة بالداخل والخارج بكتابات
وزخرفة وادعية للملك - وهى ممثلة على هيئة الاله
أوزوريس - وبجانب التابوت الغطاء الخاص به
(مجموعة توت عنخ آمون) (المتحف المصرى)

ويلاحظ بصفة خاصة أن رقم ٢٢٤ وهو صدرية من الذهب المطعم بالزجاج على هيئة طائر له رأس آدمى يرمز الى الروح « البيا » ، وجناحاه المزخرفان منشوران ، وهو يمسك بمخالبه رمزى الأبدية .

وهى قطعة رائعة يزيد من أهميتها أن نذكر أن الطائر يضع فوق رأسه تاجا يشبه تماما تاج « توت عنخ آمون » .

والخنجران رقما ٢٢٥ و ٢٢٦ بديعان فى صناعتهما ، ونصل الثانى منهما من حديد غير صدئ . وهو بذلك جدير بالملاحظة ، اذ أن الحديد كان نادرا فى ذلك الوقت (١) .

والمجموعة الرائعة من الصدريات أرقام ٢٢٧ - ٢٣٢ (خزانة ٣٣ مكرر) جديرة بالانتباه حيث انها تمثل نماذج للصناعة الفنية التى بز فيها الصائغ المصرى غيره من الصناع . ونذكر فى هذا المجال القلائد أرقام ٣١٢ - ٣١٦ (الخزانة ٣٠) وهى تعرف فى اللغة المصرية القديمة باسم (أوسنج) .

وتاج « توت عنخ آمون » رقم ٣١٧ (خزانة ٣٥) مكون من عصابة بسيطة من الذهب ، مزينة من الأمام بالصل والعقاب ، ومزخرفة بوريدات متقاربة من العقيق الشفاف ، فى وسطها أزرار ذهبية، وتحيط بها زخارف من الزجاج بلون اللازورد والفيروز .

ويربط طرفى العصابة من الخلف مشبك على شكل وريدة مرصعة بالملاخيت والجزع . والشرائط الذهبية الخلفية والقطع الصغيرة الجانبية التى تنتهى بصل ذات مفصلات ، حتى يمكن أن تناسب أى حجم للباس الرأس الذى يلبسه الملك .

(١) يقلب على الظن أن الخنجر المذكور صنع من قطعة من الحديد سقطت من أحد الأجرام السماوية ، أما الخنجر الأول فمصنوع من الذهب وممشلة عليه حيوانات نقشت على الطراز المحروف فى خرز بحر ايجه .

وذيل الصل الموضوع فوق الجبهة يمتد في ثنيات فوق التاج . ومع أنه أكثر دقة ، فانه في تصميمه وصياغته يذكرنا بتاج الأميرة «سات-حاتحور - أيونت » ، أحد تحف كنوز اللاهون (رقم ٣٩٩٩) ، وكلاهما نموذج رائع لمهارة الفنان المصرى في التصميم والصياغة .

وقد أضافت بساطتهما النسبية اليهما الكثير من الروعة . وفي نفس الخزانة تمثال صغير رائع من الذهب للملك « أمنوفيس الثالث » (رقم ٤٤٥) وصلته بالملك « توت عنخ آمون » لاتزال غير مؤكدة .

وقد وجد هذا التمثال مع صغيرة من شعر الملكة « تى » في مجموعة من التوابيت الصغيرة ، وسوف نذكر هذه الصغيرة في سياق الحديث .

ويرى أحد التوابيت الصغيرة التى ورد ذكرها قبلا والتي تضم أحشاء الملك (فى الخزانة رقم ٣٢) ، ومع هذا التابوت الشعارات الملكية والدينية التى كان الملك يلبسها فى الاحتفالات المختلفة عندما يمثل دور « أوزوريس » اله الموتى .

وبقية الحجرة تحوى مجموعة رائعة من الصديرات والخواتم والمتمائم والقلادات وحليا أخرى. وكثير من هذه الأشياء على جانب كبير من الجمال، وتستحق دراسة أطول على الرغم مما يلاحظ فيها من العناية الفائقة بإبراز الزخرفة .

وبعد أن نغادر حجرة مجوهرات « توت عنخ آمون » ونعود الى الرواق الرئيسى نرى مجموعة من الأسرة .

وقد كانت الأسرة الواطئة تستعمل دون شك فى القصر ، وهى تختلف من حيث الجودة ، فرقم ٩٥ من الطراز البسيط ، وهو مصنوع من الخشب الخالى من الزخرف (يلاحظ الحامل الذى يرفع الرأس) .

ورقم ٢٠ من الأبنوس بينما رقم ١٠٦٥ مغطى بقشرة من الذهب . أما رقم ٥٣٠ فتكسوه طبقة سميكة من الذهب ، والزخرفة الشائعة للألواح الخلفية هى للاله « بس » ، اله الزينة والنوم والولادة .

أما الأسرة الثلاثة الكبيرة (أرقام ٧٣٢ و ٢٢١ و ٥٢١) المحمولة على زوجين - مبالغ في طولهما - من السبع أو فرس النهر (١) أو البقرة « حاتحور » التي استرعت الأنظار عند أول كشفها ، فهي جنائزية ، ولكن لا نعرف بالضبط ماهية هذا الدور .

ولدينا نماذج تدل على أنه كانت للوك آخرين مجموعة من الأسرة من نفس الطراز في مقابرهم . ويمكن مشاهدة بقايا أسرة « حور محب » في الجانب الغربى من القسم الذى يضم محتويات مقبرة « يويا » و « تويو » .

وعلى مقربة من الدرج نجد نموذجا لسريو « أوزوريس » (رقم ١٠٦٤) وهو « جرن » على شكل الاله به قمح نابت ، وكان يوضع فى المقبرة ليرمز الى البعث .

وإذا اتجهنا الى اليمين ودخلنا الرواق الشرقى نشاهد رقمى ٩٦ (خزانة ٦) و ١٨١ (خزانة ٥) ، وهما تمثالان من الخشب المطلى بطلاء أسود لامع . وقد وجدا واقفين كحارسين على جانبى الباب المغلق الذى يؤدى الى حجرة الدفن بالمقبرة .

وهما متشابهان ، غير أن الملك فى (رقم ٩٦) يلبس القلنسوة التى تسمى « نمس » . وفى (رقم ١٨١) يضع فوق رأسه لباس رأس مستدير .

(١) الواقع أنه ليس تمثيلا تاما لفرس النهر ، بل هو لحيوان غريب نحيل الجسم ، له مخالب أسد ، ورأس يذكرنا بفرس النهر والتمساح معا . وربما كانت وظيفة هذا الحيوان الخرافى صد الأرواح الشريرة عن المتوفى .

(م ١٤ الآثار ج ١)

وأجزاء من كلا التمثالين مصنوعة من الذهب مثل أطراف الجفون والحواجب ، في حين انه اكتفى في أجزاء أخرى بالخشب المذهب ، أما الصل الملكي والنعال فمن البرونز المذهب .



(شكل رقم ٤٩)

اناء من المرمر تكتنفه حلقة جميلة تمثل رمز الحياة -
ومحمولا على عمودين من نبات البردى محاطا به
سعفه نخل (مجموعة توت عنخ آمون)
(المتحف المصري)

وأرقام ٩٧ - ١١٦ هياكل وعجلات وأجزاء أخرى من مركبتين وجدتا
قطعا منفصلة في المقبرة ورقم ٩٧ (خزانة ٨) هو هيكل مركبة من الخشب
المذهب المحلى برسوم بارزة وزجاج متعدد الألوان .

وتتوسط الرسم خراطيش الملك والملكة التي يحميها صقر مجنح. وفي
المسافة بين أعلى العربة والمحفة الخارجية رسوم مفرغة تمثل مجموعة
من الأسرى الزوج والآسيويين . ورقم ٩٨ (خزانة ٧) هيكل مركبة
أخرى من الخشب المذهب المحلى برسوم بارزة وخراطيش ملكية ، كما
هو الحال في المركبة السالفة الذكر .

وقد صور رمز اتحاد القطرين فوق منظر يمثل أسرى من الآسيويين
والزوج ، يطوهم الملك في شكل (أبو الهول) مرتين . والأرقام الباقية

تكمل أجزاء المركبتين . ويلاحظ بصفة خاصة الرقمان ١١١ و ١١٢ وهما
صقران من الخشب يتوج رأس كل منهما قرص الشمس ، ويظهر أنهما
كانا بمثابة حلية تثبت في أطراف عرائش المركبتين .



(شكل رقم ٥٠)

تمثال من الذهب للملك توت عنخ آمون متوج بتاج
الوجه البحرى الأحمر يقذف بالخطاف وهو واقف
في قارب مسطح من الخشب المدهون باللون الأسود
وأطرافه مذهبه (مجموعة توت عنخ آمون)
(المتحف المصرى)

ويمكن القول بوجه عام أن الأواني المرمية التى أثير حولها كثير من
الضجة عند عرضها لأول مرة أرقام ٦ - ٩ (خزانة ١٤) و ١٨٣

(خزانة ١٦) و ١٨٥ (خزانة ١٤) وخلافها غير جديرة بالشهرة التى الصقت بها ، مع بعض الاستثناءات الرائعة .

وهى صراحة غليظة الشكل وتصميمها خال من الجمال، ومكدسة بزخارف رديئة ، وهى بوجه عام مسرفة فى الزخارف^(١) وتذكرنا ببعض القطع البشعة من المرمر وغيره من المواد التى كان يفضلها أجدادنا ، ويرجع تاريخها الى منتصف العصر الفكتورى .

ورقم ١١ (خزانة ١٦) هو كاس الملك ، ويعتبر من القطع المستثناة، ويتميز ببساطته وجماله ، ويحيط بحافته نص هيروغليفى، يتضمن دعاء للملك بالرفاهية وطول العمر .

وللكأس مقبضان على شكل زهرة اللوتس تعلوها الاشارة الهيروغليفيه التى ترمز الى ملايين السنين ، وهو مما يتعارض تماما مع العمر الحقيقى الذى عاشه الملك .

ورقم ١٨٤ (خزانة ١٦) سراج من المرمر ، اذا اضيء شوهدت صورة الملك والملكة ، مما يدعو الى التساؤل والدهشة عند الأطفال ، ولكن من

(١) فى الواقع لايزال الاناءان رقما ١٨٣ و ١٨٥ يشيران اعجاب المشاهدين ، على الرغم مما ذكره المؤلف عنهما ، ورقم ١٨٣ اناء اسطوانى للعطور ، وقد زخرف سطحه بمناظر جميلة تمثل أسودا تهاجم ثيرانا وكلابا . والفظاء يعلوه أسد رابض ، فى حين أن قاعدة الاناء تركز على وعوس أربعة من الأسرى .

أما رقم ١٨٥ فهو اناء بديع الصنع من المرمر المغطى بالذهب والعاج ، نحت على شكل الاشارة الهيروغليفيه التى يرمز بها الى اتحاد الوجهين القبلى والبحرى . ويلتف حول عنق الاناء نباتا اللوتس والبردى ، التى يمسك بسيقانها المتدلّية تمثالان يرمزان لالهى النيل .

المؤكد انه لم يقصد أن يكون السراج نوعا رديئا من المصابيح السحرية(١) .

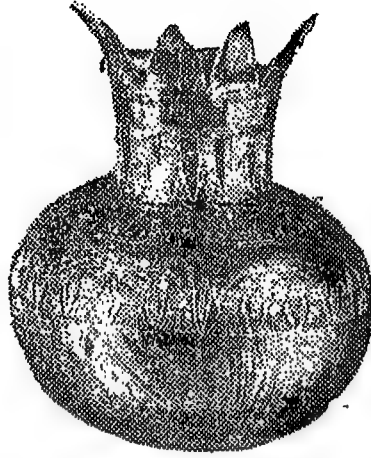
وأرقام ١١٩ - ١٣٣ (خزانة ٢٧) باستثناء رقم ١٢٥ (خزانة ١٥) أقواس وعصي وصولجانات خاصة بالملك ، وينبغى أيضا مشاهدة رقم ١٧٥ - ١٨٠ (خزانة ١٣) وأرقام ١٨٩ - ١٩١ (خزانة ١٥) وأرقام ١٩٥ - ١٩٧ (خزانة ١٧ و ١٥) وأرقام ٢١٣ - ٢١٦ (خزانة ١٧) وأرقام أخرى عديدة (٢) .

ورقما ١٨٧ و ١٨٨ (خزانة ١٥ و ١٧) مروحتان للحفلات كانتا تستعملان عند جلوس الملك على العرش ، ومقبضاهما مكسوان بصفائح الذهب . والأجزاء المسطحة للمروحة الأولى مكسوة بصفائح من الذهب محلاة برسوم بارزة ، غير أنها في المروحة الثانية مطعمة بالزجاج المتعدد الألوان .

ورقم ١ (خزانة ٢١) عرش الملك وقد صنع من الخشب المحفور المغطى بالذهب والمطعم بزخارف متعددة الألوان من الزجاج والقاشاني والأحجار والفضة .

(١) يتكون هذا السراج من اناءين داخل بعضهما البعض . وعلى السطح الخارجى للاناء الداخلى منهما رسم لا يظهر الا اذا أضيء من الداخل وحين ذلك تشاهد الملكة واقفة تقدم رمزي ملايين السنين الى الملك الجالس على عرشه ، ويقصد بذلك أنها تتمنى له حياة تمتد الى عدد لا يحصى من السنين .

(٢) العنصر الغالب في هذه الآثار هو العصى المصنوعة من مواد مختلفة والمتعددة الأشكال والطراز. أما رقم ١٢٥ فهو بوق حربى من البرونز المزخرف بالذهب . وتجب ملاحظته برقم ١٨٦ ، وهو بوق من الفضة المزخرفة بالذهب . وقد أذيعت أنغام هذين البوقين فى الاذاعة المصرية عام ١٩٣٩ .



(شكل رقم ٥١)

اناء جميل من الفضة المطعمة على شكل رمانة
تزين سطحها حليات نباتية بديعة وكتابات هيروغليفية
« من مجموعة توت عنخ آمون »
(المتحف المصرى)

واللوحة الرئيسية للظهر قطعة بديعة من الزخرفة المختلفة الألوان،
التي تمثل الملك جالسا في غير تكلف ، بينما الملكة ماثلة أمامه في وضع رائع
تمسك باحدى يديها اناء عطور صغير ، وتلمس بالأخرى كتفه في رفق .

وفي أعلى المنظر قرص الشمس (آتون) يلقي بأشعته على الزوجين.
للذين كانا أحوج الناس الى التمتع بأشعة الشمس مدة حكمهما القصيرة.
المريرة ، وصناعاته مستمدة من فن العمارة في أوضاعه الصحيحة .

أى دون التقيد بالتقاليد الجامدة التي يتصف بها الفن المصرى العادى،
ودون النزوع الى التصوير الهزلى والاسراف للذين أفسدا فن
العمارة أخيرا .

ومسند العرش على هيئة حية متوجة ناشرة جناحيها والقوائم تشبه
أرجل الهرة . ويوحى العرش بوجه عام بالفخامة والثراء ، ليس من ناحية

المادة فحسب ، بل من ناحية اللون أيضا ، ويلاحظ أن الأسماء الملكية قد تغيرت تماما في زخرفة العرش .

فالجانب الخارجى منه لا يزال يحتفظ بالاسمين القديمين « توت عنخ آمون » و « عنخس ان نا آتون » ، بينما نقش على الجانب الداخلى اسماهما الجديدان « توت عنخ آمون » و « عنخس ان آمون » : وهذا هو ثانى مثال قديم لعرش ملكى عرف حتى الآن .

والمثال الأول هو عرش « مينوس » بقصر (كنوسس) بكريت ، ومن المحتمل أن يكون فرق الزمن بينهما ليس كبيرا ، وأنه لا يزيد على نصف قرن أو ما يقرب من ذلك .

ومن المؤكد أن عرش « توت عنخ آمون » أكثر اراحة من عرش « مينوس » ، ولكن الانسان يشك فيما اذا كان أى منهما عرشا مستقرا ، وذلك عندما ننظر فى أحوال الملكتين .



(شكل رقم ٥٢)

رأس تمثال لتوت عنخ آمون وهو ممثل منبتقا
من زهرة البشنين (مجموعة توت عنخ آمون)
(المتحف المصرى)

— ٢١٦ —

ورقم ٣ (خزانة ٢٢) هو كرسي من الخشب الأحمر . ومع انه لا يماثل كرسي رقم ١ في الفخامة الا انه مثال جميل للصناعة المصرية . وهو مزين بقرص للشمس مصنوع من الذهب .

والمسامير والزوايا من نفس المادة ، بينما صنعت مخالب أقدام الأسد من العاج ، وعلى ظهر الكرسي منظر مفرغ لشخص يمسك بأغصان محزوزة تمثل ملايين السنين . والاسم الحورسي للملك مصحوب بصقر يلبس التاج المزدوج .

ورقم ٩٨٣ — وهو أحدث المعروضات — كان في الأصل مقعدا مطويا . ولسبب غير معروف تحول الى كرسي . والزخرفة دقيقة جدا ، ولكن لا تمثل أجمل الأذواق . وخرائيش الملك تدل على أنها صنعت قبل أن يترد الى العبادة القديمة لآمون (١) .

ورقم ١٤ (خزانة ١٨) محراب من الخشب مغلى برفائق الذهب ، وموضوع على زحافة مكسوة بالفضة . وللمحراب باب من مصراعين ومزالج .

وكل من الألواح والباب مزخرف بمناظر تمثل الحياة المنزلية للملك والملكة وتمثل رياضتهما في الأحراش ، وقد صنعت المناظر في رشاقة فائقة وعلى نمط فن العمارة .

والصندوق الفاخر الخشبي رقم ٣٢٤ (بالخزانة ٢٠) يستحق دراسة مطولة ، فقد لونت المناظر على الجوانب تلويها رائعا ، وهي تمثل الملك يحارب السوريين والزنوج .

وعلى الغطاء مناظر تمثل الرياضة ، فالأسود والوعول والنعام وغيرها

(١) يلاحظ أن معظم الكراسي لها مواطىء أقدام ، ممثل عليها أسرى موثقين ومطروحين أرضا ليطأهم الملك بقدميه .

— ٢١٧ —

تصوب إليها الأقواس وتصاد بكلاب الصيد ، وليس لهذا الصندوق مثيل في الفن المصرى .

ورقم ٤٤٤ (خزانة ٥٦) تثير الشجون في ذاتها ، فهي خصلة من شعر الملكة « تى » ، وهى التراث الوحيد الباقي من جسد تلك الشخصية التى ملأت فراغا كبيرا في زمنها .

ويتبين من ذلك الأثر الشخصي الصغير أن ذكرى « تى » كانت عاطرة بين أفراد أسرتها حتى أنهم اهتموا بالمحافظة على هذه الخصلة (رقم ٤٤٣ - خزانة ٦٥) . ولما كانت تراثا لملكة فقد حفظت في أربعة توابيت .

ورقم ٥٣٥ (خزانة ٥٩) مثال متقن جدا لذلك المسخ ، الذى انتهى إليه الفنان المصرى أحيانا بسبب سهولة تشكيل المرمر . وهذا المثال هو قارب من المرمر به قمرة على شكل مقصورة ، ويبدو كأنه عائلم على سطح بحيرة .

والقارب يرتكر على قاعدة من المرمر مطعمة بعجينة حمراء وزرقاء اللون . وطاقم المركب مؤلف من فتاة في وضع بديع وزميلها - كما قيل لنا من مصدر طبى موثوق به - قزم جسمت عيوب جسمه ووجهه بطريقة معبرة تدل على فن رائع .

وإذا كان الانسان يميل الى هذا اللون من الفن ويحسب أن تجسيم العيوب الى الحد الذى تكون فيه القدمان مثنيتين الى الوراء بحيث يعنى السير وقوع قدم فوق أخرى - عملا فنيا ، فعندئذ سيكون هذا النموذج هو ما يرغب فيه .

ومع أن الفنان المصرى يبيع لنفسه أحيانا أن ينساق الى الخطأ فإنه قادر على القيام بعمل أفضل من ذلك . وهناك بعض الأوانى المرمرية البسيطة التى تفضل بكثير هذه القطعة والقطعة التى على نمطها ، ومع ذلك لم تلق قدرا مماثلا من المديح .

ورقم ١٦ (خزانة ١) هو التمثال النصفى الغريب الذى أثار كثيرا من الاهتمام عند كشفه ، وهو من الخشب المطلى بطبقة من الجص الملون ، ويلبس تاجا من نوع التاج الذى تلبسه الملكة « نفرتيتى » ، ولهذا ظن أخيرا أنه للملكة « عنخس أن آمون » .



(شكل رقم ٥٣)

منظر على قطاء صندوق لتوت عنخ آمون
يمثله واقفا أمام زوجته التى تقدم له باقة من الأزهار
داخل خميلة « مجموعة توت عنخ آمون »
(المتحف المصرى)

وانه لمن نافذة القول ، كما أنه من المستحيل بحث مجموعة المرواح والصنادل ولوحات اللعب والصناديق المتنوعة الأشكال والأحجام والعصي والأقواس وغير ذلك من الحاجات التى تعتبر ضرورية لجهاز ذلك الفرعون الصغير السيبى الحظ .

الذى حكم سنين قليلة تظلها الكد والأسى ، وتوفى قبل أن يبلغ التاسعة عشرة ، ومن يرغب فى معلومات أوفى بهذا الشأن عليه أن يقرأ كتاب « هوارد كارتر » عن مقبرة « توت عنخ آمون » ، الذى يمدنا بأوفى البيانات - على الرغم من أنها غير كاملة - عن كشف وصيانة الكنز .

وانه لمن المرغوب فيه نشر مؤلف واف مزود بصور ملونة للآثار الهامة على الأقل من هذه المجموعة . وقد يحول دون ذلك ما يتكلفه مثل هذا المؤلف من مبالغ طائلة .

وهذا الشراء المنعدم النظير الذى تتميز به هذه الكنوز ، يجعلنا نتساءل عما اذا كان « توت عنخ آمون » مثالا لا يمكن القياس عليه من حيث غنى جهازه الجنائزى

وأنه زود بمثل هذه الوفرة لسبب ما يغيب عنا الآن ، أما اذا لم يكن الوضع بهذا الشكل ، واذا كان جهازه عاديا بصفة تقريبية ، فقد يوضح هذا حقيقة ماثلة أمامنا ، وهى أن مقبرة « توت عنخ آمون » هى المقبرة الوحيدة التى كشفت حتى الآن دون أن تمس .

وهنا نتساءل أيضا : هل كانت مقبرة « أمنوفيس الثالث » أكثر فخامة من مقبرة « توت عنخ آمون » بسبب أن الملك الأول كان أعظم من خليفته ؟ .

واذ ذاك لا نستطيع الجزم أيضا ، وانه لمن المؤسف أن مقبرة « أمنوفيس » التى كان يمكن أن تحل المسألة نهائيا ، قد انتهت تماما منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة سابقة للكشف المحفوظ لمقبرة خليفته .
التعس الحظ .

ورضيق المجال هنا عن وصف كامل لجميع الكنوز التى يضمها المتحف . واننا ننصح - اذا سمح الوقت - بزيارة الحجرات التى تتفرع من الرواق الشرقى « لتوت عنخ آمون » .

ففى الحجرة ١٤ بالطابق العلوى مجموعة كبيرة من الصور على الخشب . من العصر الرومانى كانت توضع فوق رءوس الموميات ، وبعضها يمتاز

بالفن الأصيل ، والمجموعة تظهر أن مصر كانت مسكونة بخليط ممتزج من الأجناس (١) .

والحجرة رقم ١٩ بالطابق العلوى مخصصة لعبودات معظمها من البرونز وبعضها دقيق الصناعة . والكثير منها غريب المنظر ، وهى تشير فى الغالب اهتمام المتخصص فى دراسة الديانة المصرية .

والحجرة رقم ٢٤ بالطابق العلوى تضم أروع مجموعة من الرسوم على الحجر ، وتعرف باسم (استراكا) ، ومعظمها من وادى الملوك فى (طيبة) ، وهى من عمل الفنانين الذين عهدت اليهم زخرفة المقابر الملكية .

وتتدرج من رسوم لمناظر المقابر الى رسوم تخطيطية عملت فى وقت فراغ أو فى أثناء تجربة قلم جديد ، وكلها جديرة بالدراسة .

والحجرة رقم ٢٩ بالطابق العلوى تحوى نماذج من الكتابة الهيروغليفية والهيروغليفية والديموطيقية مع أمثلة من النصوص اليونانية والآرامية .

وقد وضعت على الهام منها بطاقات تلخص محتوياتها ، وتنوع المواضيع التى تتناولها هذه الكتابات .

ولدينا خطاب من ضابط قديم يشكو من ضياع الوقت عندما يصبح رجاله الى المدينة لتغيير ملابسهم ، كما أن لدينا عقدا تتفق فيه مرضعة اسمها « شب ان ايزيس » على ارضاع ابن أحد الموظفين بشدييها بشروط دقيقة تحميها من أى ضرر .

وتوجد شكوى من اثنين متخصصين فى اطعام القطط من أن الشرطة

(١) أغلب هذه المجموعة وجدت فى هواره وبعض جهات الفيوم . وفى متاحف العالم بعض هذه الصور ، الا أن مجموعة القاهرة تفوق المجموعات الأخرى .

- ٢٢١ -

ترغمهما على صنع قوالب طوب ، على الرغم من أن وظيفتهما اللعينية
تعفيهما من العمل اليدوى .

كما توجد نصوص تحدثنا عن معاملات مالية لسكان المستعمرة
اليهودية فى القرن الثالث قبل الميلاد (١) .



(شكل رقم ٥٤)

تمثال ضخيم للملك أخناتون من الحجر الرملى
الأسرة الثامنة عشرة
(المتحف المصرى)

(١) استوطنت جالية من الجنود اليهود المرتزقة ومعهم أسرهم جزيرة
الفنتين (جزيرة أسوان) فى عصر الحكم الفارسي . وكانوا يكتبون
ويتكلمون باللغة الآرامية التى كانت سائدة فى سورية فى ذلك الوقت .

وعلى جدران الحجرة علفت نماذج من كتاب الموتى ، ورسوم دينية أخرى بعضها في غاية الجمال والدقة ، ويجب على الانسان أن يقضي ربع ساعة على الأقل في هذه الحجرة .

والحجرة ٣٤ بالطابق العلوى تعتبر من بعض الوجوه أكثر الحجرات فائدة، إذ انها مخصصة للأدوات والأسلحة واللعب ، وبوجه عام لما يستعمل في الحياة اليومية .

وبها نرى الزحافة الضخمة التى كانت تستعمل في نقل الأحمال الثقيلة ، وأوانى وملاعق الزينة الجميلة ، وأدوات الموسيقى ، ولوازم وأدوات الفزل والموازين والمكايل وقطعا مزخرفة من قصور الرعامسة بالدلتا (نقلت الى حجرة أخرى) (١) .

ووصف هذه الحجرة بالتفصيل يحتاج الى مؤلف من الحجم الكبير (٢) .

(١) تضم هذه المجموعة الآن الحجرة ٤٤ بالطابق العلوى .

(٢) هناك حجرات أخرى بالطابق العلوى جديرة بالمشاهدة اذا اتسع الوقت ، نذكر منها الحجرة ٢ (الجانب الشرقى) حيث تعرض المجموعة الرائعة من التوابيت والحلى والأوانى وغير ذلك مما عثر عليه في حفائر مدينة تانيس .

والحجرة ٣٩ التى تضم اوان وتمائيل ومسارج فخارية وزجاجية ومعينية من العصر اليونانى الرومانى ، والحجرة ٣٣ حيث تعرض تلك المجموعة الفريدة من الأدوات والمعدات الجنائزية التى عثر عليها في مقبرة « حماكا » أحد النبلاء في عهد الأسرة الأولى .

الفصل السادس

هليوبوليس ومسالتها

على مسافة سبعة أميال تقريبا الى الشمال الشرقى من وسط القاهرة يقع كل ما تبقى من مدينة (هليوبوليس) العظيمة الشهيرة ، مركز عبادة اله الشمس في مصر ، ومقر جامعة الكهنة الذين اشتهروا بأنهم أكثر رجال الجامعات الدينية في مصر ثقافة .

وانهم الذين نظموا الديانة المصرية على أحسن ما وصل اليه النظام الدينى ، الذى لم يكن قد بلغ شأوا بعيدا . وأشكال اله الشمس التى كانت تعبد فى هليوبوليس هى «رع حور آختى » برأس على هيئة صقر و « رع آتوم » برأس آدمى ، وكان رمزه عجل هليوبوليس المقدس . « منيفس » .

وقد ابتدع كهنة هليوبوليس نظاما دينيا يذكر أن اله الشمس « رع - خبرى - آتوم » خرج من الماء الأزلى اللانهائى « النون » ، ثم أنجب بعد ذلك الهين الآخرين هما « شو » وزوجة « تفنوت » اللذان يحملان السماوات .

وقد أعقبا بدورهما « جب » اله الأرض و « نوت » الهة السماء ، وأنجب « جب » و « نوت » : « أوزوريس » و « ست » و « ايزيس » و « نفتيس » . هؤلاء الآلهة التسعة يكونون ما يعرف باسم التاسوع الأكبر لهليوبوليس .

وعلى الرغم من أن مدارس دينية أخرى قد سارت على نظام هليوبوليس ، فنظمت تاسوعات لنفسها يرأس كل منها الاله المحلى مثل

« تاسوع منف » وعلى رأسه « بتاح » ، فقد ظل « تاسوع هليوبوليس »
أرفعها مكانة .

وأمام « تاسوع هليوبوليس » الأكبر ، اتهم « ست » أخاه
« أوزوريس » ، وانتهى الأمر بتبزية « أوزوريس » وإدانة « ست » .

وكانت هليوبوليس تبعا لذلك ذات مكانة مرموقة في أعين المصريين ،
وظلت كذلك حتى بعد ظهور « طيبة » وبلوغ الهها المحلي « آمون »
القمة في أيام الأسرة الثامنة عشرة .

وحتى « آمون » - الاله المقرب للفراعنة المنتصرين في الدولة الحديثة
- كان عليه أن يستجيب لرغبات اله هليوبوليس ، وأن يقرن اسمه بالاله
« رع » تحت اسم « آمون رع » ، قبل أن يفرض نفسه على كل
المجتمع المصري .

وكانت موارد معبد اله الشمس بهليوبوليس تزيد عن موارد أى معبد
آخر في مصر ، إذا استثنينا موارد معبد آمون بـ طيبة .

والواقع أن نصيب « آمون » كان - مثل نصيب « بنيامين » -
خمس أمثال نصيب أى اله آخر حتى نصيب الاله « رع » بهليوبوليس .

وقد ظلت المدينة والمعبد محتفظين بمستواهما العالي وشهرتهما طوال
الحكم المصري حتى آخر أيامه ، بدليل ذلك الاحترام الذى أظهره « بعنخي »
الملك الأثيوبي الفاتح لاله هليوبوليس حتى بعد تغلبه على كل مقاومة من
جانب الحكام المحليين .

(فقد صعد الدرجات حتى وصل الى النافذة الكبيرة ليطل على
« رع » فى مقره ذى الشكل الهرمى) .

وقد وقف الملك بمفرده ، وفض الاختام الموجودة على المزالج ، وفتح
الباب المزدوج ، ورأى والده « رع » فى المقر الهرمى الفخم ، ومركب « رع »
الصباحية ومركب « آتوم » المسائية .

وقد ظلت شهرة كهنة هليوبوليس في المعرفة عالية الشأن الى عصر متأخر ، واخذ « هيرودوت » عنهم الكثير من المعلومات الممتعة - الدقيقة وبغير الدقيقة - التي كد في جمعها بكتابه عن مصر .

فهو يقول : (ذهبت الى هليوبوليس ... لأن رجال هليوبوليس معروفون بأنهم أكثر المصريين معرفة) ، بل هناك رواية مشكوك فيها تحكى أن « أفلاطون » أمضى ثلاثة عشر عاما في الدراسة بها ، والآن لم يبق من معالم المدينة العظيمة المتحضرة غير أنقاض قليلة سوف نتحدث عنها .

ويمكن الوصول الى هليوبوليس من القاهرة بالسيارة أو بقطار السكة الحديد من محطة كوبرى الليمون . ومحطة هليوبوليس القديمة - هدف زيارتنا - هي المطرية .

ومن المستحسن أن نزور في طريقنا الشجرة المعروفة باسم « شجرة العنقاء » ونبعها ، لا لأن هناك أى أساس من الصحة للأسطورة التى تربط بين الجزء المتبقى من شجرة الجميز العتيقة التى سقطت فى سنة ١٩٠٦ وبين العنقاء والطفل (فشجرة الجميز لم تغرس قبل نهاية القرن السابع عشر) ، بل لأن نبع العنقاء له اتصال فعلى بالعبادة القديمة لاله الشمس .

والأسطورة المسيحية تحكى لنا أن الطفل يسوع فجر النبع ، وأن العنقاء غسلت ملابسه فيه . ولكن الاسم المحلى للنبع شاهد بأنه يرجع الى أصل أكثر قديما .

ومما يدل على ذلك أن الاسم « عين شمس » يعنى نبع الشمس ، كما أن الأسطورة القديمة تذكر أن اله الشمس غسل وجهه من النبع عندما ظهر على الأرض لأول مرة .

ولوحة « بعنخى » التى سبقت الاشارة اليها تشير الى الأسطورة (م ١٥ الآثار ج ١)

القديمة عندما تحدثت عن تطهير الملك قبل دخوله معبد اله الشمس
(لقد تم تطهيره وتنظيفه في بركة التطهير « قبح » وغسل وجهه في نهر
« نون » الذى غسل فيه « رع » وجهه) .

وان الزائر لشجرة العذراء والنبع له أن يختار احدى هاتين
الأسطورتين القديمتين . ومما لاشك فيه أن الأسطورة الوثنية أكثر
قدما ، فنهر « نون » يرجع بنا الى أسطورة الماء اللانهائى
الذى خرج منه اله الشمس .

ولكن لما كانت الأسطورة المسيحية تذكر أن آلهة هليوبوليس خروا
سجدا أمام العذراء والطفل يسوع ، فمن المحتمل أن يفضل الزائر تصديق
الأسطورة الثانية ، ولكن كلا الأسطورتين خاليتان من الحقيقة .

وخمس عشرة دقيقة كفيلا بأن تنقلنا من شجرة العذراء الى مخلفات
من العقائد والمفاخر القديمة أكثر أصالة .

والأكوام التى تغطى الأسوار القديمة للمدينة تعطينا فكرة عن اتساعها
الذى كان يبلغ حوالى ثلاثة أميال مربعة (١) ، ولكن ليس هناك فوق
سطح الأرض ما يثير الانتباه سوى المسلة القديمة التى هى - أقدم الآثار
الموجودة التى لاتزال تحدد مدخل معبد الدولة الوسطى الذى أقيم - مكان
مبان أقدم - فى عهد الملك « أمنمحات الأول » و « سنوسرت الأول » .

وقد بدىء فى بناء معبد الدولة الوسطى فى عهد الملك « أمنمحات الأول » .
أول فراغة الأسرة الثانية عشرة ، ثم أضاف اليه ابنه الكثير من المباني
الى حد انه ادعى أنه أعاد بناءه من جديد ، وقد ضاع الشاهد الأصلى
الذى سجل عليه هذا العمل منذ زمن طويل .

(١) حتى هذه الأسوار لم يبق لها أثر ، فقد استخدمت بقاياها لردم
البرك فى جهات مختلفة من القاهرة .

ولكن ملفا من الجلد كتبه أحد الكتبة من عصر « أمنوفيس الثانى »
(الأسرة ١٨) للتمرين احتفظ لنا بنسخة من هذا الشاهد ، وبعده
الافتتاحية التقليدية يقص الملك ما يلى :

« سأقوم ببناء معبد كبير لوالدى « آتوم » .

سأجعله فسيحا كما جعل مملكتى فسيحة .

سوف أزود مذابحه على الأرض ، وسوف أقيم معبدى فى المكان
المقدس .

سوف يذكر بهائى فى معبده .

وسوف يخلد اسمى على المسلة كما سيخلد فى البحيرة .

وخاله ذلك الشئ الرائع الذى عملته .

ولن يموت الملك الذى يذكر الناس أعماله .

ويستمر الملف فى وصف ما نسميه وضع حجر الأساس .

« وقد توج الملك بالتاج ، وكان الناس يتبعونه » .

وقام رئيس الكهنة المرتلين وكاتب الكتاب المقدس بشد الخيط ونصب
الوتد فى الأرض » .

وقد يكون للمعبد الذى أقيم « للخلود » أهمية خاصة بالنسبة لدارس
التوراة ، إذ أن ابنة رئيس الكهنة فوطيفار (عطية رع) ، كاهن أون ،
تزوجت « يوسف » نائب ملك مصر فى عهد الهكسوس كما يرجح .

وأون هو الاسم المصرى لهليوبوليس وتسمى أيضا « أون - محيت »
(أون الشمالية) للتمييز بينها وبين (أون الجنوبية) التى يسميها
اليونان هيرمنتيس (أرمنت) .

ولم يبق من ذلك المعبد الذى كان فى البدء أعظم معبد ، والذى ظل
حتى النهاية المعبد الثانى على الأقل فى مصر القديمة ، سوى المسلة

الوحيدة المصنوعة من حجر الجرانيت الأحمر المجلوب من أسوان ، التي أقامها « سنوسرت الأول » أمامه احتفالاً بيوبيله (عيد سد) .

وهذه المسلة التي تعتبر أحسن المسلات الخمس التي بقيت في مصر - موطن المسلات - يبلغ ارتفاعها حوالي ٦٧ قدما ، ويقدر وزنها بحوالى ١٢١ طنا (١) .

وهى بذلك تنقص بحوالى قدم ونصف قدم عن ارتفاع مسلة كليوباترة على جسر نهر التيمز ، ويقل وزنها عنها بحوالى ٦٦ طنا ، غير أنها أقدم من مسلة لندن بحوالى خمسة قرون ، إذ أنها أقيمت حوالى عام ١٩٣٨ ق . م أى تقريبا في الوقت الذى عاش فيه إبراهيم باشا .

وقد ظلت عدة قرون إحدى اثنتين أقيمتا هناك ، على الرغم من أنه ليس صحيحا تماما أن يقال مثلما يقول دليل حديث بأن « هذه المسلات » كانت تقام دائما مزدوجة » .

إذ أن أعلى مسلة قائمة ، ونعنى بها مسلة اللاتيران في « روما » تذكر في نص أضافه « تحتتمس الرابع » بأنه « لأول مرة أقيمت مسلة منفردة في طيبة » مما يدل على أنها ليست آخر مرة من نوعها .

ولابد أن هليوبوليس كانت في مجدها تزخر بالمسلات ، وأحدها هى المسلة التي تعرف دائما باسم « فلامينا » التي توجد الآن بروما .

وقد أقامها « سيتى الأول » ، بهليوبوليس ، ولكنه تركها دون نقش ، وقد قام بنقشها ابنه « رمسيس الثانى » ، وفي تواضع غير معهود فيه « سجل في النقش أعمال والده كما سجل أعماله » .

(١) كانت المياه الجوفية تغطي قاعدة المسلة وجزءا من المسلة نفسها بعض الوقت كل سنة . ولذا رفعت سنة ١٩٥٥ الى مستوى أعلى من متوسط المياه الجوفية .

وقد ذكر لنا أن « سیتی » ملأ هليوبوليس بالمسلات التى تتألق
بما ترسله من شعاع ، وإذا كان هو نفسه قد ذكر بعد ذلك مباشرة أنه
« أقام آثارا مثل نجوم السماء » ، فيجب أن نتذكر أن قائل ذلك هو
« رمسيس الثانى » المعروف بأسرافه فى التفاخر .

والمسلة الوحيدة الأخرى التى وجدت فعلا فى هليوبوليس لم يقمها
« سنوسرت الأول » ، بل أقامها « تحتمس الثالث » بعد خمسمائة عام
تقريبا من تاريخ إقامة مسلة « سنوسرت » .

وقد كشف عنها عام ١٩١٢ فى أثناء قيام المعهد البريطانى للآثار
بحفائره تحت إشراف السيد « فلندرزبترى » والسيد « ر . أنجلباك »
وبقايا هذه المسلة توجد الآن بالمتحف المصرى ، وقد قام « تحتمس الثالث »
بأعمال أخرى خلاف هذه المسلة بهليوبوليس .

اذ أقام بها مسلتين نقلهما إلى الاسكندرية الحاكم « بارباروس »
عام ٢٣ قبل الميلاد ، وهما الآن تزينان جسر التيمز ، و « سنترال بارك »
بنيويورك ، و « بارباروس » على الرغم من اسمه المشؤم ، لم يسلبها
من البلاد مثلما فعل هواة المسلات المتأخرين .

والمسلتان اللتان خلدتا ذكر فراعنة مصر من عصر الدولتين الوسطى
والحدیثة بقيتا قائمتين حتى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى .

وعندما زار « عبد اللطيف البغدادى » هليوبوليس عام ١١٩٠ ميلادية
وجد المسلة التى ترجع إلى عصر أكثر تأخرا ساقطة ومكسورة ، ولاحظ
الأغطية النحاسية التى تغطى الرؤوس الهرمية لكل من المسلتين ، وأن
المياه السائلة من النحاس لطخت المسلتين باللون الأخضر فى بعض المواضع

والآن بقيت المسلة القديمة التى أقامها « سنوسرت » زمنا أطول
من مثيلاتها الكبيرات . ولا تزال تطل على نفس المكان الذى أقيمت فيه
منذ حوالى ٤٠٠٠ سنة على الرغم مما ناله من تغيير ، والنقش
الذى يزينها يترجم كما يلى :

« حورس » ، المولود من الحياة ، ملك الشمال والجنوب ،
 « خبر - كا - رع » سيد نخبيت وواجيت المولود من الحياة ، ابن رع
 « سنوسرت » ، المحبوب من ارواح « أون » معطي الحياة الى الأبد ،
 « حورس » الذهبي ، المولود من الحياة ، الاله الجميل ، « خبر - كا - رع »
 أقام هذه المسلة في اليوم الأول لاحتفال سد ، معطي الحياة ،
 يعيش الى الأبد (١) .

(١) تزخر المناطق المحيطة بعين شمس بالمقابر القديمة التي ترجع
 الى عهد الدولة القديمة وغيره من العهود . وقد عثر أخيرا في أثناء حفر
 الأساس لمدرسة الصناعات بأرض النعام على آثار كثيرة من عهد الدولة
 الحديثة، وهذا يدل على ازدهار المدن هنا في العصور المختلفة ، وليس من شك
 في أن البلدة كانت متسعة بحيث كانت تصل حدودها الى الجبل الأحمر
 حيث محاجر الكوارتزيت وكانت تمتد الى المناطق المسماة الآن
 باسم الحميمية والزيتون .

الفصل السابع

الأهرام : أبو رواش والجيزة

يمكن أن نعتبر الأهرامات و « أبو الهول » العظيم والمسلات أعظم أمثلة مميزة لأعمال قدماء المصريين ، إذ أن ذكرها تظل طويلا في أذهان الذين يشاهدونها ، ولكن معنى الأهرامات بالنسبة للزائر العادي لمصر ، ينصب غالبا فقط على مجموعة الأهرامات الثلاثة المشهورة بالجيزة .

ولذا فإن الزائر يحمل رأيا غير صحيح عن فكرة وماهية الهرم والفرض منه ، ويخطر بأن يجعل من أفكاره أرضا جرداء لا تنبت في الوقت المناسب — إذا برزت فيها فكرة الأهرامات — إلا الحسك والجلبان .

ومن لا يرى غير مجموعة أهرامات الجيزة مع تركيز معظم اهتمامه على الهرم الأكبر وحده (وهذا صحيح من وجهة نظر الزائر) يكون فكرة لا يمكن التحرر منها .

وهي أن هذه المجموعة المكونة من ثلاثة أهرامات شيء شاذ في الفكر والمألوف المصري ، وأن الهرم الأكبر بصفة خاصة فريد في ذاته بحيث يصبح الرأي الشائع بأنه ليس شيئا غير مقبرة أمرا صعب التصديق .

وعلى ذلك يجب أن ندرك أولا فيما يختص بالأهرامات أن مجموعة أهرامات الجيزة ، فضلا عن أنها غير شاذة فإنها واحدة فقط من مجموعات كبيرة لاتزال قائمة بمصر ، ومن مجموعات أخرى كبيرة زالت .

وأن هذه المجموعات من الأهرامات كانت تمتد ولا تزال تمتد على الرغم من وجود فراغ بينها من أبي رواش التي تقع على مسافة خمسة أميال شمال الجيزة الى « مروى » في أعماق السودان بين الشلالين الخامس والسادس ، وعلى مسافة غير بعيدة من الخرطوم .

وعلينا أن ندرك كذلك أن كل هرم من مجموعات هذه الأهرامات يكون جزءاً من جبانة كان يتوسطها دائماً ، وكل واحد من هذه الأهرامات كان يلحق به معبد ، تقدم فيه القرايين وتجري به الطقوس العادية للمتوفى الذى بنى الهرم من أجله ليرقد فيه .

وبذلك يمكن أن ندرك أن هذه الأهرامات ، أينما توجد وكيفما كان حجمها ، ليست الا مقابر ، وسيدهش أولئك الأشخاص المهرة الذين شاركوا فى بنائها وأثبتوا بما بذلوه من جهد أن الهرم الأكبر هو خلاصة مقدسة ملهمة لما وصل اليه العقل البشرى فى ذلك الوقت .

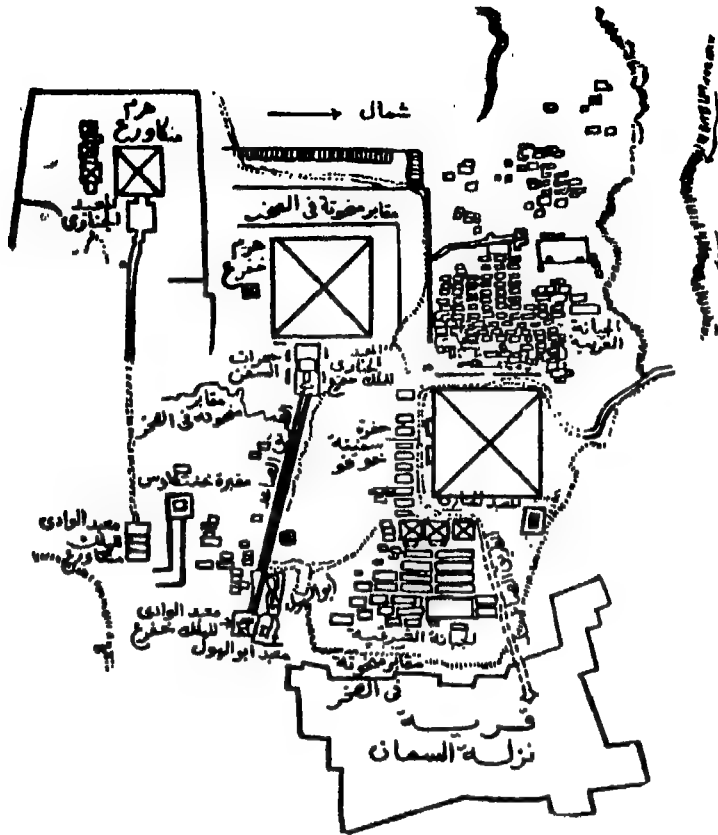
حين يعلمون بتلك الآراء التى تقول بأن الهرم الأكبر كان مرصداً (أكثر المراصد تعقيداً وإرباكاً دون شك) أو مكاناً للتنبؤ بما حدث منذ بنائه ، وبما سيحدث فى المستقبل . فمثل هذه الآراء مجرد هراء سوف يذهب مع الريح .

والهرم الأكبر نفسه - على الرغم من نسبه الضخمة - لا يشذ عن باقى الأهرامات ، وإنما هو فى قمتها ، وكان مقدراً أن يوجد أضخم مثاك لقبرة هرمية ملكية فى أى مكان وفى أى زمان .

وقد قدر أن يكون وهذا الزمان فى عصر الملك « خوفو » من ملوك الأسرة الرابعة ، ولم يكن هذا الملك أول أو آخر من بنى من القراعنة أهرامات كبيرة .

وقد قدر أن يكون المكان بالجيزة ، لأن الجيزة كانت أكثر المواقع ملائمة لهذا الغرض فى ذلك الوقت .

ومن المؤكد أن هرم « خوفو » هو أكبر الأهرامات القائمة ، ويليه فى الترتيب هرم « خفرع » ، ولو لم يوجد هذان الهرمان لحظى هرم « سنفرى » بميدوم بالاهتمام الذى أسبغ على هرم « خوفو » ، ولنسال التشديد الذى أضيف الى غيره .



(شکل رقم ۵۵)

جبانة الجيزة الأثرية وتقسيماتها المختلفة
من معابد ومقابر وحفرات للسفن

ومن الطبيعي أن يبدأ الزائر بزيارة مجموعة أهرامات الجيزة ، ولكن لكي تكون دراستنا كاملة نبدأ أولا بزيارة أهرامات « أبى رواش » التى تقع فى أقصى الشمال من سلسلة الأهرامات الطويلة التى تمتد الى مسافة ألف ميل بمحاذاة شاطئ النيل .

وللوصول الى أبى رواش يمكن ركوب القرام (سيارات الأتوبيس الآن) من القاهرة أو سيارة أجرة الى فندق مينهاوس بجوار الأهرامات.

ومنها يستطيع الزائر بواسطة طرق المواصلات البدائية أن يقطع المسافة الباقية وقدرها خمسة أميال ، وهناك طريقة أخرى وهى أن يستقل الزائر سيارة أجرة الى كرداسة عن طريق بولاق الدكرور .

ومخلفات أهرامات « أبى رواش » لا تثير الاهتمام ، حيث انها استعملت منذ أيام محمد على محجرا (١) ، ويحكى لنا « بترى » أنه قيل له عام ١٨٨١ انه فى وقت الفيضان كانت الأحجار تنقل منها بمعدل ٣٠٠ جمل يوميا .

ويضاف الى ذلك أنه قد حدث فى تاريخ قديم جدا يحتمل أن يكون فى العصر المضطرب من نهاية الدولة القديمة الكثير من أعمال التخريب المتعددة فى هذه المنطقة ، نتج عنها تدمير المقابر الملكية .

وفى أيام « فيس » (١٨٣٧ م) كان الهرم الرئيسى يحتوى على قليل من المداميك التى تكون مربعا يتألف من ٣٤٤ قدما . ومنذ ذلك الوقت لم يحدث تغيير يذكر اذا استثنينا اختفاء بعض المداميك ، كما أن الحفرة المنحوتة فى الصخر - التى كانت تضم حجرة الدفن والتى وصفها بأنها رقعة مربعة كبيرة يصل اليها ممر يشبه الطريق المؤدى الى المحجر - أصبحت أكثر وضوحا .

والحفرة طبقا لمقاسات « بترى » كانت فى عام ١٨٨١ ، ٣٠ × ٧٠ قدما بارتفاع ٣٠ قدما ، ويحتمل أنها كانت فى الأصل مكسوة بقطع من الحجر الجيرى الناعم سمكها ٧ أقدام ، وبذلك يكون مسطح حجرة الدفن ١٦ × ٥٦ قدما .

وبقايا المعبد الجنائزى الواقع الى الشرق مبنية باللبن ، أما الحجر فقد زال نهائيا . وقد قام المعهد الفرنسى بحفائر بهذا الهرم أسفرت عن

١) كانت النية معقودة على أن تستعمل أحجار الهرم الأكبر فى بناء القناطر الخيرية ، لو لم يقنع أحد المهندسين أولى الأمر بأن قطع الأحجار من المحاجر نفسها أسهل وأقل تكلفة .

كشفت رأس جميل للملك « دد فرع » ، الذى بناه ، وهذا الرأس من الحجر الرملى ، ويوجد الآن بمتحف اللوفر .

ولا يعرف غير القليل عن « دد فرع » ، واسمه مدرج فى سجلات الملوك بأبيدوس وصقارة بين اسمى « خوفو ومنقرع » .

ويظن البعض أنه هو الأمير « خرددف » ابن « خوفو » الذى جاء ذكره فى الفصص الخيالية (ببردية وستكار) ولكن هذا زعم مشكوك فيه . وفى الوقت الحالى لا توجد دلائل ثابتة لتحديد وضعه الصحيح ، كما لا يوجد من مخلفات حكمه غير القليل النادر (١) .

والى الجنوب الغربى تقع بقايا قليلة هى كل ما تخلف عن هرم مبنى بالحجر على مسطح أصفر من مسطح هرم « دد فرع » ، هذا ونوجد شمال أبى رواش بقايا هرم ثالث من اللبن .

وقد شاهده « لبيسيوس » عام ١٨٤٠ بارتفاع ٣٥ قدما ، ولكنه زال تقريبا بعد هذا التاريخ ، ويمكن ملاحظة ما بقى من الطريق الذى يصعد الى هرم « دد فرع » فى الوادى .

وفى عام ١٨٨١ قدر « بترى » طول الطريق بحوالى ميل وبارتفاع ٤٠ قدما فى بعض المواقع ، والى الشرق والجنوب تقع مقابر ومصاطب من عصر الدولة القديمة ، ترينا أنه فى أبى رواش - كما فى كل مكان آخر - كانت الأهرامات تكون نواة جبانة معاصرة (٢) .

ونحن الآن أمام أهم مجموعة وهى أهرامات الجيزة ، ويمكن الوصول إليها بالسيارة من القاهرة فى طريق ممهد . وتمدنا كتب الأدلة بتقديرات للوقت الذى تستغرقه هذه الزيارة ، ولكن ليس الموضوع موضوع وقت وإنما هو موضوع اهتمام الزائر بأعظم مبان فى العالم .

(١) الثابت الآن أنه ابن الملك خوفو وأنه خلفه على العرش .

(٢) قام علماء الآثار من الفرنسيين ، ومن بعدهم الهولنديون ، بالحفر فى هذه الجبانة .

ومجموعة أهرامات الجيزة تقوم على هضبة صغيرة من الحجر الجيرى المحبب . ورغم أن امتدادها يقل عن ميل « فانه يحق لها أن تدعى لنفسها بأنها أعظم بناء فى العالم » .

وحقا لا يدانيها غير الحرم الشريف بأورشليم . ولكن تختلف أهمية المكان الفلسطينى عن أهمية هضبة الأهرامات ، فهنا كما قيل بحق « يمكن مشاهدة بداية العمارة ، وأعظم ما أقيم من أعمال البناء ، وأدق ما عرف من المنشآت وأروع استخدام للأدوات » .

وينتسب للجيزة أيضا تمثال « أبو الهول » العظيم ، وهو من أشهر أعمال النحت التى نعرفها ، وتمثال « خفرع » الذى يعتبر أروع مثال للمهارة الفنية المتزجة بالتعبير الواضح .

ولم نعر على مجموعة تمثل جهود الانسان الأول أروع من تلك الأهرامات الضخمة وتلك الأعمدة والحوائط الحمراء اللون للمعبد الجرانيتى^(١) ، ثم ذلك الرأس الشامخ لتمثال « أبو الهول » ومئات المقابر وبقايا الطرقات والأرضيات والأسوار .

ومع ذلك فان النظرة الأولى لأهرامات الجيزة بصفة عامة عرضة لأن تكون مخيبة للآمال الى حد ما ، وربما يرجع ذلك الى تعودنا على رؤية صور تلك المجموعة التى تمثلها كتل شامخة تتفاوت فى اظهار مدى عزلتها .

أما الآن فتحن نراها وسط صحراء شاسعة لا نهاية لها ، وهذا يجعلها تتضاءل فى أعيننا ، فضلا عن ذلك فان شكل الأهرامات الذى يبدو للناظر من أى اتجاه كمخطط هزيل يشعره بأن الأهرامات قد انكمشت عما ألفنا رؤيته فى صورها .

(١) يقصد معبد الوادى للهرم الثانى الواقع الى جوار تمثال « أبو الهول » .

والنظرة الأولى للأهرامات ليست بذات وقع كبير ، ولا يحس الانسان بقيمتها الحقيقية الا اذا اقترب من كتلها الضخمة ، وأدرك كيف يبدو كل ما حولها تافها .

وفضلا عن ذلك كما ذكرت « مس امليا ادواردز » منذ وقت طويل في كتابها : (ألف ميل على طول النيل) ، بأن حالة ولون تلك المباني الضخمة جديران بأن يثيرا الدهشة ، ومما يجدر ذكره أن الهرم الأكبر والأهرامات الأخرى قد جردت من كسائها الخارجى وأصبحت على شكل مدرجات .

ولكن من ناحية أخرى نرى الدرج وكأنه يطاول السماء في صورة ذهبية تماما ، كما يمكن أن نتخيل سلم يعقوب الذى حلم به . أما لون الأهرامات في ضوء الشمس فهو شيء فريد في حد ذاته .

(وقليل من الأفراد يمكن أن يدركوا سلفا اللون الأسمر النحاسي الذى اكتسبه الحجر الجيرى المصرى بعد أجيال من تعرضه لوهج شمس مصر ، وفي أضواء معينة تبدو الأهرامات كأنها أكوام من الذهب الصلد) .

الهرم الأكبر « خوفو - سوفيس »

وبعد الفراغ من التأثيرات الأولى وتنحية خيبة الآمال جانبا ، نبدا أولا بالهرم الأكبر ، فهذا العملاق بين الأهرامات الأخرى بنى بين ٣٠٩٨ و ٣٠٧٥ قبل الميلاد (تاريخ كمبردج القديم) أو سنة ٣٧٨٤ ق . م (بتري - مصر القديمة ١٩٢٩) في عهد الملك « خوفو - سوفيس » كما جاء في تاريخ « مانيتون » (١) .

ومن المحتمل أنه كان الملك الثانى من ملوك الأسرة الرابعة ، والاسم المصرى القديم للهرم هو « آخت - خوفو » أى « اقق خوفو » منا يؤكد عظمته بين أنداده .

(١) انظر أحدث الآراء في تاريخ هذا العصر في أول الكتاب : سجل تاريخى لأهم الفراعنة المصريين .

وطول كل ضلع من أضلاعه الآن ٧٤٦ قدما ، وكان قبل زوال الكساء الخارجى، المصنوع من الحجر الجيرى الناعم ٧٥٥ $\frac{1}{2}$ قدما . وارتفاعه العمودى الحالى ٤٥٠ قدما ، وكان فى الأصل ٤٨١ قدما تقريبا .

وإذا أردنا أن نعرف أين ذهبت البقية ، فيمكن أن نجد حل هذا السر بالتقصي عنه فى القاهرة ، فقد كان الحجر الجيرى المنحوت هذفا للبنائين .

وعلى الرغم من أن الخلفاء يحملون أكبر الوزر ، فان الضرر الذى لحق به يرجع الى تاريخ أقدم ، وسوف نلتقى فى زيارتنا لهضبة الهرم بنقش كتبه مهندس من أيام « رمسيس الثانى » ، الذى حطم جزءا من تكسبه الهرم الثانى ليقوم به معبدا فى هليوبوليس ، وبذلك يمكن أرجاع الضرر الى تاريخ قديم .

وجوانب الهرم ترتفع بزاوية قدرها ٥١/٥٠ ، والمساحة التى تغطيها الكتلة حوالى ١٣ فداناً - وقد قدر عدد القطع المكون منها هذا الصرح الشامخ بما يزيد على ٢٣٠.٠٠٠ قطعة حجرية ، متوسط كل منها ٢٥ طن .

وقد ذكرت هذه التقديرات المألوفة للتدليل على عظمتها ، اذ يمكن مثلاً أن تبنى مدينة تضم ١٢٠.٠٠٠ نسمة بأحجار هذا الهرم ، أى بأحجار أجود من تلك التى تستعمل عادة فى مثل هذا العمل ، ويمكن لكثرة الحجر التى بنى منها الهرم - اذا قطعت الى قطع صغيرة بطول قدم لكل منها - أن تغطي ثلثى المسافة حول الأرض عند خط الاستواء .

وذلك اذا صفت بجانب بعضها من طرف الى طرف ، وعلى كل حال سوف يشعر الزائر بالارتياح التام لضخامة الهرم دون أن يجهد ذهنه بمثل هذه المسائل .

والحجر الجيرى هو المادة المستخدمة بصفة عامة فى بناء مقبرة « خوفو » العظيمة - وبينما تتفق آراء الثقات على أن الحجر الجيرى

الأملس المستخلم في بناء الكساء الخارجى وفي تكسية الحجرات قد استحضرت من الضفة الشرقية للنيل .

ومن المحتمل أن يكون قد جلب من طرة والمعصرة ، نرى نقاشا حادا يدور فيما يختص بالمكان الذى أخذت منه الكتل الخشنة لنواة الهرم .

ويذكر « بتري » : (أنه لا توجد أماكن للتججير في الجانب الغربى تصلح على الأقل لقطع الكتل لبناء أى من الهرمين الكبيرين) ، وأن الحجر الجيرى بالتلال الغربى يختلف عن ذلك الذى استخدم في بناء الأهرامات ، وهو يشبه في صفاته الحجر الذى يستخرج عادة من محاجر الضفة الشرقية .

ومن وجهة أخرى فان « لوكاس » يذكر في كتابه (المواد المصرية القديمة - ص ١٢) أن الحجر المستعمل في بناء نواة الهرم يشبه في صفاته حجر الهضبة المقام عليها الأهرامات ، وأن بعض الفجوات القريبة من الموقع تحدد مواضع المحاجر التى استخرج منها الحجر .

وعلى الرغم من أنها الآن مطمورة جزئيا في الرمال ، فانه ليس من السهل التعرف عليها ، ولكن الموضوع لا يستحق كل هذا النقاش ، اذ أن الحقيقة الثابتة هي أن الهرم قائم هناك ، وأنه بنى من الحجر الجيرى . وقد استخدم الجرانيت أيضا في تكسية حجرة الملك (انظر الرسم) وفي السدات والكتلة المتحركة التى تحمى المدخل .

ولكن البناء المصرى هنا ، كما في أى مكان آخر ، كان يقتصر في استعمال الأحجار الصلبة ، وكان يقتصر في استخدامها على أغراض الزينة في المواضع الأكثر تقديسا أو على أغراض الدفاع في الجزء الأكثر تعرضا للهجوم .

وخارج النواة التى نراها الآن كانت توجد تكسية من الحجر الجيرى الأملس ، كان يكسب البناء جميعه سطحه أبيض براقا من حجر مصقول ذى جوانب مستقيمة ، وكان المدخل الذى يقع عادة في الجانب الشمالى يحجب بدقة حتى لا يصل إليه اللصوص .

ولم يكن هذا الا نوعا من الاحتياط ثبت فشله ، كما دلت على ذلك النتائج . والمسألة التى تعيننا هى : هل كانت هناك كتابات على هذا السطح الكبير الذى يفرى الفرعون أو المهندس فى عصر تال بتسجيل أعماله العظيمة أو مناقبه عليه ؟ .

يذكر هيرودوت - الذى وصف الهرم وصفا يجمع بين البهجة والنفاسة - أنه قد كانت عليه كتابات ، وأن المرشد قرأها عليه . ولكن الترجمة التى أملاها ذلك المرشد تدل على أنه لا يعرف أكثر مما يعرفه المرشد الحديث عن العلامات التى يثرثر مترجما لها .

يقول هيرودوت : « على الهرم يرى نقش كتب بحروف مصرية تسجل مقدار ما صرف من كميات الفجل والبصل والثوم للعمال . ويزيد ثمن هذه الكميات عن ١٦٠٠ وزنة من الفضة » كما قال لى المرشد الذى قرأ النقش .

ونظرا لاستحالة تصديق هذا النقش فالأفضل ألا نعول عليه كثيرا - ويحتمل أن الكتابات التى رآها هيرودوت ومرشده الأمين ليست الا لونا من تخطيطات كتبها البعض فى العصور القديمة .

وهؤلاء لم يكونوا أقل تحمسا من خلفائهم فى تسجيل أسمائهم غير المعروفة وملاحظاتهم على آثار الماضي العظيمة ، على الرغم من أننا الآن قد اتفقنا على تسمية مثل هذه الكتابات « جرافيتى » أى (النقوش الصخرية) .

وهناك موضوع آخر كثر فيه الحديث دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، وهو : هل صمم الهرم الأكبر أو أى هرم آخر منذ البداية على المقياس الذى انتهى اليه ؟ أو انه بدأ على مقياس صغير ثم أضيفت اليه اضافات بعد ذلك حتى وصل أخيرا الى عظيمته النهائية ؟

ونظرية الاضافة التدريجية التى قال بها عالم الآثار المصرية الألمانى « ليسبوس » تتلخص فى أن الملك عند توليته العرش يبدأ ببناء هرمه

على نطاق صغير نسبيا ، فاذا كانت مدة حكمه قصيرة تكون لديه مقبرة مكتملة معدة لدفنه .

وكلما طالت مدة حكمه استمر في تكبير حجم البناء باضافة تكسيات خارجية من الحجر حتى يشعر بأنه قد قارب النهاية ، واذا توفى قبل الانتهاء من العمل فان خلفه يكمل الكساء ، وبذلك يكون الهرم دليلا على مدى طول مدة حكم صاحبه .

وقد ظلت هذه النظرية سائدة مدة طويلة ، وقد أيدت النسبة بين حكم « خوفو » الطويل الذي كان يظن أنه دام ستين عاما (١) وضخامة هرمه النظرية التي قال بها « لبسيوس » .

وفي عام ١٨٨١ عارض « بترى » هذه النظرية ، مستندا الى أبحاثه بأن الهرم والأهرامات عموما قد صممت منذ البداية بنفس الحجم الذي بنيت عليه تقريبا ، وإن ماحدث من تغيرات مستقبلية أو توسيع ليس بنى أهمية كبيرة . وهو يؤكد أن تصميم الممرات الداخلية للهرم الأكبر لا يمكن أن يكون لبناء يقل عن ثلثي حجمه الحالي .

ومنذ معارضة « بترى » للنظرية القديمة تناول الموضوع عالم الآثار المصرية الألماني « بورخارد » الذي أعلن أن نظرية « لبسيوس » صحيحة في أساسها - ولكنها تحتاج الى تعديلات طفيفة لتلائم الواقع .

وأصبح من المألوف أن يقال ان « بورخارد » قد أقام الدليل القاطع على صحة نظرية « لبسيوس » - وقد كان هذا الدليل مقنعا ولاشك للذين سبق لهم الاقتناع بالنظرية ، اذ لو كانت هناك أية علاقة بين طول مدة حكم الفرعون وحجم الهرم فكيف يصح ذلك بالنسبة « لخوفو » الذي حكم ثلاثة وعشرين عاما ، وبنى الهرم الأكبر .

في حين أن « خفرع » الذي حكم ستة وخمسين عاما بنى الهرم الثانى

(١) حكم خوفو أقل من نصف هذه المدة .

«لذي يقل عنه حجما ؟ أما « منكاورع » الذي حكم مدة تعادل مدة حكم « خوفو » فقد بنى الهرم الثالث الذي يتضاءل أمام الهرمين (من ناحية الحجم) .

وإذا ذهبنا الى أبعد من الأسرة الرابعة فلماذا نجد هرم بيبي الثاني الذي حكم مدة طويلة لا تقل عن ٧٥ عاما هو كومة صغيرة من الدبش غير جدير - بغض النظر عما قد يكون له من أهمية أخرى - بمقارنته بهرم ملك حكم أقل من ثلث تلك المدة ؟

ان ذكر مثل هذه الحقائق يظهر لنا أن طول مدة الحكم لا دخل لها من قريب أو من بعيد بموضوع ضخامة البناء ، ولكن البواعث الفعلية التي تحدد حجم الهرم لأى فرعون هى طموحه وسيطرته على موارد مملكته . وقد بنى الهرم الأكبر « خوفو » فى مدة حكمه القصيرة بطموحه وسيطرته الكاملة على ناصية الحكم . وقد أقام « بيبي الثانى » - رغم طول مدة حكمه - كومة من الدبش المغطى بأحجار منحوتة ، لأنه لم يكن مسيطرا على موارد الدولة .

وقد دارت مناقشات طويلة لم تصل بعد الى رأى حاسم حول الحقيقة القائلة بأن « خوفو » عندما صمم هرمه كان أمامه نموذجا لم يرض أن يهبط الى مستوى أقل منه .

فقد بنى والده « سنفرو » فى دهشور أحد هرميه ويبلغ طول كل ضلع من ضلوعه ٧٢٠ قدما أى بزيادة ١٣ قدما عن طول كل جانب من جوانب الهرم الثانى .

وهل يصدق أى شخص أن « خوفو » الذى كان أقوى فراعنة الدولة القديمة يقنع بأى حال بهرم أصغر من هرم والده ؟ لقد فاق جهده جهد والده الجبار ، ووصل بعمله هذا الى الذروة .

وقد وجد خلفه أنه يستحيل عليه أن يحافظ على هذا المستوى فعوض هذا النقص ببناء الهرم الثانى فى مكان عال لكى يظهره كأنه أعلى من جاره

الكبير ، ولم يكن لدى « منكاورع » الوسائل أو السيطرة التي تمكنه من منافسة الفرعونين العظمين .

وتبعاً لذلك فإن هرمه على الرغم من تسميته بالهرم الثالث يعتبر تاسع الأهرامات حجماً في حقيقة الأمر ، وذلك على الرغم من محاولة التعويض عن صغر حجمه بتكسيته بالجرائيت بدلا من الحجر الجيري إلى ارتفاع ١٦ ممما كا .

ويمكن فهم الممرات الداخلية وحجرات الهرم من الرسم الموضح :
فالمدخل - كالعادة - في الجانب الشمالي على ارتفاع حوالى ٥٠ قدماً عن الأرض ، ومنه ينحدر ممر مستقيم طويل (١) بأبعاد ٣ أقدام و ١١ بوصة × ثلاث أقدام و ٤ بوصات وبزاوية ٢٦ر٤١ للمسافة ١٠٦/٢ ياردات .

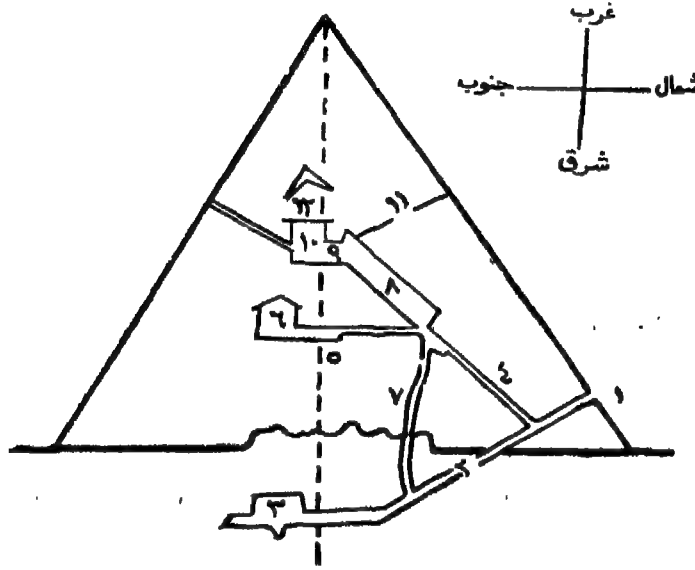
والمدخل الأعلى لا يستعمل الآن ، وإنما يستعمل ممر آخر أحدثه العرب ، وهذا الممر يقع قليلاً إلى أسفل المدخل الحقيقي ، ويمكن الوصول إلى الحجرية السفلية (٢) عن طريق الممر الهابط ، ولكن ذلك ليس بالأمر السهل .

وبالدخول من الممر الذى أحدثه العرب نلتقى بالممر الأصلي بالقرب من النقطة التى يتفرع منها ممر صاعد (٤) وقد ملئ طرفه السفلى بكتل ضخمة من الجرائيت ، ولذلك اضطر لصوص المقابر أن يتفادوا الطريق المستقيم ، وأن يحدثوا طريقاً في الحجر الجيري الناعم .

وباستعمال الممر الذى أحدثوه يمكن الوصول إلى الجزء العلوى من هذا الممر الذى يفضى بعد ٤١ ياردة إلى مدخل الدهليز .

وهنا يوجد ممر أفقى (٥) يؤدي إلى الحجرية التى تسمى خطأ « حجرة الملكة » و يبلغ ارتفاع الممر في بدايته ثلاث أقدام وتسع بوصات فقط ، ولكن ذلك الارتفاع يزداد بعد ذلك فيصبح خمس أقدام وثمانى بوصات .

وأبعاد حجرة الملكة (٦) ٨١×١٧ قدما و ١٠ بوصات ، بارتفاع يزيد على عشرين قدما حتى قمة السقف . ويتكون السقف من كتل ضخمة من الحجر تتداخل أطرافها في المباني المحيطة .



(شكل رقم ٥٦)
قطاع في سراديب الهرم الأكبر

- | | |
|-------------------------------|----------------------|
| (١) ممر الدخول الأصلي | (٢) الممر السفلى |
| (٣) الغرفة تحت الأرض (الثقرة) | (٤) الممر الصاعد |
| (٥) السرداب الأفقى | (٦) غرفة الملكة |
| (٧) البئر العمودية | (٨) البهو الأعظم |
| (٩) الردهة | (١٠) غرفة الملك |
| (١١) قنوات التهوية | (١٢) غرف تخفيف الثقل |

— ٢٤٥ —

وبعد ذلك ندخل الى الدهليز الكبير (٨) وهو بارتفاع ٢٨ قدما وطول ١٥٥ قدما ويتوسطه ممر ضيق بعرض ٣ أقدام و ٤ بوصات ، وعلى كل من جانبي الممر منحدر من الحجر بارتفاع قدمين وسمك قدم ٨ بوصات . وبذلك يكون عرض الدهليز فوق المنحدر ٦ أقدام و ٨ بوصات .

والسقف على شكل كابولي، بحيث نجد أن كل ممناك يبرز الى الخارج عن الممناك الواقع تحته ، وبذلك أمكن سد الفراغ في النهاية بكتلة واحدة . وقد كسي الدهليز جميعه بقطع من الحجر الجيرى الناعم المقطوع من جبل المقطم .

والناحية المعمارية هنا رائعة جدا ، وقد أصبح من المعتاد أن يذكر منذ أيام المؤرخ « عبد اللطيف » أنه لا يمكن ادخال ابرة أو حتى شعرة بين فواصل الأحجار ، على الرغم من أن التجربة التي خرج بها المؤرخ العربى الكبير أو أى شخص آخر لا يمكن الأخذ بها بسهولة .

وأبعاد حجرة الملك (١٠) التى يفضي اليها الدهليز ١٧×٣٤ر٥×١٩ قدما ، وهى مكسوة كلها بالجرانيت ، كما أنها مسقوفة بتسع قطع كبيرة الحجم من نفس المادة . وفوق هذه القطع الكبيرة للسقف توجد خمس حجرات لتخفيف الضغط (١٢) صممت لكى تتحمل جزءا من الثقل الواقع فوق حجرة الدفن .

والمعروف أن هذه الحتياطات لا داعى لها ، اذ أن سقف الفراغ الأعلى المخصص للتخفيف كفى فى حد ذاته بمنع انهيار سقف حجرة الملك .

غير انه حدث فعلا أن تشققت بعض دعائم الأسقف فى هذه الفراغات أو فصلت جزئيا عن الحائط فى الجانب القبلى — ويرجح أن هذا قد حدث بسبب زلزال وليس نتيجة للضغط الطبيعى .

وقد يكون من المعقول أن يدخل مهندس « خوفو » — الذى عاش طوال حياته فى مصر — فى اعتباره امكان حدوث زلزال عندما قام بمثل

- ٢٤٦ -

هذا الاحتياط ، وإذا اعتبرنا هذه التشققات مقياسا ، فإنه في هذه الحالة لم يعمل شيئا كبيرا .

ومن الغريب هنا أن حجرة الملك ليست - كما هو متوقع - في وسط البناء أسفل قمة الهرم ، ولكنها على العكس تبعد ١٦ قدما و ٤ بوصات إلى الجنوب من المركز .

وإنه لمن الصعب أن نصدق أن مثل هذه الغلطة الكبيرة مجرد خطأ عابر - فحجرة الملك بأكملها - التي تعد في نظر الباحثين أكثر أجزاء الهرم دقة - يجب أن تبعد عن ذلك كل البعد .

ومن الغريب أن البنائين الذين صمموا مربعا طول ضلعه يزيد على ٢٢٠ ياردة بدقة مذهلة ، قد وقعوا في غلطات لا يمكن تعليلها في تسوية قلب المبنى الضخم . (وكان يمكنهم أن يقوموا بذلك في صورة أحسن ، لو أنهم نظروا فقط إلى الأفق) .

ونجد نفس هذا الإهمال الغريب في التابوت الجرانيتي الكبير بالحجرة ، فهو رديء الصنعة على عكس تابوت الهرم الثاني وتابوت الهرم الثالث المفقود ، وذلك بالحكم عليه من الرسوم الباقية - ويظهر على السطح الخارجي لتابوت « خوفو » بوضوح حزات القطع التي تركها المنشار النحاسي عند قطع الحجر .

ولا تزال ترى مواضع المنشار في أثناء القطع وفي أثناء سحبة مرة أخرى - ومع ذلك فقد كان التابوت أهم قطعة في البناء كله ، وعليه فكيف نعلل مثل هذا الإهمال في أهم جزء مقدس في العمل كله ؟

ويبلغ طول التابوت من الخارج ٧ أقدام و ٣ بوصات ونصف، بعرض ٣ أقدام و ٣ بوصات ، وارتفاع ٣ أقدام و ٥ بوصات . ومن الغريب أن نلاحظ أن عرض التابوت يزيد بوصة واحدة عن عرض الممر المساعد عند بدايته .

وبناء على ذلك لابد أن التابوت قد وضع في مكانه قبل تسقيف حجرة الملك ، أما الفطياء فقد دمر في إحدى المرات العديدة التى انتهك فيها الهرم .

وليس هناك ما يدعو لأن نذكر انه لا توجد أية بقايا لجثة ذلك الفرعون الذى أقام هذا الصرح الشامخ من الحجر ، ليكون «مثواه الأزل» ، وقد أشار سير « فلندرز بترى » الى أن جملة سير « توماس براون » (أن فكرة التخليد بواسطة الأهرامات غير مجدية ، قد كذبتها الحقيقة الثابتة وهى أن « خوفو » قد استطاع بمقبرته الضخمة أن يخلد اسمه أكثر من أى ملك شرقى آخر) .

ولكن بينما قد يكون ذلك صحيحا ، فإن الحقيقة باقية ، وهى أن الغرض الذى من أجله بنى الهرم قد انتفى تماما ، وانه على الرغم من الاحتياطات التى اتخذها ، فإنه « لم يبق حفنة واحدة من تراب خوفو » .

وقد فتح الهرم الأكبر فى أوقات مختلفة خلال تاريخه الطويل ، ويحتمل أن أول انتهاك تعرض له كان خلال فترة الاضمحلات التى تليت انهيار الدولة القديمة ، وربما يكون قبل ذلك .

وفى العصر الرومانى كان المدخل معروفا ، ويتضح ذلك من وصف « سترابو » له ولطريقة إغلاقه - وفى أوائل القرن التاسع الميلادى قام الخليفة المأمون الذى أغرته القصص العجيبة عن الذهب والجواهر المخبأة داخل الهرم باحداث مدخل يعرف (بفتحة المأمون) .

وقد كلفه ذلك مالا كثيرا ، ولكنه لم يجد غير تابوت فارغ بدون غطاء ، وفى نهاية القرن الثامن عشر أصبح من التقاليد أن يضع الزائر فى برنامج رحلته زيارة الأهرامات ، فيبدونها لا يعتبر الرجل العصرى كامل الثقافة .

وقد يكون ذلك راجعا الى نشر مذكرات « بوكوك » الذى زار الأهرامات عام ١٧٤٣ ، ووضع رسوما ومقاييس تبين أنه شاهد فعلا كل ما يمكن رؤيته داخل الهرم الأكبر .

وهذه الزيارات لم تسفر عن شيء سوى تخليد ذكرى « لورد شارلون » في العبارة التي ذكرها « جونز » عنه ، من أنه لم يعد من رحلاته بشيء سوى قصة عن ثعبان كبير في أحد أهرامات مصر .

وفي عام ١٨١٧ قام « كافجيا » بعمل كبير داخل الهرم وحوله ، غير أن الكولونيل « فيس » وجد أن المأمة بمهمته كان قليلا ، وأن طريقته في العمل كانت قاصرة .

وقد قام الكولونيل (أصبح فيما بعد جنرالاً) « فيس » مع السي « برنج » بأول سلسلة من الأبحاث والمقاييس التي يمكن أن يوثق بها ، ولا تزال تحتفظ بأهميتها .

وفي عام ١٨٨١ مسح السير « فلندرز بترى » مجموعة أهرامات الجيزة كلها ، ووصل إلى نتائج هامة جدا ، ليس فقط من ناحية حقائق المقاسات ، بل من ناحية أساليب العمل والأدوات التي استخدمها البنائون القدماء .

وقد قام الدكتور « ريزنر » على رأس بعثة « هارفرد — بوسطن الأمريكية » بأجراء أبحاث حول الهرم الأكبر ، سوف نشرها فيما بعد .

ويبقى أمامنا بعد ذلك التساؤل عن كيفية بناء الهرم الأكبر ، وما إذا كان المهندسون والبنائون المصريون قد استخدموا في تشييده وسائل ميكانيكية ضاع سرها وهو فرض عجيب كثيرا ما يردد .

وأول بيان عن هذا الموضوع — ولا يزال من أحسن البيانات — هو البيان الذي جاء على لسان « هيرودوت » الذي سبقت الإشارة إلى بيانه عن النقوش على الأهرام ، ويخبرنا « هيرودوت » باختصار بأن ١٠٠٠٠ عامل كانوا يعملون ، وقد قاموا أولا بتمهيد طريق لنقل الأحجار من شاطئ النيل إلى الهضبة . وبلغ طول الطريق ١٠١٧ ياردة ، بعرض ٦٠ قدما وارتفاع ٤٨ قدما .

وقد استغرق بناؤه عشر سنوات — وقد ذكر أن بناء الهرم نفسه استغرق عشرين سنة (عشر منها غالبا معاصرة لاقامة الطريق) .

وكانت الأحجار ترفع من درجة الى درجة في البناء بوساطة ما أسماه آلات مصنوعة من قضبان قصيرة ، يبدو أنها كانت نوعا من الروافع وقد تمت قمة الهرم أولا ، وذكر أيضا أن هؤلاء العمال كانوا يعملون لمدة ثلاثة أشهر سنويا .

ويرى بعض الدارسين المحدثين أن عدد العمال الذين عملوا في هذا المشروع كاف للقيام بالعمل على وجه طيب في مدى العشرين عاما ولمدة ثلاثة أشهر سنويا ، كما قال « هيرودوت » ، ولكن هذا الرأي كان موضع معارضة من آخرين ، وبخاصة السيد « أنجلباك » .

وقد اشار « بترى » بأن العمل يمكن أن يجرى فقط في الشهور التي تغطى فيها مياه الفيضان الأرض وتصبح الزراعة معطلة ، وبهذا الوصف لنظام العمل ، أضيف تعقيد جديد فيما يتعلق بسمعة «خوفو» السيئة .

وقد كان « هيرودوت » أول من أشاع السمعة الخاطئة عن « خوفو » بأنه حاكم مستبد ، أغلق كل المعابد في أنحاء البلاد ، وسخر الشعب كله للعمل في مقبرته الضخمة .

ومن حسن الحظ أنه هو نفسه الذى قدم الأدلة لدحض اتهاماته ، عندما ذكر أن العمال كانوا يعملون فقط ثلاثة أشهر سنويا .

والآن قد تبدل رأى عن سلوك « خوفو » بعد ربط ما ذكره «هيرودوت» بحقيقة الفيضان ، وأصبح الفرعون القوى ، ينادى به كرائد لأول مشروع خسد البطالة ويبدو أيضا انه أحد المشاريع الكبيرة .

ولكن هؤلاء المفكرين لم يقدرُوا أو لم يستطيعوا تقدير ما استنفذ من كميات النحاس في صقل الكتل الحجرية ، وما استورد من أخشاب الروافع والزحافات ، وما يتطلبه ذلك من استخدام كل وسائل النقل البحرى في البلاد في عمل غير مجد تماما .

ولعل ما كان يدور بخلد « خوفو » بهذا الشأن أمر آخر ، ولعله لم

يكن مستبدا أو مصلحا اجتماعيا ، بل مجرد حاكم اعتقد أنه يستطيع أن يكون لديه فرصة أفضل في العالم الآخر اذا حفظ جسمه سليما فى هذا الهرم ، فبذل كل ما لديه من امكانيات ليضمن هذه النهاية المرغوبة .

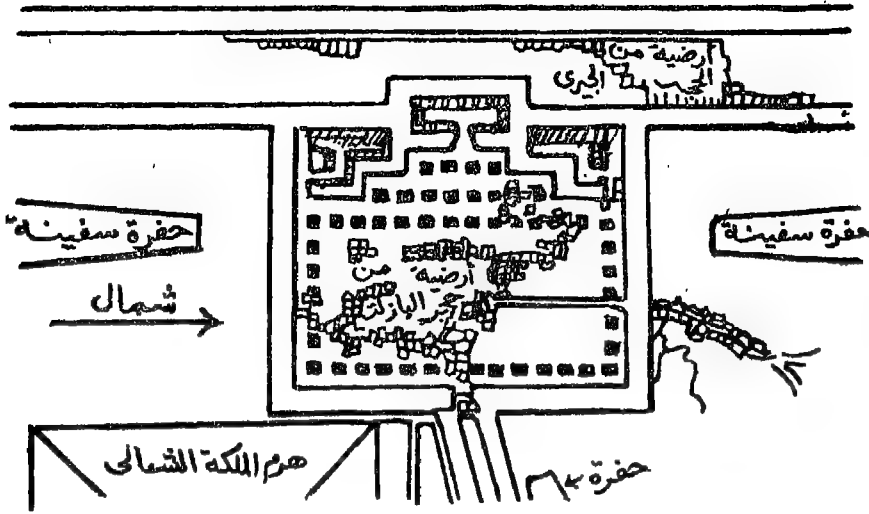
أما فيما يختص بالوسائل والأدوات فإنه يكفى القول بأنه لا يوجد أى دليل فى الهرم أو فى أى مكان آخر فى مصر على أن قدماء المصريين استخدموا فى أى عصر من عصور تاريخهم أية أجهزة ميكانيكية عدا الرافعة والبكرة والمنحدر المائل .

أما الحيل المختلفة التى تنسب اليهم والتى رسم لها مسقط أفقى ورأسي فلم توجد قط الا فى مخيلة هؤلاء الذين رسموها ، ولن تكون لها أية فائدة اذا فرض وجودها لديهم .

ومن ناحية أخرى عثر « بترى » على ما يدل على استعمال المناشير النحاسية الطويلة التى يبلغ طولها تسع أقدام على الأقل ، وكانت تستخدم فى قطع الكتل الحجرية الكبيرة ، وكذا استعمال المشاقب الأنبوبية الشكل التى كانت تستخدم فى تفريغ الكتل الحجرية كالكتلة الجرانيتية التى صنع منها تابوت « خوفو » .

وقد يكون مما يعزى هؤلاء الذين خاب أملهم فى قصور المصريين على أن يقدموا معجزات علم الهندسة الحديث أن يعلموا أنه على الرغم من أنهم لم يكونوا يجيدون استعمال مناشيرهم ومثاقبهم ، كما رأينا سابقا ، فإن استعمالهم لها كان حسنا بوجه عام . (والحق يقال ان الثقوب الحديثة لا تدانى تلك التى قام بثقبها المصريون القدماء ، واذا قورنت بما عمل قديما تبدو مكشوفة وغير منتظمة) .

والى الجانب الشرقى للهرم يقع المعبد الجنائزى الذى كان جزءا مكملا للهرم ، ففيه كانت تقدم القرابين لصاحب المقبرة الكبيرة ، ولم يبق شيء من هذا المعبد سوى بعض قطع أساسات من حجر البازلت .



(شكل رقم ٥٧)

رسم تخطيطي للمعبد الجنائزى للهرم الأكبر

ومن هذا المعبد يمتد طريق طويل الى معبد الوادى ، الذى يقع على حافة الأرض التى كان يغطيها الفيضان سنويا وبعض أجزاء هذا الطريق - الذى كان يستعمل فى نقل كتل الحجر من الضفة الشرقية قبل أن يستخدم للغرض المقدس - لاتزال ظاهرة ، أما معبد الوادى فقد اختفى كلية .

والى الشرق نرى ثلاثة أهرامات صغيرة ، قد دمرت أجزاء منها ، وهى تخص أفرادا من أسرة « خوفو » . ويروى « هيرودوت » (الجزء الثانى - ١٢٦) رواية فاضحة عن ابنه « خوفو » ، وصلتها بالهرم الأوسط من الأهرامات الثلاثة .

ولما كان ما رواه مجرد رواية سائح غير معقولة اطلاقا ، فلا داعى لأن نشغل أنفسنا بها . ولاشك أن الترجمان الذى قصها عليه هو نفسه الذى ترجم له الجرافيتى الموجود على الهرم الأكبر والخاص بالفجل والبصل .

وينذكر نقش بالمتحف المصرى أن الهرم الجنوبي من هذه الأهرامات بناه الملك لأميده لقبته فى النقش بلقب ابنة الملك « حنوتسن » . وهذه الأميرة قد تكون ابنة الملك أو زوجته (ربما تكون ابنته وزوجته فى آن واحد) . وهذا النقش حسب قول بريستد يرجع الى عصر متأخر ، ويبدو أنه من أعمال التزييف فى الأسرة الحادية والعشرين أو الأسرة السادسة والعشرين . وهو نوع من التزييف اشتهر به الكهنة فى كل العصور ، وهو تزييف قصد به القاء لون من التبجيل على معبد « ايزيس » الصغير الذى بنى بجانب الهرم فى أيام الأسرة الحادية والعشرين ، وجدد فى عهد الأسرة السادسة والعشرين .

والى الشرق من هرم « حنوتسن » توجد بقايا معبد « ايزيس » الصغير ، وهى ليست بذات أهمية خاصة - وبين الأهرامات الصغيرة والهرم الأكبر ثلاث فجوات كانت مخصصة لتضم مراكب الشمس المبنية باللبن ، والتى كان يظن أن المتوفى يقوم فيها برحلة مع اله الشمس فى العالم السفلى على طول النيل السماوى .

وبين الهرمين الشمالى والمتوسط من الأهرامات الثلاثة تقع حفرة كبيرة لمركب الشمس يبلغ طولها ٦٦ قدما ، ويحتمل أنها خاصة بالملكة « حنوت حرس » صاحبة المقبرة المجاورة (١) .

(١) فى منتصف عام ١٩٥٤ حدث كشف هام يعتبر من أمتع الاكتشافات التى حدثت فى هذه المنطقة ، وذلك عندما كانت مصلحة الآثار تقوم بتمهيد بعض الأراضى الواقعة قبلى الهرم الأكبر لتيسير مرور السواح فى هذه المنطقة ، اذ وجدت مجموعتين من الكتل الحجرية الضخمة مرصوفة على الأرضية تحت سور ردىء البناء .

وباستحداث فتحة فى أحد الأحجار الموجودة فى المجموعة الشرقية رأى أن هذه المجموعة تكون سقفا لحفرة متسعة ملاءى بالأخشاب . وقد اتضح أن هذه الأخشاب تكون مركبا ضخما من عهد الملك خوفو ، من الجائز أن

وفي عام ١٩٢٥ أثناء أعمال الحفر التي كان يقوم بها الدكتور «ج. أ. ريزنر» لحساب بعثة « هارفارد - بوسطن » ، كشف بين الهرم الشمالى وطريق هرم « خوفو » عن بئر للدفن ، يزيد عمقه عن ٩٠ قدما ، يخص الملكة « حنوب حرس » .

وقد بدت المقبرة سليمة حتى وصل الى حجرة الدفن ، ولكنه عندما فتح التابوت المرمى فى عام ١٩٢٧ وجده فارغا ، وهو الآن مع الأثاث الجنائزى للملكة بالمتحف المصرى ، وقد أشرنا الى ذلك سلفا .

والى الغرب من الهرم الأكبر تقع جبانة خاصة بالأسرة الرابعة ، وهذم الجبانة كانت فى الأصل مخططة على نسق منظم تتخللها طرق متقاطعة من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب .

وبذلك يكون أفراد العائلة المالكة والشخصيات المقربة على مقربة من حاكمهم فى الآخرة ، كما كانوا مقربين منه فى الحياة الدنيا . وفكرة دفن فرعون فى أبهة فى هرمه وبجانبه رجال حاشيته هى بلاشك من مخلفات التقاليد الوحشية القديمة التى كانت متفشية فى مصر وبلاد ما بين النهرين حيث كان عدد من النساء المقربات للملك ورجال البلاط يذبحون عند مقبرته ويدفنون اما بداخلها أو بجانبها (١) .

وقد أفسد تنسيق صفوف المصاطب بعد ذلك بتداخل مبان أخرى

=

ابنه « ددفرع » قد أكمله . والمركب يبلغ حوالى ٤٢ مترا فى طوله وثمانية أمتار فى عرضه ، وكانت عليه قمرات تبلغ مع المركب حوالى ثمانية أمتار فى الارتفاع .

وسوف يعاد تركيب أجزاء المركب التى وجدت فى الحفرة فى الجهة البحرية من الهرم فى مبنى خاص ، كى يستطيع زوار المنطقة زيارة هذا الأثر الهام ، الذى يرجع الى أكثر من أربعة آلاف وستمائة سنة والمحتفظ بشكله رغم انه مصنوع من الخشب .

(١) هذا شيء نادر جدا فيما يتعلق بمصر .

لذات النوع من عصر الأسرتين الخامسة والسادسة ، ومع ذلك فمنظر الجبانة الشاسعة لا يزال مهيبا جليلا ، ويمكن مشاهدة تخطيط هذه الجبانة ، والجبانة الصغيرة الأخرى الواقعة الى الشرق من الهرم بوضوح من أعلى الهرم أو من الجو (انظر شكل رقم ١) .

وحفائر البعثات الألمانية النمساوية والأمريكية مازالت تجرى منذ زمن طويل في كل من الجبانتين الغربية والشرقية ، ومع أنها تضايق الزوار فقد أسفوت عن نتائج هامة لعل أهمها كشف مقبرة « حتب حرس » (١) .

وقد أسفر تنظيف الجبانة الشرقية عن كشف خمسة صفوف من المضاطب . وتقيم عند الطرف الشمالى من كل صف مقبرة مزدوجة ، خصصت في كل مرة لزوج وزوجته ، فالزوج خصص له النصف الشمالى ، والزوجة خصص لها النصف الجنوبى من المقبرة .

وهذا النوع من المقابر مخصص اما لأمر من البيت المالك وزوجته ، أو لأميرة وزوجها . وفي حالة واحدة أزال خصم عنيد اسم الأمير صاحب المقبرة ، وصوره والنصوص الخاصة بالقرايين ، حتى يقاس قرين (كا) الأمير الجوع والعطش في الحياة الأخرى ، وهو تصرف كان مألوفاً في مصر القديمة .

وربما تكون المقبرتان المخصصتان لموظفين من الأسرة السادسة أهم المقابر في هذا الجانب ، وترجع أهمية الموظفين الى أن احدهما كان يحمل القاب ووظائف محافظ مدينة « هرم خوفو » ورئيس الكهنة المطهرين « لخفرع » .

والثانى لقب محافظ مدينة هرم « منكاورع » ، مضافة الى وظائفهم

(١) تقوم جامعة القاهرة منذ حوالى خمس وعشرين سنة بالحفر في المنطقتين الواقعتين قبلى وغربى الهرم الأكبر ، وقد أسفرت الحفائر عن العثور على مقابر لها أهميتها ، كما عثر على هرم أو على الأصح على مصطبة الملكة « خنت كاوس » .

المعاصرة : « رئيس حراس هرم بيبي » ، الفرعون الذى عاش فى زمنه ،
« وكاتب خطابات الملك فى حضرته » أى السكرتير الخاص للفرعون .

وحجرات القرايين الخاصة بهذين الموظفين الكبارين كانت فى كل حالة
تحت الأرض ، فمقبرة الوالد « كار » ذات تصميم رائع ، ومزينة بتمائيله مع
أسرته أما مقبرة ابنه « أدو » ففيها باب وهمى غريب فى حجرة القرايين .

وعلى هذا الباب ، لا يقتصر المتوفى على معاينة القرايين فقط ، كما هى
العادة ، بل أنه يمثل كأنه يمد يديه لتناولها ، بينما ترسم على ملامحه
الساذجة المهشمة ابتسامة عريضة .

ومصطبة الملكة « حتب حرس » الثانية حفيدة « حتب حرس » الأولى ،
التي يحتمل أنها زوجة الملك « دد فرع » تقع على مسافة غير بعيدة من مقبرة
الملكة الجدة .

وعند الطرف الشمالى من هذه المصطبة تقع المقبرة المنحوتة فى الصخر
للكلقة « مرس عنخ » ابنة « حتب حرس » الثانية التى يحتمل أنها زوجة
« خفرع » وهى تحتوى على مجموعة من التماثيل الرائعة المنحوتة فى الصخر ،
تمثل « حتب حرس » و « مرس عنخ » وبنات الملكة الأخيرة .

والرسوم المثلثة على الجدران زاهية الألوان ، وتشهد بان الملكة
« حتب حرس » كانت شقراء الشعر اما بالطبيعة أو بالصناعة ، وقد نهبت
المقبرة كما هى العادة ووجد تابوت « مرس عنخ » فارغا .

الهرم الثانى « ور - خفرع »

والآن نتجه الى الهرم الثانى وليس هناك من داع لاطالة الحديث عنه
مثلما أطلنا عن الهرم الأكبر ، رغم أنه كان يمكن أن يكون من عجائب الدنيا
لو لم يوجد الهرم الأكبر . واسم هذا الهرم « ور - خفرع » أى « خفرع
عظيم » .

ومقاسات قاعدته أقل من مقاسات هرم « سنفرو » ، ولكنه أكثر منه
ارتفاعا ، فطول كل جانب من جوانبه الآن ٦٩٠ قدما وست بوصات
بارتفاع يبلغ ٤٤٧٥ قدما .

ولكن مقاساته الأصلية كانت ٧.٧ أقدام لكل جانب من جوانبه ،
بارتفاع ٤٧١ قدما . وزاوية انحدار جوانبه ، ٥٢.٢٠ ، وهو بذلك أكثر
انحدارا من جاره الكبير .

وهذا يعلل الواقع ، وهو أنه على الرغم من أن مقاس قاعدة الهرم كان
في الأصل أقل بحوالى ٥ قدما من قاعدة هرم خوفو ، فإن ارتفاعه
العمودى أقل بعشرة أقدام فقط .

وقد غطى موقعه المرتفع قليلا عن الهضبة فرق القدمين والنصف
وهو كل ما بقى الآن من العشرة أقدام التى تمثل الفرق الأصلى بين
الارتفاعين ، وبذلك يبدو هرم « خفرع » فعلا للعين أكثر ارتفاعا .

وقد أجرى تسطيط صناعى على نطاق واسع قبل أن يعد الموقع
للبناء عليه ، فقد شق قطع عميق فى الجانب الشمالى الغربى ، وآخر أقل
عمقا فى الجانب الشمالى ، بينما أكمل الصخر الطبيعى فى الجانب
الشمالى الشرقى بمداميك من الكتل الضخمة التى ذكر « بترى » أنها
مقطوعة محليا ، وليست من جبل المقطم .

هذا ، ويحتمل أنه أضيفت كتل حجرية أخرى فى الجانب الجنوبى
الشرقى . والكتل المضافة فى كلتا الحالتين جلبت من المنطقتين السالفتي
الذكر ، والمعبدين الجنائزى للهرم يقع الى الشرق .

وقد سبق أن تعرف عليه « بلزوني » حوالى سنة ١٨١٨ ، ومن
الموضح أنه كان أكثر حفظا مما هو عليه الآن . وقد كشف فى السنين
الأخيرة ، ويمكن تتبع تخطيط فناءه الخارجى وهيكله بسهولة .

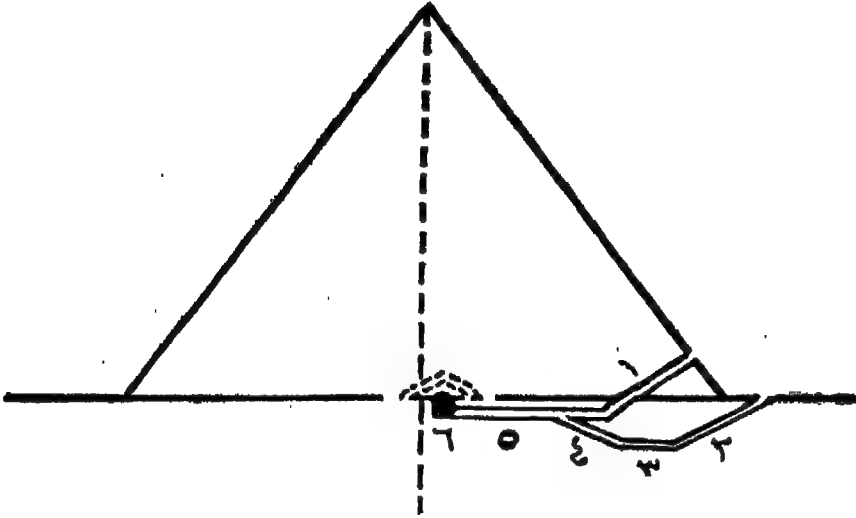
وكما رأينا فى الحالات الأخرى يوجد طريق يتجه شرقا من المعبد
الجنائزى الى حافة الأرض التى كان يغمرها الفيضان حيث يقع معبد الوادى .
ومن حسن الحظ أن هذا المعبد لا يزال قائما ، ويطلق عليه اسم معبد
« أبو الهول » ويحيط بالهرم سور ضخيم لاتزال بقاياها ظاهرة فى الجوانب
الشمالية والغربية والجنوبية .

وبداخل هذا السور وبالجانب الجنوبى من الهرم كان يوجد هرم

صغير لاتزال بعض أحجاره باقية حتى الآن ، وربما كان ذلك الهرم لاحدى زوجات « خفرع » .

والتخطيط الداخلى لممرات وحجرة الدفن الخاصة بهذا الهرم أبسط من مثيله فى الهرم الأكبر . ومهما كان السبب فانه يوجد به ممران ٢ كلاهما كالمعتاد فى الجانب الشمالى (انظر الرسم) .

والمدخل السفلى (٢) يبدأ تحت الأرض خارج بناء الهرم ، ويهبط الى قطع أفقى (٣) ، على الجانب الغربى منه حجرة الدفن المنحوتة فى الصخر ، ويبدو أنها لم تستخدم قط ، وفى نهاية القطع الأفقى يرتفع الممر ثانية (٤) .



(شكل رقم ٥٨)

قطاع فى سراديب الهرم الثانى للملك خفرع

(١) ممر الدخول العلوى (٤) الممر الصاعد

(٢) ممر الدخول السفلى (٥) الممر الأفقى

(٣) الحجرة السفلى (٦) غرفة التابوت .

(م ١٧ - الآثار ج ١)

ويتصل بممر أفقى (٥) يؤدى الى حجرة الدفن الفعلية للهرم (٦) ، وقد نحت نصفها فى الصخر ، وبنى النصف الآخر .

أما الممر العلوى (١) فمغطى بقطع غير مستوية من الجرانيت تشبه تلك التى تغطى سقف حجرة الدفن فى الهرم الأكبر ، ومنه يهبط الى قطع أفقى مسدود بسدة من الجرانيت تنزلق فى أخاديد رأسية ، وبعد ذلك يستمر الممر أفقيا حتى يتصل بالممر الذى يؤدى الى حجرة الدفن .

وهذه الحجرة مسقوفة بقطع من الحجر الجيرى الملون فوق الجزء السفلى المنحوت منها فى الصخر ومقاساتها $16\frac{1}{2}$ قدما شمال - جنوب ، $46\frac{1}{2}$ قدما شرق - غرب ، بارتفاع قدره $22\frac{1}{2}$ قدما .

والتابوت الجرانيتى الذى يشغلها داخل فى أرضية الحجرة حتى مستوى غطاءه المنزلق ، لكن على الرغم من أنه قد قصد بذلك أن يكون مختفيا ، فانه أكثر اتقانا من تابوت « خوفو » بالهرم الأكبر .

فهو جيد الصقل من الداخل والخارج - ويذكر « بلزونى » أنه عندما دخل الحجرة وجد الغطاء مكسورا من جانب ، ومسحوبا حتى منتصفه عن التابوت ، فى حين يقرر « بترى » (فى كتابه : الأهرامات والمعابد ، ص ٣٦) أن الغطاء كان موضوعا على الأرض دون كسر .

وهذا القول كان فى عام ١٨٨١ ، وربما تعنى كلمة « دون كسر » ، أنه لم يكن مشطورا ، وعلى أية حال ليس هناك تناقض بينه وبين وصف « بلزونى » .

وقد فتح الهرم الثانى لأول مرة فى العصر الحديث على يد « بلزونى » ، وان وصف أعماله التى توجت بالنجاح من أحسن ما تضمنه كتابه الممتع - وقد تم فتح الهرم - كما جاء على لسانه - فى ٢ مارس سنة ١٨١٨ . وهذا التاريخ مدون فوق المدخل الحالى .

وهذه حقيقة تجعل ذلك التكرار الخطأ الذى جاء فى أحد الكتب الشهيرة والذى يقول ان « بلزونى » فتح الهرم عام ١٨١٦ غير مفهوم .

وقد وجدت كتابة عربية على الجدار الغربى للحجرة استدل منها « بلزوني » على أن غيره قد سبقه فى دخول الغرفة ، ولكن رغم ذلك فإن اسمه كثيرا ما يطلق على حجرة دفن « خفرع » . ومقاسات التابوت الفائر كما ذكرها هي :

٨ أقدام طولا و ٣ أقدام و ٦ بوصات عرضا وقدمان و ٣ بوصات عمقا (من الداخل) ، وهي مقاسات تقريبية لا تتفق مع المقاسات الدقيقة التالية التى دونها « فيس وبتري » ، ومع ذلك فإن مقاساته قد تتفق مع مقاساتهما إذا حسبنا أنه لم يستطع إجراءها الا من الداخل .

ومقاسات « بتري » هي : ٨ر٦٤ أقدام طولا و ٣ر٤٩ أقدام عرضا و ٣ر١٧ أقدام ارتفاعا (من الخارج) .

وهذه المقاسات تتفق مع مقاسات « فيس » بحيث لا نرى داعيا لذكرها . وواضح أن الطول الذى ذكره « بيدكر » فى ص ١٤٣ (١٩٢٩) - وهو ٦ أقدام و ٧ بوصات لا يعدو أن يكون خطأ مطبعيا ، وعلى ذلك فإن تابوت « خفرع » أكبر بقليل من تابوت « خوفو » .

فضلا عن أنه أفضل منه صناعة . ولما كانت مقاساته - كمقاسات تابوت سلفه - أكبر من مقاسات الممرات التى كان مفروضا أن يمر منها ، فإنه من الواضح أنه قد أدخل فى حجرة الدفن قبل أن يقام سقفها .

والكساء الخارجى للهرم يتكون من كتل أحجار جلبت من المقطم حتى المديك الثانى الواقع فوق الأساسات ، أما المديك كان السفليان فكانا من الجرانيت . وبعض القطع الجرانيتية لاتزال باقية وخاصة فى الجانب الغربى .

غير أن كتل الحجر الجيرى انتزعت الى نحو ثلاثة أرباع الارتفاع المائل - وفوق هذه النقطة نجد الكساء باقيا ، مما يجعل صعود هذا الهرم أكثر صعوبة من جاره ، وذلك على الرغم من أن بعض الأعراب يصعدون فوقه ليدخلوا السرور الى قلوب بعض السائحين .

ونوع كسائه يختلف بعض الشيء عن نوع كساء الهرم الأكبر ، فانه أكثر ميلا الى اللون الرمادى وأكثر صلابة وقابلية للتشقق . ولكنه اختلاف فى النوع فقط لا فى أصل المادة .

والى الجانب الشرقى للهرم - كما هى العادة - يقع معبد « خفرع » ، وقد كشفته فى سنة ١٩٠٩ بعثة « فون زيغلن » بأشراف « هولشر » وشتيندورف » . وكان المعبد متمسعا يضم صالتي أعمدة ثانويتين ، وصالة أعمدة كبيرة باتساع عرض المبنى تقريبا - وبين المعبد والهرم فناء مكشوف .

والمواد التى بنى بها المعبد من نوع فاخر ، لأن جدرانها من الحجر الجيرى المغطى بالجرانيت ، بينما استخدم الجرانيت أيضا فى صنع الأعمدة .

ومثل هذه المواد استعملت - كما سنرى فى معبد الوادى - عند أسفل الطريق المسقف . ويظهر أن طول المعبد الكلى كان حوالى ٤٠٠ قدم ، وهو بغض النظر عن الهرم المرتبط به كان بناء على جانب كبير من الأهمية ، بعكس المعبد الصغير لهرم « سنفرو » بميدوم ، على الرغم من أن الوقت الفاصل بينهما قصير جدا .

والطريق الهابط من هذا المعبد الى معبد الوادى يمكن تتبعه ، كما يمكن رؤيته فى أى صورة جيدة تؤخذ من الجو ، ولابد أنه كان فى الأصل قطعة جميلة من الفن المعمارى ، يغطى ربع ميل طولا بعرض ١٥ قدما ، وقد بنى من الحجر الجيرى الأبيض الناعم ، وأدخلت الكتل السفلية فى السطح الصخرى الذى يقع تحته .

وهذا الطريق يفضي الى المدخل الخلفى للمعبد الذى يطلق عليه « المعبد الجرانيتى » أو «معبد أبو الهول» ، ولكنه يعرف الآن باسم «معبد الوادى»، وبدونه تكون المجموعة الهرمية ناقصة .

وقد كشف « مارييت » معبد الوادى فى عام ١٨٥٣ ، وبعد أن ظل مطمورا فى الرمال مدة تزيد على نصف قرن قامت بعثة « فون زيغلين » فى

١٩٠٩ - ١٩١٠ بتنظيفه تنظيفا كاملا ، حتى ليبدو الآن كأنه بناء مستقل الى حد ما ، كما كان في البداية .

والوصول اليه من الشرق بواسطة بوابتين كبيرتين عليهما نقوش ، وكل بوابة منهما تؤدي بزاوية قائمة الى ردهة (انظر الرسم) تحاذي الواجهة الشرقية للمعبد .

وعلى أرضية هذه الردهة - بوضع منحرف - يوجد البئر (في الرسم) الذي عثر فيه « مارييت » على مجموعة من تماثيل « خفرع » باني وباعث كيان المعبد ، ومن بينها تمثال « الديوريت » المشهور الذي يعد الآن من بدائع المتحف المصري^(١) ولعله أشهر الأعمال القديمة التي أبرزها الفن الشرقي .

والبئر مملوء الآن بمياه الرشح ، ويبدأ من وسط الدهلة ممر قصير يفضي الى صالة أعمدة بمحاذاة الردهة يبلغ مسطحها ٨٢×٢٣ قدما .

وهناك صف واحد مكون من ستة أعمدة من الجرانيت الأحمر ، كل منها مكون من قطعة واحدة ، تتوسط هذه الصالة ، التي تؤلف الجزء المتقاطع من حرف ، وعمود هذا الحرف هو الصالة الرئيسية للمعبد .

وهذه الصالة الرئيسية مقسمة الى ثلاثة أجنحة بواسطة صفيين من الأعمدة تتكون كل منهما من خمسة أعمدة وكل عمود منها قطعة واحدة ، وكانت الاعتساب في الأصل تحمل السقف .

والبناء كله - على الرغم من بساطته المتناهية وخلوه من الزخرفة - فخيم ، ولما كان يعتمد في تأثيره فقط على جمال وصقل المواد التي يتكون منها وهي جرانيت ومرمر ، فلا بد أنه كان يبدو أكثر روعة لتجرده من الزخرفة .

(١) مما يزيد في أهمية هذا التمثال انه مصنوع من حجر الديوريت الصلد الذي جلب من محاجر توشكة على بعد نحو ٦٠ كيلو متر شمال غرب معبد أبي سنبل ببلاد النوبة .

ومن وسائل الاضاءة التى اتخذها البنائون المصريون فى معابدهم وسيلة تلك الكوات المائلة فى الجزء الأعلى من الجدران الجانبية ولاشك أن هذه الفتحات الصغيرة تكفى فى جو مصر الصحافى لايصال الضوء المحقق لكافة الأغراض التى من أجلها صمم هذا المعبد .

وكان حول الصالة الأساسية والصالة المتقاطعة ثلاثة وعشرون تمثالا ملكيا . ولاشك أن هذه التماثيل حطمت وبعثرت فى عهد الفوضى الذى تلا سقوط الدولة القديمة .

ومن حسن الحظ أن بعضها ألقى فى البئر السابق ذكره وعثر عليها « مارييت » - ويبلغ مسطح البناء بحالته الحاضرة ١٤٧ قدما مربعة ، وتصل جدرانه الى ارتفاع ٤٣ قدما وبذلك ينسجم مع فخامة المعبد الجنائزى الرئيسى .

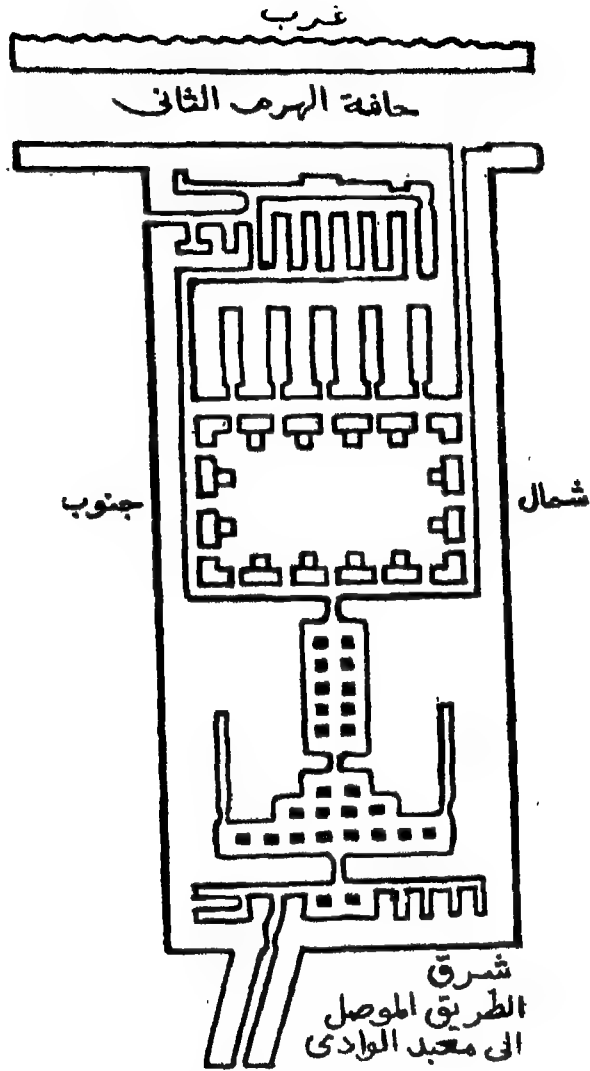
ومن الطرف الجنوبى للصالة المتقاطعة يمكن الوصول الى مجموعة من المخازن (انظر الرسم) ومن الطرف الشمالى للصالة ذاتها يبدأ الممر الموصل الى طريق الهرم منحوتا الى يسار الطريق .

وأثناء السير الى الطريق تمر بفتحتين احدهما من الجانب الجنوبى للطريق وتفضي الى حجرة قد تكون حجرة الحارس ، وهى مكسوة بقطع من المرمر ، والأخرى على الجانب الشمالى ، تؤدى الى سقف المعبد .

والوصول الى المعبد فى الوقت الحالى من الخلف بواسطة المدخل القديم للطريق (١) . والزائر الذى ينفى الاستمتاع بزيارة المعبد ، كما كان يفعل الزائرون فى العصور القديمة ، عليه أن يخترقه حتى يصل الى واجهته الشرقية ، ثم يشاهده على النحو الذى وصفناه هنا .

ويحتمل أنه كان هناك أمام الواجهة الشرقية مكان ترسو عليه المراكب التى كانت تحمل الكهنة وقت الفيضان للقيام بالطقوس الدينية فى

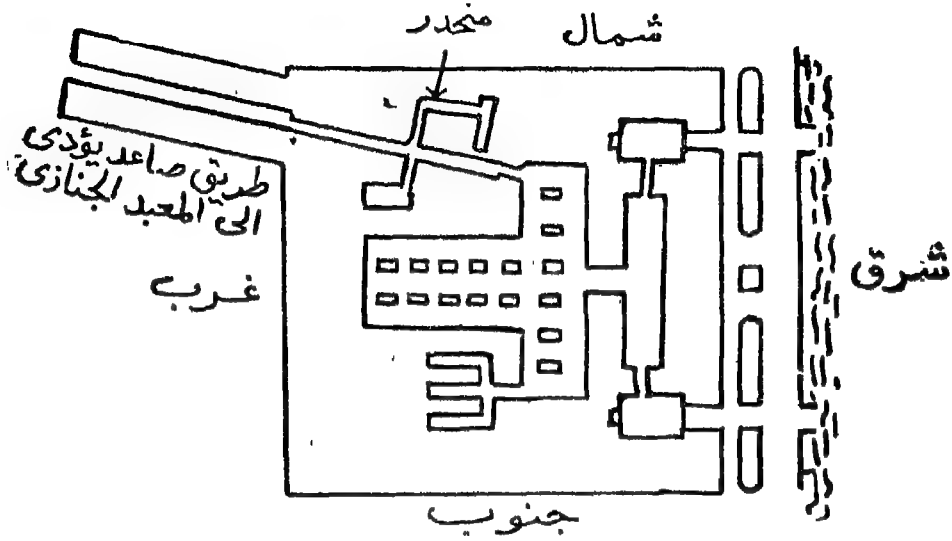
(١) دخول المعبد الآن من واجهته الشرقية .



(شكل رقم ٥٩)

المعبد الجنائزى للهرم الثانى للملك خفرع فى الجيزة

معبد اليرادى ومتابعة الموكب فى الطريق المؤدى الى المعبد الجنائزى .



(شكل رقم ٦٠)
معبد الوادى للهرم الثانى

وبهنا تكون مجموعة الهرم الثانى، قد أمدتنا بأكمل نموذج قائم يمثل المجموعات الهرمية فى الدولة القديمة ، ويشعرنا بأن البناء الأصلى للهرم ، بمعبدية العظيمين وطريقه الرائع ، كان فيما مضى أكثر بهاء مما هو الآن .

وفى طريقنا الى معبد الوادى لهرم « خفرع » نجد « أبو الهول » الكبير الذى يمكن اعتباره أشهر أثر فى العالم . ولما كان الشك قد قل الآن فى أى هذا المارد العظيم يرجع الى أيام « خفرع » أيضا ، فمن المستحسن أن نعتبره متصلا بهرمه ومعبده .

وأبو الهول (وهو دائما يذكر فى الفن المصرى من نوع يختلف عن أبو الهول الاغريقى) هو أسد رابض له رأس انسان ، يبدو عادة على هيئة الملك الحاكم ، ويزينه لباس الرأس الملكى والحية المقدسة .

وفي حالتنا هذه استغل فنانو « خفرع » كتلة من الحجر الجيري الأشهب المائل للأصفرار ، وشكلوها على صورة ملكهم بجسم أسد له مخالب مبسوطة ، ونسبة هذا الأثر إلى « خفرع » كانت موضع نقاش بسبب ما جاء في نفس النقش المصرى من أنه من عهد « خوفو » .

لكن لما كان هذا النقش هو نفس النقش الذى سبق أن ذكرناه وقت حديثنا عن معبد « ايزيس » المجاور للهرم الأكبر - الذى نعتناه بأنه تزييف قام به كهنة العصر المتأخر - فقد أصبح النقاش غير ذى موضوع ، ولم يعد هناك باعث قوى لانكار حق « خفرع » فى أنه الصانع الأسمى لهذا المارد الجبار .

وان كان ذكر اسمه على لوحة « تحتتمس الرابع » الموضوعة بين مخطبي التمثال لا ينهض وحده دليلا على ذلك . وهذا التجسيم للعظمة والقوة الملكية كان يقترن فيما بعد بالاله « حور أم آخت » ، اله الأفق الشرقى الذى يتجه إليه « أبو الهول » دائما .



(شكل رقم ٦١)

تمثال أبو الهول للملك بيبي الأول

وبمرور السنين أحدث تحات الصخور تشويها فى الملامح ، وبخاصة فى الرقبة والأجزاء السفلية من الرأس ، وأزال أيضا تمثالا لاله (أو ملك) كان فى الأصل مستندا الى صدر التمثال ، كما هو الحال فى تمثال الآلهة البقرة « حاتحور » - (انظر الفصل الخاص بالمتحف) .

وفي جميع العصور كان المعتقد أن أبو الهول - كما هو الحال في الآثار الشهيرة - يضم كنزا ، وفي سبيل البحث عنه شقت ممرات في جنته وفي رأسه ، وقد حل بالتمثال كثير من التخريب على أيد متعصبة ، وبدافع من التهور الشديد الذي اندفع اليه المماليك الذين جعلوا رأسه هدفا لنيران بنادقهم .

ورغم هذا التخريب الذي لحق به فإنه لا يزال من أعظم آثار العالم روعة - ومما يزيد في قيمته في الوقت الحاضر هذا الهدوء الرزين الدائم الذي يناقض صخب مدينة من مدن العصر الحديث .

ومقاييس التمثال هي كالآتي :

الارتفاع من الأرضية حتى التاج الذي يعلو الرأس ٦٦ قدما ، والطول الكلي ٢٤٠ قدما ، وعرض الوجه ١٣ قدما و ٧ بوصات وطول الأذن ٦٠ أقدام و ٥ بوصات وطول الأنف ٥ أقدام و ١٠ بوصات ، وعرض الفم ٧ أقدام و ٨ بوصات ، وكل هذه المقاسات الخاصة بالوجه مأخوذة عن « مارييت » .



(شكل رقم ٦٢)

لوحة لأبو الهول للفرعون المدعو يوح

وقصة « أبو الهول » هى قصة صراع مرير بين كفاح الانسان لظهور هذا الأثر العظيم الذى ينم عن المهارة والجلال ، وبين زحف ومال الصحراء الذى لا يهدأ .

وأقدم بيان دون عن هذا الصراع نجده مكتوبا بين مخاطب أبو الهول فى لوحة هائلة من الجرانيت الأحمر ، صنعت كما يظهر من عتب نهب من معبد الوادى « لخفرع » القريب ، وهذا مثال من الأمثلة التى تدل على عدم اكتراث المصرى القديم بأعمال أجداده .

واللوحة تحمل نقشا يعزى الى « تحتتمس الرابع » من ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٤٢٠ ق.م) ، وفيه يقص هذا الفرعون المحبوب التقى ، أنه أثناء رحلة صيد قام بها وهو أمير ، أخذته سنة من النوم أثناء قيلولته تحت ظل التمثال الكبير .

وأثناء نومه ، ظهر له الاله ، ووعد به بأنه سينصبه ملكا على القطرين اذا أزاح الرمال التى تقلقه قائلا : « أنا والدك حور ماخيس - خبرى - رع - أتوم » . سأورثك مملكتى على الأرض وأجعلك على رأس الأحياء وسوف تلبس التاج الأبيض ، والتاج الأحمر فوق عرش « جب » .

أيها الأمير الوراثى ستكون لى حاميا ، لأن كل أطرافى تتألم ، فرمال الصحراء التى أربض فوقها زحفت الى ، فتقدم لتعمل ما أرغب فيه ، فانت ابنى وحامى حماى » .

والنقش من هذه النقطة حتى نهايته قد شوهته عوامل التآكل التى سببتها رمال الصحراء التى شكها منها الاله ، ويمكن استنباط اسم الملك

« خفرع » من بين الجمل المشوهة ، لكن من الصعب التكهّن بصلته بالنص (١) .



(شكل رقم ٦٣)

لوحة عليها رسم لأبو الهول ومعبد

لقد أعيدت عملية التنظيف أكثر من مرة في العصرين البطلمي والروماني ، عندما أضيف إليه مذبح لتقديم القرابين ، له سلم عريض للوصول إليه - إلى المحراب المكشوف - وعندها أقيمت جدران من اللبن والحجر لتسندده وتحجز الرمال السافية .

(١) عثر في الجهة البحرية من تمثال « أبو الهول » على معبد كبير لعبادته ، كشف فيه عن لوحات كثيرة من عهد الدولة الحديثة ، أهمها لوحة كبيرة تنسب إلى « أمنوفيس الثاني » يتحدث فيها عن قوته ألبدينية التي كثيرا ما فاخر بها ووجدت على آثاره ، وقد نقل هذه الآثار مكتشفها المحرم سليم حسن إلى المتحف المصري على لوحة « أمنوفيس الثاني » فانها لاتزال في موضعها .

وفي أوائل القرن التاسع عشر (١٨١٨) أسندت جمعية انجليزية عملية تنظيف التمثال الكبير مرة أخرى ، الى « كافجيا » الذى أتم هذه العملية بمبلغ ٤٥٠ جنيها ، وفي أثناء قيامه بها كشف عن الأرضية المقام عليها المحراب ، وسلم الوصول ، واللوحة الكبيرة لتحتمس الرابع ، ولوحة أخرى لرمسيس الثانى .

وفي أقل من ٧٠ سنة أخرى طغت الرمال مرة ثانية واضطر «ماسبيرو» الى تنظيف أبو الهول مرة أخرى عام ١٨٨٦ .

وقد كانت الفترة التالية قصيرة ، لأن مصلحة الآثار أسندت الى السيد « ا. باريز » عملية التنظيف فى عامى ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ويمكن الآن رؤية أبو الهول بوضوح أكثر مما يتصور الانسان ، كما اننا نرى الآن أن



(شكل رقم ٦٤)

لوحة عليها رسم لأبو الهول وهرمين

بعض التخمين الخيالى عن النصف المختفى من التمثال قد زال ، حتى
لتتمكن رؤيته كله .

وقد رمت الأجزاء المتأكلة خصوصا المخالب الضخمة الميسوطة ،
وأصبح فى إمكاننا أن نرى صور « حور ماخيس » كما أراد صانعوه أن
يرى ، بعد أن تعرض لعوامل النحر مدة تقرب من ٥٠ قرنا .

ومع أن السيد « باريز » لم يحاول اجراء أى ترميم ، فان أجزاء من
جسم أبو الهول أو من لباس رأسه - التى كانت معرضة للضياع بسبب
العوامل الجوية التى أثرت تأثيرا كبيرا على القشرة الناعمة للحجر الرملى
الأصفر - قد صينت حتى تبدو الآن أكثر صيانة ، مما كان عليه منذ
سنوات ، ولكن الرمال ستكسب المعركة فى النهاية .

الهرم الثالث « منكاورع - ميكرينوس »

والهرم الثالث من مجموعة أهرامات الجيزة يقع الى الجنوب الغربى
من الهرم الثانى ، وصاحبه هو « منكاورع - ميكرينوس » عند
« هيرودوت » ، و « منشريس » عند « مانيتون » الذى خلف
« خفرع » على العرش ، وهرمه المسمى « نتر - منكاورع » (١)
أصفر من الهرمين الآخرين .

وهذه حقيقة أوجت الى « هيرودوت » أن يقص القصة الخيالية التى
سمعها عن بانيه . فقد ذكر لنا « هيرودوت » أن « كيوبس » و « خفرع »
(خوفو ، خفرع) كانا ملكين كافرين مستبدين ، أغلقا المعابد ، وسخرا
كل الرعايا فى اقامة هرميهما الكبيرين ، وكانت مدة حكميهما التى تبلغ
١٠٦ سنوات فترة تعاسة لمصر .

أما « ميكرينوس » ابن « خوفو » ، فقد كان من طراز آخر ، فكان
تقيا ، رحيما - ويدل وصف « هيرودوت » له على أن تقواه كانت

(١) ومعناه « الهى هو منكاورع »

سطحية ، بل انه كان على شيء غير قليل من البلاهة ، ورغم طبيعته فقد أدركه سوء الطالع ، وأخيرا سمع هاتفيا يقول له : بأنه لن يعيش أكثر من ست سنوات أخرى ، وقد صور « متي أرنولد » ألم « منكاورع » في العبارات الآتية :

كان والدى يحب الظلم ، وعاش طويلا .

ومات والشعر الأشهب يكلل رأسه ، والقوة تملؤه .

وأنا أحببت العدل الذى احتقره ، وكرهت الخطيئة .

والآن تعلن الآلهة جزائى .

فقد كنت أطمح في حياة أطول ، وحكما أكثر رفعة .

ولكن بعد أن تنقضي ست سنوات ، سيدهمنى الموت .

وبقسوة وفي حزم بالغ حكمت عليه الآلهة بأن يحصل ثمرة تدخله في الأحكام الالهية - التى قضت بأن تظل مصر مدة ١٥٠ عاما في شدة ، ولكنه بمنحة الرفاهية للبلاد أفسد الخطة التى كانت تقضى بأن تزرع مدة ٤٤ سنة أخرى تحت نير البؤس .

وقد استاء « ميكرينوس » من حكم الآلهة ، فأمضي السنوات الست الباقية له في صخب وسهر كأنما يحاول بذلك أن يستمتع في السنوات الست بما يعادل ضعفها .

وهذه القصة الصببانية تتفق تمام الاتفاق مع سيرة « منكاورع » ، كما حكاه « هيرودوت » ، ولكن لا حاجة بنا للقول بأنه ليس في التاريخ ما يؤيد ذلك . وذلك على الرغم من أن تماثيل الملك تخلصوا مما يتسم به تمثال « خوفو » العاجى الصغير من حيوية مجسمة .

وما يتسم به تمثال « خفرع » المصنوع من الديوريت من الترفع الرصين ، ويدل حجم وصناعة هرمه على أنه لم تكن لديه السيطرة على

موارد البلاد كسابقيه ، والمقاس الأصلي لهرمه ٣٥٦٠٥ قدما لكل جانب من جوانب قاعدته — وما زال كذلك .

وان الكساء الخارجى لا يزال فى مكانه ، وكان ارتفاعه الأصلى ٢١٨ قدما ولكنه نقص قليلا ، فهو الآن ٢٠٤ أقدام فقط ، ومن هذه الأرقام يمكن أن نعرف أن حجم الهرم الثالث يختلف عن حجم الهرمين الآخرين ، وترتيبه كما سبق أن ذكرنا التاسع بين الأهرامات الموجودة .

وصناعته بوجه عام أقل جودة من أى الهرمين الكبيرين ، على الرغم من المحاولة التى بذلت لتغطية هذا النقص باستعمال الجرانيت بدلا من الحجر الجيرى .

والواقع أنه يمكن ملاحظة أن تدرج الانحطاط يطابق الزيادة فى نسبة الجرانيت المستعمل فى الأهرامات الثلاثة ، ففى الهرم الأكبر يقتصر وجوده على الداخل فقط ، وفى الهرم الثانى — وهو أقل منه حجما وصناعة — استعمل فى المداكين السفليين للكساء الخارجى ، كما استعمل فى تغطية الممر الداخلى .

أما فى الثالث فاننا نلاحظ الانحطاط ظاهرا فى الحجم والصناعة ، لأن نسبة الجرانيت الى الحجر الجيرى تزداد بشكل ملحوظ ، فالمدايك السفلية الستة عشر للكساء كلها من الجرانيت ، كما أن الكساء العلوى للممر وحجرة الدفن من هذا الحجر أيضا .

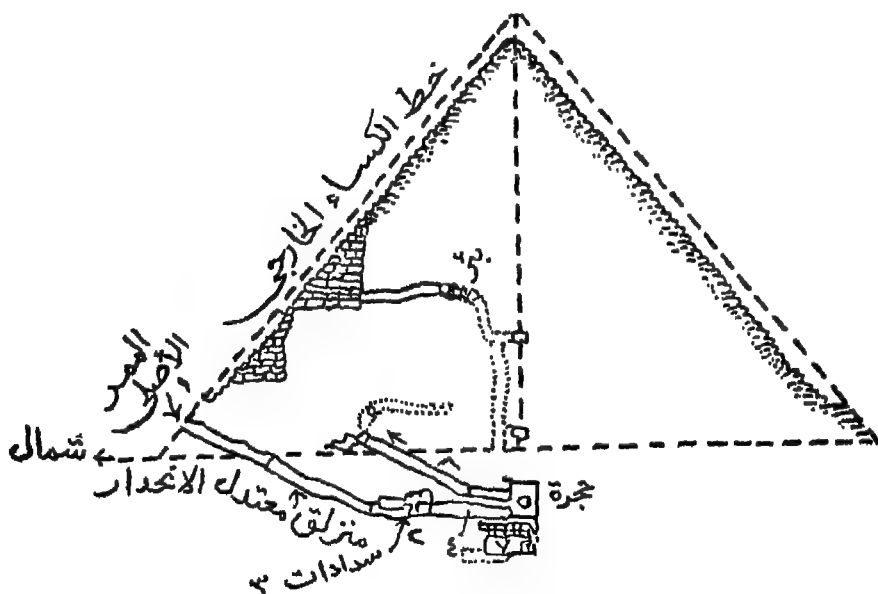
والتخطيط الداخلى للهرم معقد قليلا ، ويبدل على أنه حدث تغيير شامل فى خطط المهندس أثناء القيام بالبناء ، والمدخل الأصلى (١) اكتشفه « فيس » فى يولييه سنة ١٨٣٧ ، بعد أن حاول عبثا الوصول الى حجرة الدفن بواسطة الممر المصطنع الذى شوه التخطيط .

وهو — كالعادة — فى الجانب الشمالى من الهرم ، ويهبط فى منزلق معتدل الانحدار الى مسافة تزيد قليلا عن ١٠٤ أقدام — والمسافة من الكساء الخارجى الى النقطة التى يلتقى فيها الممر بالصخر مغطاة بالجرانيت .

وبعد المائة والأربع أقدام يوجد ممر قصير أفقى يؤدى الى ردهة (٢) مزخرفة ببلاط أبيض ، وبعد هذه الحجرة يلتقى الممر بثلاث سدادات (٣) ، ويستمر بهبوط قليل (٤) حتى يصل الى حجرة ثانية (رقم ٥ على الرسم) .

ويبدو أنه قصد بها في الأصل أن تكون حجرة الدفن ، اذ يوجد ما يدل على أن التابوت قد وضع بها ، وهذه الحجرة كبيرة الحجم ، يبلغ مقاسها ٢٢٥ × ١٢٥ ، بارتفاع ١٣ قدما تقريبا .

وفي الجزء العلوى منها باب آخر يؤدى الى ممر آخر (٦ على الرسم) ينتهى الى وسط الهرم . ولا بد أنه كان هو المدخل حين بناء الهرم الأصلى الصغير .



(شكل رقم ٦٥)
قطاع في الهرم الثالث
(تشير الأرقام إلى الوصف في متن الكتاب)

(م ١٨ - الآثار ج ١)

وعلى ذلك لابد أيضا أن الحجرة الأصلية كانت في نصف عمق الحجرة العالية - ومن أرضية الحجرة الكبيرة ينحدر بشر طولها ٣٠ قدما تكسوها قطع من الجرانيت في نهايتها العليا ، حتى يصل الى سداة في نهايتها السفلى .

ومنها يبدأ ممر أفقى يفضي الى حجرة الدفن الفعلية ، وهي منحوتة في الصخر الذى يكسوه الجرانيت ، وقد صفت أحجار السقف بزواوية لى تلتقى في قمة مدببة ، ثم نحتت على شكل منح ، وبذلك يبدو شكل السقف كأنه عقد من نوع مدبب .

وفي هذه الحجرة وجد تابوت « منكاورع » الجميل المصقول والمصنوع من البازلت ، مزخرفا بالرسوم المصرية المألوفة التى تمثل البوابات - وقد وجد هذا التابوت خلوا من الغطاء .

وعثر فيما بعد على بعض قطع هذا الغطاء في الحجرة العلوية (هـ) مع جزء من غطاء تابوت من الخشب عليه اسم « منكاورع » ووجدت كذلك بعض عظام آدمية ، وقد نقل التابوت البازلتى بمعرفة « فيس » وشحن في سفينة تنقله الى انجلترا .

ولكن لسوء الحظ غرقت السفينة عقب اصطدامها عند ليجهورن ومازال تابوت « منكاورع » مستقرا في قاع البحر الأبيض المتوسط منذ غرق السفينة .

والتابوت الخشبى ، أو بالأحرى الجزء الذى بقى منه ، محفوظ الآن بالمتحف البريطانى مع العظام ، ويظن البعض أن حجرة الدفن المغطاة بالجرانيت والبشر النازلة من الحجرة الكبيرة من عمل العصر الصاوى،الذى كان التجديد في الأعمال القديمة شائعا فيه ، وقد ألقى بعض الشك بسبب ذلك على حقيقة التابوت الخشبى الذى ظن أيضا أنه من العصر الصاوى .

ويجدر بنا أن نذكر أن بقايا الكساء الخارجى الجرانيتى للجزء السفلى من الهرم يدل على أن العمل قد انتهى بعد ، لأن الكتل لاتزال

تحتفظ بالزيادة التي كانت عليها في محاجر أسوان ، وقد تركت للمحافظة على الأحجار أثناء نقلها كما أنها لم تهذب مطلقا .

وهذا الهرم كالهرمين الآخرين كثيرا ما تعرض للتخريب ، فقد استغل كمحجر سهل ، يضاف الى ذلك أنه كان هدفا لهوس أحد الخلفاء ، الذي خيل اليه أنه سيكون بروح شرير .

فحدا به ذلك الى محاولة تخريبية شيئا فشيئا ، ولحسن الحظ اثبت الهرم أنه أصلب من عزم الخليفة ، بعد أن استمر في عمله الجنوني عدة أشهر ، ولكنه لا يزال يحمل آثار محاولته الضالة .

ولما دخل « فيس » حجرة دفن « منكاورع » ظن أنه سيكون له سبق الدخول الى الهرم منذ أيام بانيه ، كما حسب الآخرون الذين اقتحموا الهرمين الأكبر والثاني ، ولكنه كان مخدوعا في ظنه ، فقد شاهد بعض كتابات عربية مكتوبة بلا عناية على الجدران .

ويذكر « الأدريسي » (١٢٢٦ م) في نص له ، أن هذا الهرم اقتحم في ذلك الحين ، وأن العرب الذين وفقوا بعض الشيء — اذا صحت روايتهم — لم يكونوا أول من أفلقوا راحة « منكاورع » .

ويحتمل أن يكون الهرم قد نهب كالهرمين الآخرين في عصر الفوضى الذي تلا سقوط الدولة القديمة . ويستطرد « الادريسي » بعد وصف الزحف الشاق في الممرات فيقول : ومن هنا ندخل حجرة أخرى جدرانها الأربعة تحوى أبوابا مقوسة تفضي الى ست أو سبع حجرات .

وهذه الأبواب تشبه الأبواب التي تؤدي الى الحجرات الصغيرة الخاصة بالحمامات (يبدو أنه كان يحاول وصف حجرة الدفن المقبية بالهرم) .

وفي الفراغ الذي يتوسط هذه الحجرات يوجد تابوت مستطيل أزرق اللون لا يحوى شيئا ... وقد أخبرني الشريف أبو حسين ... أنه كان حاضرا عندما اقتحم الهرم أناس بحثا عن الكنوز ، وقد أعملوا فيه فتوسهم مدة ستة أشهر .

وكان عددهم كبيرا ، فوجدوا في هذا التابوت ، بعد أن حطموا غطاءه ، بقايا عظام آدمية نخرة ، ولم يعثر بجانبها على شيء سوى بعض لوحات ذهبية منقوشة بحروف لم يستطع أى فرد فك رموزها .

وكان نصيب كل فرد من هذه اللوحات يقدر بمائة دينار ، وبذلك يكون « أبو حسين » ورفاقه قد وضعوا أيديهم على ما تركته عصابة من المخربين أحسن حظا وأقدم عصرا .

وذلك على الرغم من أنه من الصعب أن ندرك كيف ترك لصوص المقابر المهرة مثل هذه الغنيمة القيمة الخفيفة الحمل من اللوحات الذهبية (مهما كانت قيمتها) دون أن تمتد إليها أيديهم .

والآن نعود لنلقى نظرة على المخططات الباقية التى تثير الاهتمام بمنطقة الأهرامات :

إذا وصلنا الى الرقعة التى تحيط بالهرم الثانى عند الموضع الواقع الى الشمال الغربى حيث يفضى شق طبيعى اليها - نلتقى فى الجانب الشمالى من السطح المستوى بعدد من مربعات محزوزة بحزرات يتعمد بعضها على البعض الآخر .

وقد قام النحاتون برسم هذه العلامات على الصخر ليسترشدوا بها فى استخلاص الكتل ، وقد أجمعت الآراء على أنها بقايا القطع الذى أحدثه عمال « خفرع » ، الذين قاموا بنقل الكتل اللازمة لماء الجانب القبلى من الهضبة .

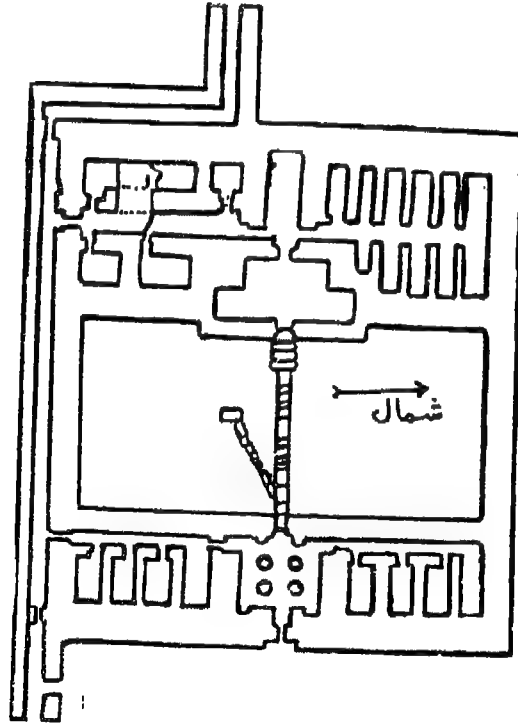
وعلى سطح الصخرة فوق علامات البنائين الأصليين للهرم ، نقشت كتابة هيرغليفية اكراما لأحد المدمرين القدامى المسمى « ماى » وكان يشغل وظيفة كبير مهندسي معبد « هليوبوليس » فى عهد « رمسيس الثانى » وهو ابن « باك - ان - آمون » الذى كان يشغل هذا المنصب فى طيبة .

وترجع شهرة « ماى » الوحيدة الى أنه - بتكليف من سيده - اتخذ

من مباني « خفرع » العظيمة في الجيزة - سواء أكان معبد الجنائزى أو هرمه - محجرا للحصول على مواد البناء لمعبده بهليوبوليس .

وقد أصبح « ماى » مشهورا الى حد لم يكن يتوقعه ، ولكنها شهرة موصومة بالعار . وليس بخاف أن سيده « رمسيس الثانى » كان أقسى المذنبين للطريقة التى اتبعها نحو أعمال أسلافه من الفراعنة .

وقد كان « باك - ان - آمون » فى طيبة يقوم بنفس العمل الذى كان يقوم به ابنه فى الجيزة ، ومما لاشك فيه أنه لم يكن للوالد أو للابن يد فى هذا العمل الذى كان يرغم عليه ، ومع ذلك فأننا لم نكن نتوقع اشادة يذكرى الرجل الذى وجه كل همه لتخريب أثر من أعظم الآثار البشرية .



(شكل رقم ٦٦)

رسم تخطيطى لمعبد الوادى الخاص بهرم الجيزة الثالث للملك
منقرع « نقلا عن (ريزنر) »

ويجدر بنا أن نهتم^(١) بهذه النقطة ، نظرا للفكرة الشائعة بين بعض الناس من ضيق العقول ، بأن رجال العلم الحديث لا يهتمون في أبحاثهم بالرعاية الواجبة لمخلفات الماضي وأعماله التي أصبحت الآن تعرض وتستخدم دون احترام كمجرد وسائل إيضاح علمية ، بعد أن كانت موضع تمجيد واجلال قرونا .

والعكس هو الصحيح ، ذلك أن المخلفات أو الأعمال الكبيرة لم تكن موضع احترام مدة طويلة في مصر القديمة ، فمقابر عظماء الرجال في الماضي كانت تنتهك بقسوة - كما رأينا - قبل أن تظهر بواكر العلم الحديث .

ولم يتورع فرأعنة العصور المتأخرة ، علما « سيتى الأول » والى حد ما « تحتمس الرابع » ، عن انتهاك حرمة المقدسات عندما خربوا معابد أجدادهم الجنازية ، وبذلك - حسب المعتقدات المصرية - أضاعوا بغرورهم ورغبتهم في اظهار أنفسهم كبناة ، فرصة تخليد أسلافهم .

ولم تحل العاطفة ولا الاحترام دون نهب المصرى كنوز أسلافه للانتفاع بها في أغراضه الشخصية ، بينما يبدو هذا الاحترام وتلك العاطفة في أعمال الكثير من العلماء الحديثين ، الذين حاولوا أن يعيدوا

(١) الكتابة المشار اليها تذكر فقط أسماء الرجل وابنه وألقابهما ، ولا يمكن التنجى على هذا الرجل أو على رمسيس الثانى فيقال انهما عملا على استعمال أحجار الأهرام في بناء المعابد لمجرد وجود نقش في منطقة الهرم .

وقد ترك الرجل لوحة في معبد « أبو الهول » تدل على اهتمامه بالمنطقة كما أنه أصبح معروفا أن أحد أبناء رمسيس الثانى كان مهتما بالأهرام والتعرف على أصحابها ووضع كتابات تسجل أسماء من قاموا ببنائها ، وهذا يجعل من المستبعد أن أباه كان يستعمل أحجارها في بناء معابده .

مجده الماضي بدراسة الآثار القليلة التي تخلفت عن اهمال وجشع الأجيال التي سبقتهم ، وفي هذا رد قاطع على خطأ تلك التهمة التي ألصقت بعلماء البحث الحديث .

واذا انحرفنا الى الجانب الغربى من المنطقة لاحظنا أن « ماى » سجل اسمه البغيض مرة أخرى ، وإن كان هذا لا يستحق منا الوقوف عنده . وبالقرب من هذا الموضع نجد احدى المقابر المنحوتة فى الصخر ، ونعنى بها مقبرة « نب - ام - آخت » .

ولهذه المقبرة سقف لا يختلف عن أسقف المقابر الأخرى التي شاهدها على هيئة جذوع النخيل ، وهذا يذكرنا بالسقف الأصلي للبيت المصرى القديم ولعل مقبرة « بتاح - حتب » الشهيرة بصقارة أوضح مثال لهذا التقليد فى أرقى درجاته .

وظف الصور المحيط بهرم « خفرع » نجد فى الجانب الغربى منه مبنى يستحق منا اهتماما أكثر مما يحظى به عادة ، فهو بقايا المقر الكبير الذى كان فى الأصل معدا للاقامة الدائمة لمهرة البنائين ، الذين كانوا يواصلون العمل فى تشييد هرم « خفرع » .

أما بقية العمال ، الذين كانوا يعملون ثلاثة أشهر فقط من كل عام ، فكانوا يقيمون فى منطقة الجيزة عاملين فى تجهيز الأحجار ونقلها الى المكان الذى كان يعمل فيه مهرة الصناع طوال العام .

وقد عثر « فيس » على هذا المعسكر عام ١٨٣٧ ، ولكنه لم يوفق لمعرفة الغرض منه ، كما أنه لم يستكمل الكشف عنه ، وحوالى عام ١٨٨١ ، لاحظ « بترى » أن القمم المتوازية التى تحدث عنها « فيس » ليست فى الحقيقة سوى الأطراف العليا للبناء

وبالكشف عن جزء منه اتضح له الحقيقة كاملة ، فقد تبين أن المعسكر يشمل دهليزاً طويلاً يتصل بالسور فى طرفيه الشمالى والجنوبى ، بهدليزين آخرين أقل طولاً ، وكان كل دهليز ينقسم الى عدة حجرات مستطيلة تفصلها حوائط ، وهى التى وصفها « فيس » .

وكان عدد الحجرات ٩١ حجرة ، تشغل مساحة تمتد الى ميل ونصف ميل طولا بعرض تسع أقدام ونصف ، بينما يبلغ ارتفاعها سبع أقدام . وقد قرر « بترى » أن هذه المساحة تتسع لايواء ٤٠٠٠ عامل ، وهو العدد المعقول لمهرة الصنّاع اللّازمين للعمل الدائم في بناء الهرم .

ولا يمكن الجزم عما اذا كان هذا المعسكر قد استخدم أيضا لعمال هرم « خوفو » أم لا . ويحتمل أنه كان « لخوقو » معسكر خاص أزيل فيما بعد ليفسح مكانا لاقامة صفوف المصاطب التي تجمعت غرب هرمه .

ويجوز أنه أقام المعسكر الخاص بعماله في موقع جاء متفقا مع سور هرم خلفه ، كما لو كان قصد ذلك ، ومن الجائز أيضا أن مهندسي «خفرع» خططوا الأرض المقام عليها هرمهم بحيث تتفق مع معسكر كان موجودا فعلا من قبل .

والى الجنوب من الهرم الثالث تقوم ثلاثة أهرامات أخرى صغيرة سبق أن دخلها « فيس » عام ١٨٣٧ ، وكما هي العادة ، فقد وجد أنها نهبت منذ العصور القديمة .

ووجدت على أحد هذه الأهرامات « السورة ١١٢ من القرآن الكريم » مكتوبة بخط غير واضح ، مما دل على أن هذا الهرم اقتحم أيام الخلفاء كما وجد على سقف حجرة الدفن بهم آخر خرطوش « منكادورع » مكتوبا باللون الأحمر .

وعلى الجانب الشرقى لكل هرم من هذه الأهرامات الصغيرة بقايا محراب مبنى باللبن لتقديم القرابين ، وهو صورة متواضعة للمعابد الجنائزية الكبيرة للمقابر الملكية .

وبالقرب من الجانب الشمالى لطريق هرم « خفرع » وعلى مسافة غير بعيدة غربى أبو الهول تقع مقبرة كشفها « فيس » سنة ١٨٣٧ وأطلق عليها « مقبرة الكولونيل كامبل » ، جريا على تلك العادة المستهجنة التي كانت

شائعة إذ ذاك ، ونعنى بها تسمية أى كشف جديد ، صغيرا كان أم كبيرا ، باسم شخص يسعى المكتشف الى تملكه .

وقد يكون هناك ما يبرر اطلاق اسم « بلزوني » على احدى حجرات الهرم الثانى ، غير أنه من المستغرب أن يطلق اسم « ولنجتون » أو « دافيد سون » على حجرتين من حجرات تخفيف الضغط بالهرم الأكبر .

أو أن يلصق اسم « الكولونيل كامبل » قنصل انجلترا بمصر عام ١٨٣٧ بمقبرة كاتب ملكى من عهد الفرعون « واح - ايب - رع » (حفرا أو ايريس) ، له اسم رنان « با - كاب - واح - ايب - ام - رع - آخت » .

فهو لم يكتشف المقبرة ، كما أنه لم يساهم فى الانفاق على كشفها ، وقد وجد تابوت الجميل الذى كشف عنه « فيس » فى حجرة الدفن فارغا ، كما وجدت التوابيت الثلاثة الأخرى الموضوعة داخل فجوات بيئر المقبرة خالية أيضا .

ولا يزال تابوتان من هذه التوابيت فى مكانهما - أما الثالث فيوجد الآن بالمتحف البريطانى ، وقد سبق أن امتدت أيدى اللصوص الى المقبرة ، غير أن « فيس » عثر على مجموعة كبيرة من الشوابتى التى وصفها بأنها « عدة صفوف من تماثيل خضراء » بجانب تابوت الكاتب الملكى .

كما عثر أيضا على ثلاثمائة وتسعين تمثالا أخضر بجانب التوابيت الثلاثة الأخرى - ومن بين المقابر الجديدة بالزيارة مقبرة يطلق عليها « مقبرة الأعداد » تقع فى أقصى الحافة الشرقية من الهضبة بالقرب من قرية نزلة السمان .

وهذه المقبرة تخص المقرب الى الملك والكاهن « خفرع - عنخ » الذى كان أحد أفراد حاشية الملك « خفرع » ، وقد اقتبست اسمها هذا من المنظر المرسوم على جدارها الشرقى ، ذلك المنظر الذى يمثل صاحب

— ٢٨٢ —

المقبرة بصحبة شقيقه (مع كلبهما) يتفقدان ماشية مزروعتها التي تمر أمامهما ، ومعها خنمه .

وقد سجلت أعداد هذه الماشية على الجدار ، وعلى الجدار الجنوبي من المقبرة منظر يمثل « خفرع - عنخ » وزوجته جالسين أمام مائدة قربان . أما الجدار الغربى فيضم أبوابا وهمية وكوة بها تمثال المتوفى . يضاف الى ذلك أننا نرى المناظر العادية التى تمثل صيد الطيور والأعمال التى تتصل بالزراعة .

المفضل المذكر

أبو صير ومنف وصقارة (المقابر الملكية)

إذا تركنا هضبة الجيزة واتجهنا جنوبا الى مناطق أهرامات أبو صير وصقارة ومنطقة منف القديمة - وهي على الرغم من أنها أقل اثارة للنفس من منطقة أهرامات الجيزة ، فانها لا تقل عنها أهمية .

ويقابل الطريق المحاذي للضفة الغربية للنيل الذى يمكن قطعه بسيارة أو باى وسيلة من وسائل النقل البدائية المستعملة الآن ، طريق آخر يقطعه القطار الى البدرشين ، ومنها نصل الى صقارة .

ولما كان هذا الطريق يحرمنا من المرور على أبو صير وزاوية العريان - اذا لم نمر عليهما فى طريق العودة بدلا من ركوب القطار ، فانه من الأفضل أن نبدأ رحلتنا بالسيارة من القاهرة متجهين جنوبا من هضبة الجيزة .

وفى طريقنا نمر بأثر - رغم أن الكتب المرشدة للآثار أهملته اهمالا تاما أو اكتفت بكتابة سطر أو سطرين عنه - على جانب كبير من الأهمية .

لأنه يمكننا من أن نرى تفاصيل الخطوات التى كان يقوم بها بنى الهرم المصرى ، وأن نتحقق من عظم المستوى الذى خطط عليه عمله ، وروعة الطريقة التى نفذ بها هذا العمل .

بالقرب من زاوية « أبو مسلم » ينهض فوق الهضبة الصحراوية كوم من الانقاض هو كل ما بقى من الهرم الحجرى بزاوية العريان الذى كشفتته بعثة « هارفارد - بوسطن » بإشراف الدكتور « ج.ا. ريزنر » عام ١٩١٠ - ١٩١١ ، وهذا ليس هو موضوعنا .

فإلى الشمال الغربى منه تقع بقايا هرم آخر لم يكمل بناؤه ، بدأه الملك « نيكارح » من ملوك الأسرة الثالثة ، وهو بذلك يكاد يكون بداية السلسلة الطويلة من الأهرامات .

ولا يسبقه من الأهرامات المعروفة غير هرم صقارة المدرج الذى سنصفه وشيكاً ، ومع أنه مجرد تخطيط للهرم الكامل ، فإنه قد يكون لهذا السبب أكثر لفتاً للأنظار مما لو كان هرماً كاملاً (١) .

وقد بدأ « نيكارح » العمل فى مقبرته الكبيرة بحفر حفرة كبيرة مستطيلة الشكل فى الصخر الجيرى عمقها ٧٣ قدماً وطولها ٨٢ قدماً وعرضها ٤٦ قدماً ، وجوانب هذه الحفرة الهائلة مستقيمة ، وقد خططت لتكون حجرة أو مجموعة من الحجرات للهرم الكامل .

وبعد ذلك أقام سلماً منحدراً من نوع فاخر يصل الى أسفل الحفرة بطول ٣٦٠ قدماً وعرض ٣٨ قدماً لتنزل عليه فى يسر وسهولة الكتل الجرانيتية وغيرها من المواد اللازمة لاتمام الحجرة الكبيرة ، وقد أنزل على السلم كمية من الكتل الجرانيتية الكبيرة لتغطية أرضية حجرة الدفن .

ويبلغ متوسط وزن الكتلة حوالى تسعة أطنان ، أما الكتلة الكبيرة التى كانت معدة لأن تتوسط الأرضية فكانت زنتها لا تقل عن ٤٥ طناً .

وفى وسط هذه الأرضية أنزل تابوت جميل من الجرانيت الأحمر أيضاً ذو شكل بيضى ، ويختلف تماماً عن طراز التوابيت التى استعملت فى الأسرة التالية . وللتابوت غطاء من الجرانيت الأحمر ، وصناعة كل من التابوت والغطاء ممتازة .

(١) ينسب المرحوم « زكريا غنيم » هذه الخطوة الى الملك « سخمت » من ملوك الأسرة الثالثة الذى كشف عن هرمه غير الكامل بصقارة . انظر كتابه « الهرم الدفين » الذى كتبه بالانجليزية ، ثم ترجمه الى العربية الأستاذ « زكى سوس » وراجع الترجمة الدكتور « محمد جمال الدين مختار » .

ويبدو أنه حدث بعد ذلك ما حدا بالملك « نيكارح » الى تغيير خطته ، فانه عدل عن فكرة اتمام الهرم ، ولم يسمح الوقت حتى باخراج الكتل الفخمة الجرانيتية من الحفرة الكبيرة لاستخدامها في أغراض أخرى ، أو ينقل ذلك التابوت الجميل الصنع الى مقبرة أخرى .

وربما كان موت الملك هو النى أدى الى وقف العمل . ولهذا كدست الأحجار الجرانيتية الضخمة التى لم تكن قد استعملت بعد بدون ترتيب فى المقبرة التى لم تتم ، وغطى كل شيء . وعندما كشف « اسكندر بارسانتى » المقبرة بتكليف من مصلحة الآثار وجد كل شيء فى مكانه لم تمتد اليه الأيدى منذ العصور القديمة .

ووجد التابوت خاويا لا أثر فيه يدل على استعماله — أما موضع دفن هذا الملك فسيظل لغزا ، مع أنه دون شك كان لديه أكثر من مقبرة واحدة أسوة بمعظم أسلافه وخلفائه .

ويبدو أننا قد أطلنا بعض الشيء فى الحديث عن هذا الأثر الذى لا يعدو أن يكون مجرد مقبرة لم تتم ولم تستعمل قط — والواقع أن هناك كثيرا من الأهرامات والمقابر التى تم بناؤها ، ومع ذلك ليست لها من الأهمية ما لهرم « زاوية العريان » الناقص .

اذ أننا نرى فيه بداية بناء الأهرامات ، ولا يسبقه الا الهرم الذى عمل « زوسر » ووزيره « أمحتب » على اقامته قبل ذلك بسنوات قليلة فى صقارة ، وعلى بعد بضعة أميال جنوبى « زاوية العريان » ، وليس هناك شك فى أن هذا الهرم رغم عدم اتمامه يعد نموذجا أودع فيه المهندس بوضوح كل ما كان يريد عمله ، وقد نفذه فعلا كما لو كان يملك جهد الجبابرة .

وقد وصف « ريجال » هذا الهرم فى كتابه (تاريخ الفراعنة ص ١٥٣) بقوله : « ان هذا الأثر الرائع وان لم يكن واحدا من تلك المقابر الغنية التى تتوج أعمال المكتشف الحديث فانه يدل على مهارة وفهم عميقين لم يكونا متوقعين فى ذلك العصر المبكر » .

ومن الواضح أننا قد تخطينا في ذلك الوقت تلك المرحلة البدائية. ودخلنا في العصر الذهبي للحضارة - عصر بناء الأهرامات العظام ، وعصر « نيكار » غير بعيد عن عام ٣١٠٠ (١) ق.م. بمعنى أنه يعاصر ملوك الأسرة الأولى في « أور » .

هؤلاء الملوك الذين كشف السيد « وولى » أخيرا عن مخلفات فنونهم وصناعاتهم ، كما أنه لا يتأخر كثيرا عن عصر الأمراء القدامى الذين أدهشوا العالم بصناعاتهم المعدنية الرائعة .

وقد كتب ماسبيرو عن « القوة التي تقرب من الوحشية » لعمل « نيكار » ولكن كلمة وحشية هذه لا تتمشي مطلقا مع وصف عمل يدل على تفكير سليم وتكييف لوسائل تهدف الى هدف واضح كهذا ، فقد انتهت أيام الوحشية قبل أن يخطط « نيكار » ومهندسوه هذه المقبرة الرائعة .

واذا واصلنا السير الى الجنوب وصلنا الى « أبو غراب » التي كشف عنها الدكتور آن « بورخارد » و « شيفر » في الفترة بين ١٨٩٨ و ١٩٠١ على نفقة البارون « فون بسنج » .

وتشهد الخرائب على أنها لمعبد الشمس المسمى « شب إيب - رع » ، الذى أقامه الملك « نيو أوسر رع » احتفالا بعيده الثلاثيني (عيد سد عند قدماء المصريين) ، وهذا العيد يقابل عندنا اليوبيل ، وقد كان هذا العيد من أقدم الاحتفالات الملكية بمصر ، وربما كان من مخلفات عادة بدائية كانت تقضى بأن يذبح الملك الحاكم حين تمضى ثلاثون سنة على جلوسه على العرش .

والغرض من ذلك أن يكون دائما في كامل قوته باعتباره قائدا للشعب أبان الحرب ، وسرعان ما أصبح الذبح مجرد إجراء طقسي ، ثم تداعى هذا

(١) الرأى الآن أن هذا الملك عاش في القرن السابع والعشرين أو السادس والعشرين قبل الميلاد .

الاجراء أخيرا بأكمله أو تحول الى يوبيل . وقد اعتاد الفراعنة المتأخرون تكراره في فترات تقل غالبا عن ثلاثين سنة .

ويقوم المعبد فوق الهضبة الصحراوية على مسافة تقرب من ميل شمالي معابد وأهرامات أبو صير ، ويختلف في تصميمه عن الطراز المألوف للمعابد المصرية رغم أن فيه شبيها من ذلك الطراز الذى ابتدعه « أخناتون » في تن العمارنة في الأسرة الثامنة عشرة .

وقد يكون هذا الطراز الأخير مقتبسا بعض الشيء من طراز ما في الأسرة الخامسة ، والمعبد يشمل فناء مكشوبا بطول ٣٣٠ قدما وعرض ٢٥٠ قدما ، ويقع المدخل في الطرف الشرقى ، مركز شروق الشمس ، وفي الطرف المقابل من الفناء يقوم الأثر الذى تقع عليه أشعة الشمس أولا عند الشروق .

ونعنى به المسلة الناقصة ، المقامة فوق قاعدة على شكل هرم ناقص ، ويبلغ مسطح القاعدة نحو ١٣٠ قدما مربعة وارتفاعها ١٠٠ قدم ، أما المسلة المقامة فوقها والمبنية باللبن فيبلغ ارتفاعها نحو ١٢٠ قدما .

ولابد أن الفكرة بأكملها هي إحدى التصميمات السخيفة التى ابتكرها المهندس المصرى فى وقت ما ، فهذا الأثر ليس مسلة حقيقية أو هرما حقيقيا بل هو مزيجا مشوشا منهما ، وهو بحالته التى وجد عليها كان رمزا وتجسيما لاله الشمس ، وكان مفروضا أن يقيم به ، ليلقى نظيرة على الذبائح التى كانت تقدم اليه فوق مذبح ضخم مشيد من خمس كتل كبيرة من المرمر .

ويبلغ طول المذبح ١٩ قدما بعرض ١٨ قدما ، وارتفاع أربع أقدام ، وبارضية المذبح قنوات تحمل دماء الضحايا الى عشرة أحواض من المرمر معدة لاستقبالها .

وبمحاذاة الجانبين الشرقى والجنوبى للفناء توجد أروقة مسقوفة ، وهذه الأروقة تنحرف بعد ذلك الى الشمال تجاه المسلة وعلى الجانب الشمالى توجد مخازن وخزائن لحفظ الأوانى المقدسة المخصصة للاله .

ويمكن الوصول اليها بواسطة ممر مسقوف من البوابة الكبيرة ، ومن البوابة الرئيسية يبدأ طريق منحدر من رصيف المعبد الى فناء آخر كبير محاط بسياج ، وبداخله مساكن الكهنة ومخازن أخرى .

ويقع خارج السياج المقدس من الجانب الجنوبي أحد العناصر المميزة للمعبد ، ذلك هو مركب الشمس الذى يفترض أن يقوم الاله فيه برحلته اليومية ، وتوجد مثل هذه المركب بمنطقة الجيزة ، كما سبق أن ذكرنا .

ولا تزال الفجوات التى كانت تحفظ فيها المركب باقية فى بعض الحالات - ولكن مركب « رع » - فى حالتنا هذه - مبنى كله من اللبن ، وكذلك قمراته وشاراته ويهدف وذلك الى ضمان بقائها مدة أطول مما ينتظر فى حالة أى مركب عادية .

ولانزال أساسات المركب المبنى باللبن باقية الى الآن - وإلى الجنوب من المسلة الكبيرة حجرة صغيرة ، ربما كانت مخصصة للملابس الفرعون التى كان يرتديها عندما يشترك فى طقوس الاله ، باعتباره كاهن « رع » الأعظم والحجرة مزينة كالأروقة برسوم بارزة جميلة بعضها الآن فى متحف برلين ، والبعض الآخر فى المتحف المصرى - وكان معبد الشمس بوصف عام « لنيو أوسرع » فريدا فى عمارته .

ورغم أنه لا يضارع المعابد ذات الطابع العادى فى عظمتها الطاغية ، ورغم أنه أقرب الى القبح منه الى الجمال ، فانه يستحق الاهتمام كنوع جديد من طراز معمارى ليست لدينا منه أمثلة كثيرة (١) .

وعلى مسافة قصيرة جنوبى « أبو غراب » تقع أكبر ثلاثة أهرامات فى أبو صير وكانت تطل علينا عند الصحراء أثناء زيارتنا لمعبد الشمس . وقد شيد هذه الأهرامات ثلاثة من فراعنة الأسرة الخامسة الذين يرجع الى

(١) هناك معابد أخرى من نفس النوع فى هذه المنطقة ، وقد قام المعهد الألمانى مع المعهد السويسرى بالبحث عن معبد الملك « شيسسكاف » ، وأسفر البحث عن العثور على بعض الآثار التى أهمها رأس جميل من حجر الشست للملك بالحجم الطبيعى لابسا قلنسوة .

غيرتهم الدينية التحول الى عبادة الشمس ، ذلك الاتجاه الذى يميز ذلك العصر .

ولما كان بناء هذه الأهرامات غير ممتاز فقد تأثرت كثيرا بتقلبات الزمن - وقد كشف عنها « بور خارد » على نفقة الجمعية الشرقية الألمانية في الفترة التى بين ١٩٠٢ - ١٩٠٨ .

وعلى الرغم من التخريب التام للحجرات الداخلية للأهرامات ، فقد أسفرت أعمال الكشف عن نتائج على جانب كبير من الأهمية والفائدة ، لأنها ألقت الضوء على كنه المجموعة الهرمية ، وهى الهرم والمعبد الجنائزى والطريق إلى معبد الوادى .

وأقصى هذه الأهرامات الثلاثة الى الشمال هو هرم «ساحورع» ثانى ملوك الأسرة الخامسة ، وثانى ثلاثة ولدتهم أمهم « رع ددت » زوجة كاهن « سخبو » من اله الشمس ، طبقا لما جاء فى بردية « وستكار » ، وكان مقدرا لهم أن يصبحوا فراعنة مصر على التوالى بعد انتهاء الأسرة الرابعة .

هرم « أوسر - كاف » :

هو هرم الملك أوسر - كاف أول ملوك الأسرة الخامسة الذى اختار منطقة صقارة ليبنى هرمه قريبا من الهرم المدرج ، لأن هذه المنطقة فى ذلك العهد كانت مشغولة ومزدحمة بالمعابد والأهرامات الصغيرة .

لذلك اختار « أوسر - كاف » مقره الأبدى بجوار هرم سلفه العظيم « الملك زوسر » على هضبة مرتفعة لا تبعد أكثر من ٢٠٠ متر من الهرم المدرج للملك زوسر .

ولا نجد فى عمارة هذا الهرم أى تجديد فى بناءه سوى معبده الجنائزى حيث بنى هيكل القرايين فى الجهة الشرقية للهرم وباقى أجزائه فى الجهة الجنوبية كما فى الشكل ويعتقد أن ذلك التغير مرتبط بعبادة الشمس الذى زاد نفوذها ازديادا كبيرا فى ذلك العهد .

(م ١٩ - الآثار ج ١)

ومجموعة « أوسر - كاف » الهرمية كانت محاطة بسور طويل وكان الطريق الصاعد إليها مرصوفا بأحجار البازلت ، فاذا وصلنا الى الباب نجده يؤدي الى المعبد الجنائزى .

وقد عثر فيرث على هذا المعبد عام ١٩٢٨ حيث كان فى شدة التخریب لأن أحجاره كانت من بين الآثار التى كسروها ونقلوها لاستخدامها فى مبان أخرى .

كما اختفت تماما أجزاء هذا المعبد بسبب استخدام بعض أغنياء العصر الصاوى لحفر مقابرهم فيه .

ويؤدى المدخل الى دهليز داخل دهليز آخر حيث نجد بعد ذلك بهوا مفتوحا أرضيته من أحجار البازلت ومساحته تقريبا ٢١ × ٣٥ مترا ، وكان فى الأصل محاطا بعقود فوق أعمدة محاطة به من ثلاث جهات .

وكانت هذه الأعمدة فى الأصل مربعة بطول متر من الجرانيت الأحمر ، أما الفناء فيوجد بابان يؤديان الى باقى أجزاء المعبد ، ونظرا لوجود ثلاث مقابر من العصر الصاوى فى هذا المعبد ملحق بها ثلاث آبار كبيرة فى أرضيته فقد اختفت بعض أجزاءه وحجراته .

وعند حفر ذلك المعبد عثر على بعض أجزاء من تمثال للملك «أوسر - كاف» من الجرانيت الأحمر ، (محفوظ الآن بالمتحف المصرى) تحت الأرضية داخل فجوة عميقة كما عثرت على بعض الأحجار المنقوشة من النوع العادى .

أما المعبد الصغير الذى يتجه ناحية الشرق فجميع جدرانه من حجر البازلت ، ويحتوى على حجرة للقرايين بأسفلها بئر لتصريف المياه .

والهرم الذى كان موجودا فى ذلك المكان هو هرم الملكة الذى يتجه الى الناحية الجنوبية ، وقد سرقه اللصوص فى العصور القديمة .

وعندما تم فحصه علميا وجد أنه يشبه فى تصميمه وهندسة مبانيه

أهرام الأسرة الرابعة ، وهو مشيد بكتل كبيرة من الحجر الجيري ، وحجمه صغير ، وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته المربعة حوالي ٧١ متراً وارتفاعه ٤٥ متراً .

أما المدخل فيوجد في منتصف الجهة الشمالية حيث يؤدي الى ممر جدرانه وسقفه من كتل الجرانيت الأحمر ، وقد تعمد اللصوص أن يتفادوا المتاريس الجرانيتية فقطعوا نفقا في الحجر الجيري فوق المتاريس ، ولم يعثر المكتشفون على أى شيء ذو أهمية داخل ذلك الهرم .

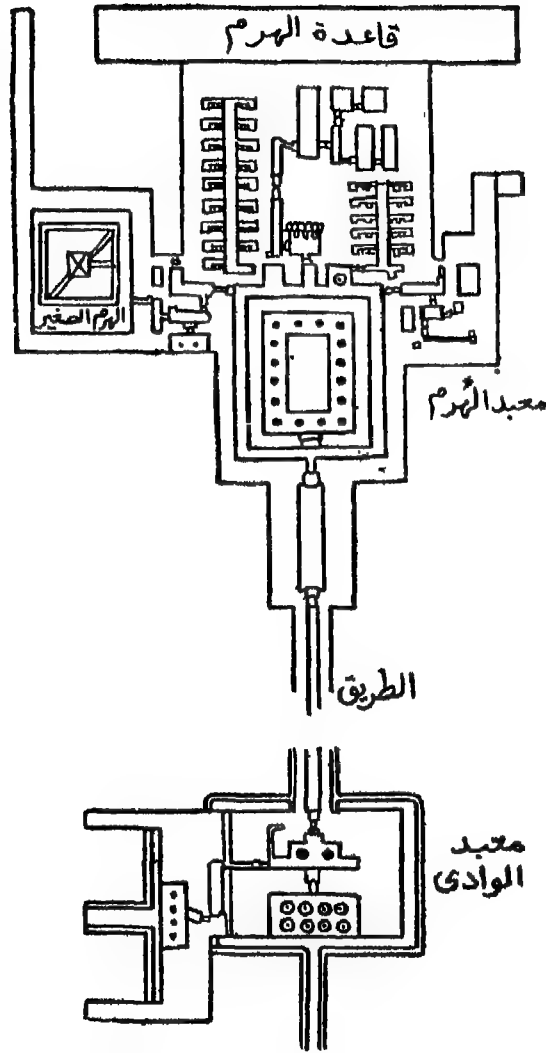
هرم ساحورع :

ويبلغ الطول الحالي لكل ضلع من أضلاع قاعدة هرم « ساحورع » ٢١٦ قدماً ، وكان أصله ٢٥٧ قدماً ، وارتفاعه الحالي ١١٨ قدماً ، وكان أصله ١٦٢ ٪ قدماً .

وبهذا يكون قد تعرض لكثير من الدمار وطول طريقه نحو ٦٥٠ قدماً ، وينتهى هذا الطريق بمعبد الوادي على حافة الأرض التي تصل إليها مياه الفيضان .

والمعبد الجنائزى يقع كالمعتاد في الجانب الشرقى من الهرم . وهو على جانب كبير من الأهمية ، لأنه يكشف عن استخدام أساليب هندسية جديدة ، شاع استعمالها فيما بعد في العمارة المصرية ، فهناك دهليز طويل ضيق يؤدي الى فناء ذو أعمدة ، له أرضية مغطاة باليازلت ، وقد كان سقف « الباكية » التي تحيط بالفناء يرتكز على ١٦ عموداً من الجرانيت الأحمر ، كل منها من قطعة واحدة .

ولاتزال أجزاء من هذه الأعمدة ترى متناثرة في الفناء ، والجديد في البناء هو استعمال تيجان على شكل سعف النخيل فوق أعمدة مستديرة كل منها يتألف من قطعة واحدة من الجرانيت يزيد ارتفاعها على عشرين قدماً ، وهذا يدل على تطور هندسي معمارى جديد ، والمميز الآخر الواضح هو إدخال عنصر جديد في الزخرفة لأول مرة .

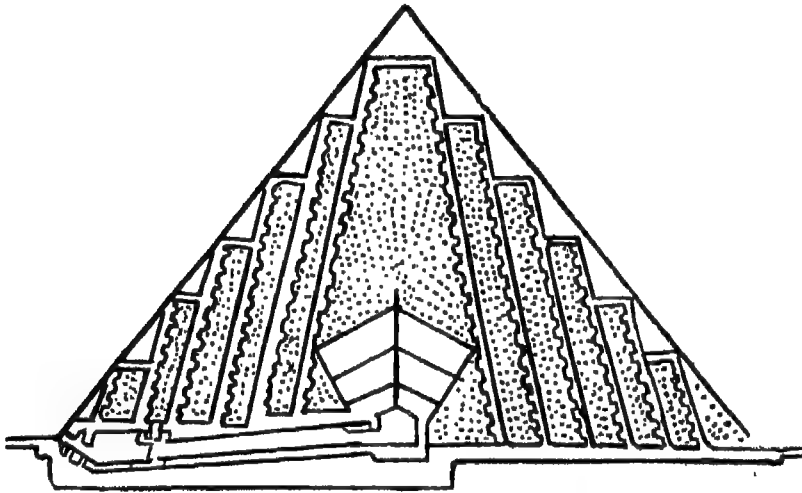


(شكل رقم ٦٧)

المعبد الجنائزى ومعبد الوادى والطرق بينهما لهرم الملك ساحورع

وقد أصبح هذا العنصر أحد المعالم اللازمة للزخرفة الدينية ونعني به قرص الشمس الذي تكتنفه « حيات الكوبرا » وتلى الفناء حجرة عرضية وأخرى سرية كانت أصلا مخصصة للتماثيل الجنازية للملك .

ويؤدي ممر ضيق الى الهيكل الذي يضم لوحة عند سفح الهرم ، وعلى كلا الجانبين تقع المخازن . ويقوم في الزاوية الجنوبية الشرقية للهرم هرم صغير للملكة يحيط به سياج صغير مستقر له مدخل يكتنفه عمودان على شكل شجرة النخيل .



(شكل رقم ٦٨)
هرم ساحورع في منطقة أبو صير
(قطاع في اتجاه الناحية الشرقية)

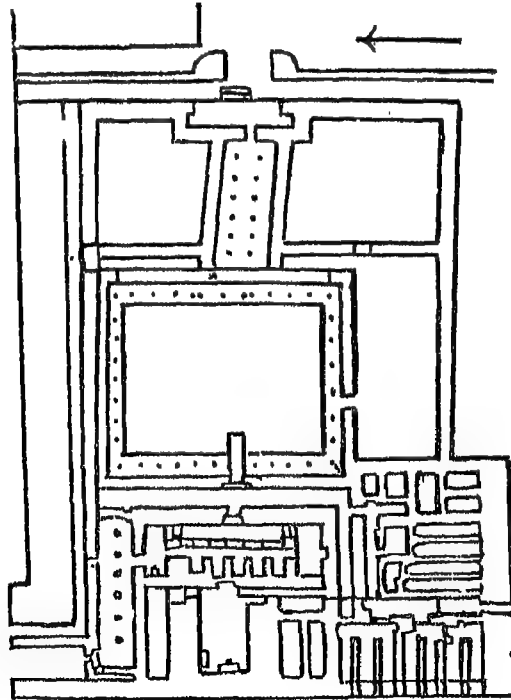
وعلى مسافة قليلة جنوبى هرم « ساحورع » يقع هرم « نيواسورع » الذى سبق أن تحدثنا عن معبد الشمس الخاص به فى « أبو غراب » . وقد كان لمعبد الوادى روعته بأعمدته التى تنتهى بالبراعم المقلدة لنبات البردى . وقد بنى فوق منصة كبيرة مستطيلة الشكل ، يمكن الوصول اليها ببضع درجات ، ترسو عندها المراكب الجنازية فى طريقها الى الممر الطويل الصاعد (حوالى ألف قدم) الى المعبد الجنازى عند القاعدة الشرقية للهرم .

وتقع على جانبى فناء المعبد المخازن ، ومن هذا الفناء نصل إلى فناء آخر مكشوف ذو أعمدة مصنوعة من الجرانيت الأحمر ، وهى مثل أعمدة معبد الوادى من طراز نبات البردى ذو البراعم المقفلة .

وأرضية الفناء - كما هو الحال فى معبد « ساحورع » - من البازلت والى الغرب من هذا الفناء تقع مجموعة من الحجرات ، كانت مخصصة للخدمة أغراض المعبد ، وهى الآن فى حالة تخريب تام .

وفى الزاوية الجنوبية الغربية من الهرم يقوم هرم آخر صغير يحتمل أنه كان لاحدى زوجات الملك « نيواسررع » ، ونعرف من بينهن اثنتين هما « خنت كاوس » و « نوب » .

وتشير الرسوم التى نقشت على جدران المعبد الى انتصارات الملك



(شكل رقم ٦٩)

رسم تخطيطى للمعبد الجنائزى للملك نفر اركاع فى أبو صير

على الليبيين والسوريين وغيرهم ، وكثير من هذه الرسوم البديعة محفوظة في متحف برلين مثل معبد « ساحورع » .

وأكبر أهرامات أبو صير هو هرم الملك « نفر اير كارع » الذى يظن أنه « كاكاو » ثالث أولاد « رع ددت » الثلاثة ، وكان طول كل ضلع من أضلاع قاعدته فى الأصل ٣٦٠ قدما ، وارتفاعه ٢٢٨ قدما ، وهو بذلك أكبر قليلا فى الارتفاع وفى طول جوانب قاعدته من الهرم الثالث بالجيزة . ونظرا لرداءة بنائه ، فقد تعرض لكثير من الدمار حتى نقص حجمه كثيرا الآن ، فأصبح طول كل ضلع من أضلاع قاعدته ٣٢٥ قدما فقط ، وارتفاعه ١٦٤ قدما ، وصناعة ومواد معبد الهرم دون صناعة ومواد مثل زميليه الآخرين .

وكل من الفناء ذى الأعمدة والفناء الأول مبنى باللبن ، وبهما أعمدة على شكل أربع فلكات من نبات البردى وكلها فى حالة أسوأ من حالة معبدى الهرمين الشماليين . وجدير بالذكر أن نشير هنا الى أن « تى » صاحب المصطبة المشهورة بصقارة كان يشغل وظيفة أمين هذا الهرم .

ومن أهم المقابر الأخرى المقامة فوق الهضبة مصطبة «بتاح شبسس» التى كشفها « مارييت » وحفرها « دى مورجان » عام ١٨٩٣ ، وهى مغلقة ، غير أنه يمكن فتحها عند الطلب .

والصالة الفسيحة بها مزينة بعشرين عمودا مربعا ، أما الصالة الثانية ففيها ثلاث حجرات للتماثيل ، وتضم رسوما تمثل صنعا يشكلون تماثيل الموتى - والصالة الثالثة تحوى رسوما أو بقايا رسوم تمثل مراكب وأشياء أخرى .

و « بتاح شبسس » ، كما يظهر من شاهده التذكارى ، كان نموذجا للموظف المصرى ، وقد ولد فى عهد « منكاورع » من ملوك الأسرة الرابعة ، وتربى فى البلاط مع أبناء الملك ، وتزوج الأميرة « خع معات » ابنة « شبسسكاف » ثم خلف « منكاورع » ولم يؤثر انتقال الحكم الى الأسرة الخامسة فى مركزه بالبلاط .

فقد استمر مقربا الى «أوسر كاف» و «ساحو رع» و «نفر اير كارع» و «نفر رع» و «نيو أوسر رع» ، وقد استسلم أخيراً - في حكم الفرعون الأخير بعد خسة وتقدير سبعة ملوك على مضض - لحكم القدر .

ووصف في أسلوب رقيق ذلك الشرف الذى أسبغه عليه الملك «نفر اير كارع» : « عندما امتدحه جلالته من أجل عمل ما فسمح جلالته له بأن يقبل قدمه ، ولم يسمح له (أى لبتاح شبسس) بأن يقبل الأرض وتقع مصطبة هذا الأمير اللبق على مسافة قصيرة جنوب شرقى هرم «ساحورع» (١) .

هرم «نوسر - رع» :

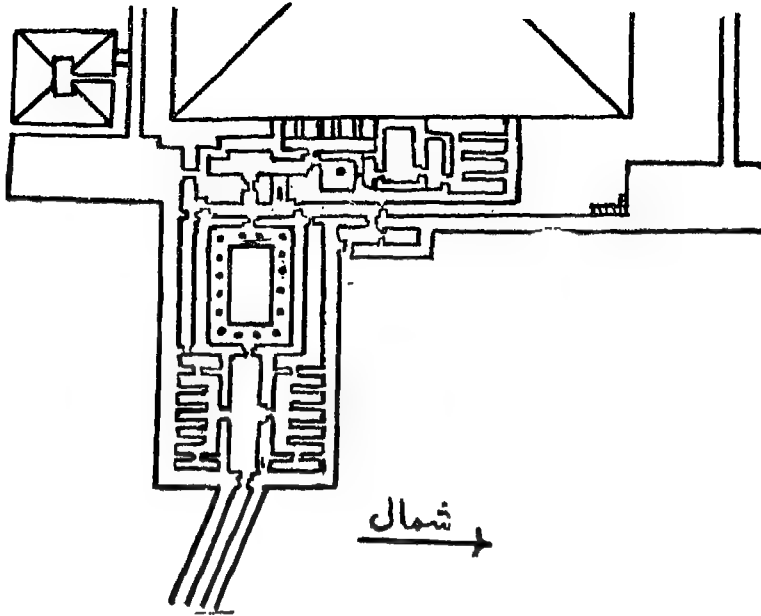
بنى الملك «نوسر - رع» هرمه بين هرمى «ساحورع» و «نفر اركاع» واستغل لنفسه معبد الوادى والطريق الصاعد بينهما .

ومن المحتمل أنه مات قبل أن يتم العمل فى هرمه ومعبد فاستغل معبد الوادى لنفسه وعمل منه طريقا خاصا له فى اتجاه الشمال الغربى ليصل الى معبد الجنائزى عند الزاوية الشرقية من السور الخارجى (انظر شكل رقم ٧٠)

ولهذا المعبد الجنائزى شكل غريب وغير مألوف ولكل من قسميه الخارجى والداخلى محور خاص ، وذلك لوجود مقابر كانت موجودة فى المنطقة قبل بناء الهرم اغتصبها ذلك الملك لنفسه .

ويؤدى الطريق الصاعد الى دهليز متسع حوله مخازن ، ومن الناحية الغربية من هذا الدهليز نجد بابا يؤدى الى بهو أعمده يتوسط المعبد ، ويوجد على جوانبه ستة عشر عموداً من الجرانيت الأحمر على شكل زهرة البردى .

(١) يقوم الأستاذ «جبا» ، الأستاذ بجامعة «براج» التشيكوسلوفاكية بتنظيف هذه المقبرة توطئة لنشرها .



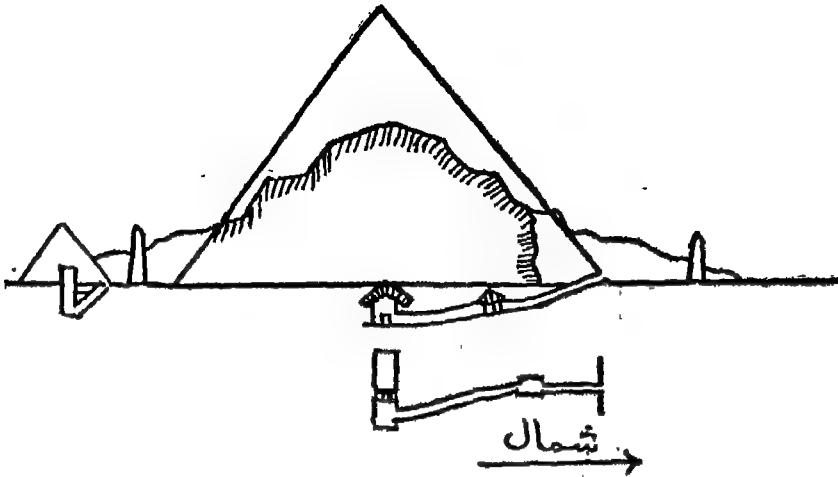
(شكل رقم ٧٠)

رسم تخطيطي للمجموعة الهرمية للملك « نوسر - رع »

أما الأرضيه فمرصوفة بكتل من الحجارة ، ونرى في منتصف الجدار الغربى بابا يؤدي الى دهليز ينتهى الى خمس كوات فى الناحية الغربية كما يؤدي الى فناء الهرم ، وفى الجهة الشمالية نجد حجرة مربعة صغيرة محمولة سقفها على عمود واحد ثم نجد بعد ذلك ردهة صغيرة وبضلع حجرات أخرى ثم هيكل المعبد .

وفى الركن الجنوبى الشرقى من الهرم نجد الهرم الجانبى يحيط به سورته الخارجى فى ارتفاع ١١ مترا وطوله ضلع قاعدته ١٥ مترا وله مدخل فى منتصف الواجهة الشمالية يؤدي الى حجرة داخلية .

وارتفاع ذلك الهرم عند تشييده كان حوالى ٥٣ مترا وطول ضلع قاعدته ٨٠ مترا وهو مبنى بأحجار هشة مختلطة بالزمل والحصى وله خمسة طبقات وزاوية ميل ٧٠ ، وقد اختفت الآن أحجار الكساء الخارجى .



(شكل رقم ٧١)

رسم تخطيطي ومقطع لهرم « نوسر - رع » في ابو صير .

أما مدخل الهرم فهو في الجهة الشمالية منه ومسدود الآن وكانت جدرانه وسقفه من أحجار الجرانيت ولا يسمح بزيارته حالياً وهذا المدخل يؤدي إلى ممر غير طويل ثم إلى ردهه بعدها ممر آخر تغلقه ثلاث متاريس حجرية وفي النهاية نجد ردهه صغيرة أخرى ثم حجرة دفن مثلثة السقف .

هرم « جد كارع - أسيسي » :

شيد الملك « جد - كارع - أسيسي » من ملوك الأسرة الخامسة هرمه على هضبة عالية خلف منازل صقارة ، ويعتبر هذا الهرم العجيب لغزا من الألغاز ، كما حاول بعض الأثريين في أواخر القرن الماضي أن يفحصوه ويكتشفوا ما حوله ولكنهم تركوه عندما لم يجدوا بداخله أى شيء أو أية كتابات على جدرانه الداخلية .

وظل هذا الهرم على حاله مدة طويلة حتى كشف عن معبده الجائزى ، ولكن مما يدعو إلى الأسف الشديد أن ذلك المعبد أيضا تعرض للتحطيم في الأزمنة القديمة ، واستخدموا أرضيته كجبانة في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وكشفت الحفائر عن أحجار كثيرة منقوشة وبعض العناصر المعمارية التي من بينها تماثيل للأسرى الأجانب وتماثيل حيوانات متمثلة في شكل أسود برؤوس بشرية وتماثيل لأبى الهول وثيران وكباش ، كما عثر على بعض قطع من أكتاف أبواب وأعمدة مبعثرة في كل مكان .

كما عثر على عدد كبير من المقابر شرقى المعبد الجنائزى مباشرة ، وجدرانها ملونة . كذلك عثر على هرم صغير لزوجة أسيسي به أحجار منقوشة ولكنها في حالة تخريب تام حيث تعرضت لنفس المصير المحزن الذى تعرض له المعبد الجنائزى للملك .

موقع « منف » القديمة

كانت « منف » من أكبر العواصم المشهورة في العالم القديم ، وكانت أول عاصمة لمصر المتحدة ، ويمكن بسهولة الوصول إليها بالقطار من « القاهرة الى البدرشين » ، أو بالسيارة بطريق « الجيزة » ، وأبو غراب ، وأبو صير » .

والطريق الأخير هو الطريق المفضل ، وباتخاذ نمر أولا بجبانة « صقارة » قبل أن نصل الى « منف » ، ولكن يستحسن أن نبدأ أولا « بمنف » تاركين « صقارة » بتفصيلها الكثيرة الى ما بعد الانتهاء من زيارة « منف » التى نصل إليها من « البدرشين » بطريق الجسر الموصل الى قرية « ميت رهينة » .

والمنظر هناك لا يوحى بأننا نسير فوق أطلال أعظم مدينة في العالم القديم - ومع ذلك ليس هناك أدنى شك في أن « منف » قد احتلت ذلك المركز خلال الدولة القديمة منذ بداية الأسرة الأولى حتى نهاية الأسرة السادسة .

وحتى بعد أن نحيث عن مكانتها القديمة كعاصمة للفرعنة وتلتها أولا « ايثت تاوى » (اللشت) في عصر الدولة الوسطى ، ومن بعدها « طيبة » في عصر الدولة الحديثة ، فقد ظلت من أهم مدن مصر القديمة ومن أكثرها

ازدحاما بالسكان ، ولم تندهور مكانتها كأعظم مدينة في مصر
بعد العاصمة الا بعد تأسيس الاسكندرية .

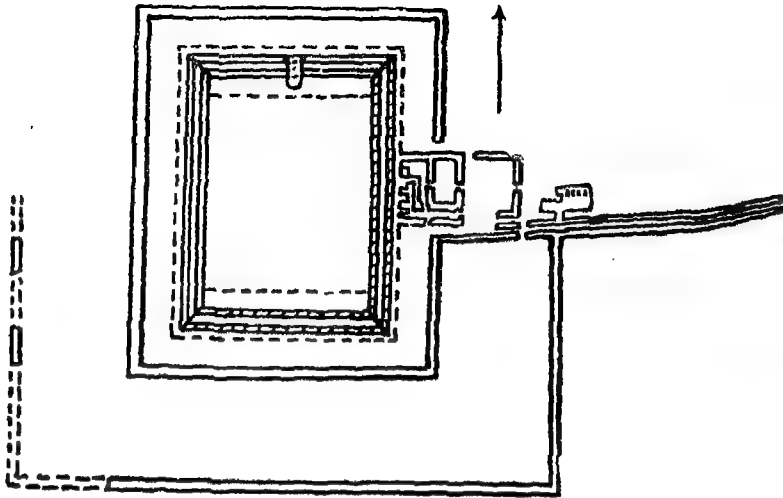
وحسب ما ذكر « هيرودوت » تبدأ قصة المدينة بالملك « مينا » موحد
المملكة ولا داعى هنا للشك في قوله ، فانه بعد أن نجح في اخضاع وادى
النيل كله قرر - على الرغم من أنه هو نفسه كان من مصر العليا ، اذ نشأ
في طينة بالقرب من « أبيدوس » - وقرر أن يجعل عاصمته فى موقع يستطيع
منه أن يتحكم فى الدلتا التى كان يتوقع أن تسبب له من المتاعب أكثر
مما كان يتوقعه من مصر العليا ، بحكم أنها آخر قسم فى
البلاد انضوى تحت وحدته .

والموقع الذى اختاره « مينا » له مميزات واضحة ، فعلى الرغم من
أنه قريب من الدلتا الى درجة تمكن الملك من السيطرة التامة على
أتباعه الجدد ، فانه غير متداخل تماما فى الدلتا .

ويذكر هيرودوت أن الموقع قد عدل ، وربما كان السبب الذى دعا الملك
الى وضع العاصمة الجديدة على الضفة الغربية للنيل هو أنه حرص على
أن يجعل من النيل حاجزا بينه وبين القبائل المشاغبة الضاربة شرق
الدلتا وخليج السويس ، وقد كانت غارات هذه القبائل مصدر
خطر مستمر لمصر السفلى .

ويقول هيرودوت : « ان « مينيس » - أول من حكم مصر - حوى
ممفيس أول الأمر بتل ، لأن النهر كان يجرى قريبا من الجبل الرملى ناحية
ليبيا (يقصد الى الغرب) ولكن « مينيس » بدأ على بعد مائة مرحلة جنوبى
« ممفيس » يملأ الذراع المتجه الى الجنوب وجفف المجرى
القديم ، وسير مجرى النهر فى قناة حتى يفيض بين الجبال .

ولما تأكد من صلابة الأرض التى اقتطعت ، بنى « مينيس » - أول
ملك - على الأرض الجديدة تلك المدينة التى تسمى الآن « ممفيس » لأن
« ممفيس » تقع فى الجزء الضيق من مصر ... ولأن النيل نفسه يربطها
من ناحية الشرق .



« شكل رقم ٧٢ »

رسم تخطيطي لمصطبة فرعون (من الداخل) « نقلا عن جيكية »

وسرعان ما ازدادت الأهمية التي اكتسبتها المدينة الجديدة باعتبارها العاصمة الملكية بما استحدث فيها من شعائر دينية عظيمة ، ويخبرنا « هيرودوت » بأن « مينا » أقام بها معبد (فولكان) (إيتاج) ، وكان معبدا فسيحا يستحق الذكر .

ويذكر « مانيتون » أن الملك الثاني من ملوك الأسرة الثانية أنشأ بها أيضا شكلا من أشكال عبادة الحيوان أصبح أخيرا على جانب كبير من الشهرة ، ونعني به عبادة « العجل أبيس » .

ويحتمل أن تكون عبادة أبيس أقدم من ذلك ، فقد ذكر « حجر بالرمو » أن أول حدث للعجل « أبيس » كان في عهد الأسرة الأولى ، وقد استمر معبد « بتاج » على كل حال محتفظا بمكانته كمعبد من أعظم المعابد المصرية تقديسا واحتراما حتى عصر متأخر ، بل حتى في عصر الأسرة العشرين .

ويوم أحنى الشعب كله رأسه لعبادة « آمون » احتفظ معبد « بتاج » بالمرتبة التالية لمعبد « آمون » بطيبة « ورع » بهليوبوليس ، وجدير بالذكر القول بأن أتباع « آمون » كانوا يضعون أيديهم على نحو تسعة

- ٣٠٢ -

أضعاف ما يملكه الإله الخالق « بتاح » ، وكان « رع » يملك نحو
ضعفى ما يحزره « بتاح » .

ولقد بلغت هذه المدينة أوج عظمتها فى عصر الدولة القديمة ، وكانت
أول ضربة وجهت إليها هى احتلال « بعنخى » لها ، فضلا عن
هجرها كعاصمة للبلاد الملكى .

وعلى الرغم من أن هذا الملك لم يكن قاسيا ، فانه أظهر احترام « بتاح »
فى معبده ، ثم تلا ذلك استيلاء الآشوريين على المدينة ونهبها أولا على يد
« أسر حادون » ثم على يد « آشور بانيبال » ومن المؤكد أن أحدا منهما لم
يظهر من الرحمة ما أظهره « بعنخى » .

وأخيرا قام « قمبيز » المتهور بعد انتصاره فى « بيلوز » (الفرما)
بتخريب المدينة وذبح حكامها وكهنتها ، واقتراف أكبر الآثام
بقتل العجل « أبيس »

وفى أوائل العصر الرومانى احتفظت المدينة بالكثير من عظمتها ورخائها ،
على الرغم من أنها لم تكن اذ ذاك أكثر من عاصمة هامة لحدى المقاطعات ،
ورغم اقفار قصورها الفخمة ، التى سرعان ما تحولت الى خرائب .

وقد تعرض ما بقى من مكانتها الدينية لضربة قاصمة حين أصدر
الامبراطور « ثيودسيوس » (٣٧٩ - ٣٩٥ م) مرسوما أدى الى تخريب
المعابد وتحطيم التماثيل .

وحل الخراب « بمنف » تماما عندما سلم المقوقس المدينة الى
« عمرو بن العاص » قائد الخليفة « عمر بن الخطاب » اذ أن المسلمين أسسوا
عاصمتهم على الضفة الشرقية للنيل ، وبذلك لم تعد « منف » غير مورد
للد الخلفاء المتعاقبين بالأحجار الصالحة لمبانيهم فى القاهرة .

وقد استغرق تخريب العاصمة القديمة لمصر زمنا طويلا ، ففى أوائل
القرن الثالث عشر نرى « عبد اللطيف البغدادى » يبدى دهشة من اتساع
الاطلال ، وفى نهاية هذا القرن كان الخراب قد قضى عليها نهائيا .

وليس من بين مدن العالم القديم الا القليل ممن طمست معالمه تماما
كما حدث لمدينة « منف » ، وبذلك تحققت نبوءة النبی « أرميا » القائلة :
ستصبح « « نوف » صحراء جرداء ومهجورة لا يسكنها ساكن » .

أما قول « حزقيال » : (سأبطل تماثيلهم في « نوف ») فقد أيدته
تلك البقايا القليلة من التماثيل المحطمة التي كان العثور عليها من حين لآخر
عزاء لمنقبي الآثار عما كانوا يبذلونه من جهد كبير في هذه المنطقة .

ومحيط المدينة القديمة كما قدره « ديودور » بلغ مائة وخمسين
استادا . فإذا كان المقصود هو « الاستاد اليوناني » فان المحيط يعادل
سبعة عشر ميلا وربع ميل ، أما اذا كان المقصود « الاستاد المصري »
فان المحيط يبلغ أربعة وعشرين ميلا ونصف ميل .

ويميل السيد « فلنדרز بترى » - الذي قام بالحفر في تلك المنطقة
عام ١٩٠٨ ، وفي السنوات التي تلتها - الى الأخذ بالرأى القائل بأن القياس
المقصود هو القياس الأكبر - وقد ذكر أن ذلك يتمشي مع طول جوانات
المدينة الممتدة من « دهشور » الى شمال « أبو صير » .

وهذا يعادل مساحة الجزء الشمالى من لندن الواقع بين « بو وشليزيا » ،
ومن نهر « التيمز » الى « هامبستد » ، ومن المحتمل أن جزءا كبيرا من
هذه المنطقة كان يشمل حدائق وحقولا تتبع القرى المتعددة التي تلاصقها
لتكون العاصمة .

ومثلها في ذلك مثل القرى والمدن التي تؤلف مدينة لندن . وعلى ذلك
فان « منف » لم تكن مدينة صغيرة رغم أن ما بقى منها لا يدل على
عظمتها الماضية .

واذا سرنا في الطريق متجهين غربا لنصير في مواجهة قرية «ميت رهينة»
فاننا نرى على يميننا ساحة فسيحة منبسطة ، ينخفض مستواها عن
مستوى الأراضي المحيطة بها ، وتحف بها تلال قليلة الارتفاع تغطيها
أشجار النخيل .

والجزء القريب من هذه الأرض المنخفضة يحدد موقع معبد « بتاح الكبير » ، الذى يرجع تأسيسه كما ذكر « هيرودوت » الى « مينا » أو « مينيس » ، ولاشك أن البحيرة المقدسة كانت تقع خلف المعبد الى الشمال ، ويليها بناء آخر يحتمل أن يكون جزء منه كان حصنا للمدينة .

وخلف ذلك يقع الى الشمال تل كان يشغله قصر « ابريس » ، من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، واذا اتجهنا الى الشرق رأينا قصر « مرنبتاح » من ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

وقد قام سير « فلنדרز بترى » ، كما قامت بعثة متحف جامعة بنسلفانيا بحفائر واسعة بهذا الموقع فى السنوات الأخيرة ، وتركزت أعمال « بترى » فى نطاق معبد « بتاح » وقصر « ابريس » .

وأيدت نتائج الحفر بالمعبد صدق ما ذكره « هيرودوت » الذى كانت لديه معلومات وافية عن العصور المختلفة التى تم فيها البناء ، وعن الذين أضافوا وزينوا المعبد الكبير .

ولابد أن « سيزوستريس » الذى عزا اليه « هيرودوت » اقامة التمثالين الكبيرين ، البالغ ارتفاع كل منهما ٣٠ ذراعا (هيرودوت ٢ - ١١٠) هو « رمسيس الثانى » وليس « سنوسرت الثالث » كما هو التفسير الشائع الآن لذلك الاسم .

وأحد التمثالين الكبيرين اللذين رأهما « هيرودوت » لايزال باقيا ، وهو التمثال الأكبر من تمثالى « رمسيس » ، وقد تأيد صحة ما ذكره أن « موريس » (امنمحات الثالث) من ملوك الأسرة الثانية عشرة أقام بعض المباني فى الجانب البحرى من المعبد .

وأن « رمسيس الثالث » أقام تمثالين يبلغ ارتفاع كل منهما ٢٥ ذراعا أمام البوابة الغربية (هيرودوت ٢ - ١٢١) ، وأن « إيسماتيك »

الأول من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، بنى مقصورة ورددة زيتها
بتمثيل كنيزة ، وشاهد « هيرودوت » أيضا تمثالا أضخم من
تلك التي ترقد على ظهرها .

وربما وجده أمام تمثالي « رمسيس الثانى » عند الواجهة القبليّة
للمعبد، غير أنه لم يعثر على هذا التمثال الضخم الذى أقامه «أحمس الثانى»
من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، وكان يلى فى الارتفاع
تمثال « رمسيس الثانى » فى « تانيس » .

وهناك احتمال يرجح أنه حطم ، وقد عثر « بترى » على قطع كثيرة
من تماثيل مختلفة جاء ذكرها فى كتابة « هيرودوت » على الرغم من أنه لم
يعثر على تماثيل كاملة سوى مجموعة من تماثيل غير كبيرة من الجرانيت
تمثل « رمسيس الثانى » مع « بتاح » .

وقد عثر على تمثال جميل لأبو الهول من الجرانيت الأحمر يزن أحد
عشر طنا ، ويرجع تاريخه الى عصر « رمسيس الثانى » عند البوابة
الشمالية للمعبد ، وهذا التمثال موجود الآن فى متحف « فيلادلفيا »
بالولايات المتحدة الأمريكية .

وقد شوه وجهه تماما بسبب العوامل الجوية ، وربما بسبب حريق ،
وان كانت بقية التمثال فى حالة جيدة من الحفظ . وهناك أدلة أخرى
— اذا كنا بحاجة الى شيء منها — تثبت أن الفراعنة المتأخرين نهبوا بطريقة
مشينة مباني الملوك القدماء ليوفروا على أنفسهم بعض مشقة البناء .

فأساسات الصالة الغربية التى أضافها « رمسيس الثانى » الى معبد
« بتاح » كانت من أحجار جرانيتية نهبت من كساء أحد الأهرامات ، كما
يدل على ذلك شكلها ، وهذا التفسير لا يحتمل الشك ، لما لحق بأهرامات
أبو صير من تخريب .

أما حفائر بعثة « فيلادلفيا » فقد أمدتنا بمعلومات وافية عن تصميم

قاعة العرش بقصر « منبتاح » ، الذى التهمته النيران بعد وفاة الملك بزمان قصير ، ولكن ما بقى منه كان كافيا لأن يمد بعثة « فيلادلفيا » بفكرة عما كانت عليه قاعة عرش ملك من ملوك الدولة الحديثة من روعة فى التصميم .
واذا اتخذنا هذه الحجرة قياسا لعرفنا مبلغ ما كان عليه القصر من ذوق فنى رفيع ، خصوصا إذا تذكرنا أنه لم يكن قصر عاصمة للبلاد ، بل كان قصر عاصمة كبيرة لأحد الأقاليم .

وعلى وجه عام لقد أكد لنا الكشف ما تعرضت له « منف » من خراب كامل ، والآن لا نجد أحسن أمثلة للنحت إلا ما وجد بالموقع وما نقل منها إلى القاهرة أو أصبح مبعثرا فى متاحف أوروبا وأمريكا ، وبخاصة فى كارلسبرج ، وفيلادلفيا .

وليس فى منف من المخلفات التى تشهد على مجدها السالف غير تمثال « رمسيس الثانى » وتمثال « أبو الهول » الضخم المصنوع من المرمر البلى كشف عام ١٩١٢ .

وقد كشف عن أقل هذين التمثالين أهمية عام ١٨٨٨ - وهو من الجرانيت ، وطوله الحالى بحالته المهشمة يبلغ ٢٦ قدما ، وقد فصل عنه التاج الذى كان مثبتا فى أعلى الرأس وما يزال يرقد الآن بجانب التمثال .
ويبلغ ارتفاع هذا الرأس ٦ ١/٤ أقدام . وخرطيش رمسيس الثانى محفورة على كتفى التمثال وعلى صدره وحزامه ومعصمه ، كما يحمل العمود الظهري نقشا ، وإلى الجانب الأيسر من التمثال رسم غائر يمثل ابنه رمسيس المحبوبة « بنت عنتا » التى كانت أيضا زوجته (١) .

ويوجد بجانب هذا التمثال شاهد للملك « حح ايب رع » (أبريس) مع رسوم تمثل « بتاح » و « سكر » اله منف لدى الموتى . وبالقرب منه تمثال ضخم لأبو الهول من المرمر ، وقد سبق الإشارة إليه .

(١) نقل هذا التمثال منذ بضع سنوات إلى القاهرة ، وأقيم فى ميدان رمسيس « المحطة » بعد ترميمه ووضع الرأس فى مكانها .

ويقرب وزنه من ثمانين طنا ، وطوله ٢٦ قدما وارتفاعه ١٤ قدما ، ويحتمل أن يكون من عصر الأسرة التاسعة عشرة ، أو من عصر « رمسيس الثانى » بالذات الذى كثيرا ما اغتصب الآثار ليزين بها هذا الموقع .

أما التمثال الثانى فلم يعتن به رأى العام الانجليزى أى عناية ، فأدى ذلك الى ترك « رمسيس الثانى » ملقى فى طين « ميت رهينة » كما سبق أن تركت مسلة « تحتمس الثالث » الهائلة ملقاة فى رمال الاسكندرية .

وقد كشف عن هذا التمثال عام ١٨٢٠ « كافجليا » و « ستون » ، اللذان أهدياه بكل بساطة الى المتحف البريطانى ، ولم يتخذ المتحف أية محاولة لنقل هذا الأثر ، الذى ظل راقدا فى مكانه مدة ستة وستين عاما فى حفرة من الطين ، يهبط اليها الزائرون اذا رغبوا فىلقاء نظرة على وجه الفرعون العظيم ، الذى كان يتنسم التراب ، بطريقة كانت كفيلة بأن تشير غضب رمسيس .

وكان التمثال يفرق كل عام ابان الفيضان ، ولا يظهر الا عند انحسار المياه عنه . وتروى « مس أماليا ادواردز » التى لم تكن حتى عام ١٨٧٧ من بين اللذين نزلوا الى الحفرة ليروا « رمسيس » : « أن اللذين هبطوا الى الحفرة وراؤوه وقت الجفاف ذكروا انه كان من أرفع وأجمل أمثلة الفن المصرى فى أزهى عصوره » .

وبعد عشرة أعوام قام سير « فردريك ستيفنسن » ليزيل عار هذا الاهمال ، فجمع مبلغا من المال مكن الميجور « ارثربا جنولد » من رفع التمثال من الوحل ووضعه فوق قاعدة - أكثر صلابة - من قوالب الطوب ، ويرقد هذا التمثال الآن فى مبنى متواضع من اللبن ، أقيمت به منصة يمكن منها رؤية التمثال بسهولة (١) .

(١) أقيم مبنى خاص لعرض هذا التمثال ، به ممر علوى يستطيع أن يمر عليه الزائر ويستعرض التمثال من جميع الجهات ، ووضعت داخل هذا المبنى الكبير وحوله آثار من بينها لوحة الملك « أبريس » المنوه عنه فيما سبق .

ويستحق هذا التمثال المشقة البسيطة التي تبذل في سبيل رؤيته ،
لأننا إذا استثنينا التمثالين المعروفين باسم تمثالي « ممنون » وأجزاء
التمثال الهائل «لرمسيس الثاني» بالرمسيوم ، فإنه يعتبر أروع مثال لهذا
البطراز الخاص من الفن المصري ، يمكن رؤيته في مكانه الأصلي .

وقد لا نتفق مع « مس ادواردز » على أن فن الأسرة التاسعة عشرة
يمثل « عصرا من أزهي عصور الفن المصري » ، ولكن مما لا شك فيه أن
تمثال « ميت رهينة » يعتبر أحد الأمثلة البارزة الدالة على روعة ذلك الفن .

وقد فقد التمثال جزءا من تاجه ، كما فقد جزءا من ساقيه ، ولا بد
أن ارتفاعه كان ٤٥ قدما عندما كان كاملا ، وهذا يتفق مع ما ذكره
« هيرودوت » من أن ارتفاعه بلغ ٣٠ ذراعا ، ويجب ألا نتوقع أن يكون
مثل هذا التمثال الضخم صورة شخصية دقيقة للملك مهما كانت الملامح
معبرة ، مع مراعاة الناحية التقليدية .

وقد نقش خرطوش الملك على الكنف الأيمن والصدر والبزام ، وعلق
بالبزام خنجر ينتهي برأسي صقريين . ومن الغريب أنه على الرغم من
الاهمال الذي تعرض له التمثال ، فإن اللحية التقليدية للفراعنة ، هي عادة
أول شيء يتعرض للتلف من التمثال ، ظلت في حالة جيدة من دقة الحفظ .

وإذا تركنا تمثال رمسيس لنلقى نظرة على أطلال ذلك المعبد التليد (١)
فهناك في ناحية الغرب تقع الجبانة العظيمة التي كان يدفن فيها فرعون
« منف » وسكان عاصمتهم جيلا بعد جيل .

(١) في عام ١٩٤٥ وفق الدكتور « أحمد بدوي » بمساعدة إذ ذاك
الدكتور « مصطفى الأمير » إلى العثور على المكان الذي كان يحفظ فيه العجل
« أبيس » ويرجع عهده إلى الأسرة السادسة والعشرين ، وإلى الجنوب منه
عشر على مقبرة « الأمير ششنق » من الأسرة الثانية والعشرين .

وقد وجدت مغطاة بلوحة كبيرة من الجرانيت، تسجل حروب وانتصارات
« امنوفيس الثاني » في آسيا ، وقد أمكنه أيضا الكشف عن معبد صغير

ويقلب على الظن أن جبانة صقارة اشتقت اسمها من الاله المصري القديم « سكر » اله الموتى ، وهى تمتد بطول الصحراء الى الغرب من موقع « منف » مسافة أربعة أميال ونصف ميل ، فى حين أن عرضها لا يزيد على ميل واحد .

وان اكثر ما يثير الاهتمام فى هذه الجبانة العجيبة التى تضم كل ما يعكس الحياة فى مصر القديمة انما يرجع تاريخه الى عصر الدولة القديمة ، خصوصا عصر الأسرتين الخامسة والسادسة ، وذلك على الرغم من أن الأثر الذى يجذب انتباه الزائر لهذه المنطقة لأول وهلة ، هو السرابيوم ، الذى كانت ترقد تحت أقبية السفلية أجساد العجل ابيس ، والذى يرجع الى عصر متأخر هو الأسرة السادسة والعشرون .

أما بيت « مارييت » الذى عاش به هذا المكتشف أثناء عمله بالسرابيوم والجبانة ، فلا يزال يحرس المكان الذى كان سببا فى شهرته ويحميه ، ومهما كان رأينا فى الأساليب التى اتبعها فى عمله ، فانه يحسن أن يذكر عند الحديث عن المكان الذى بدأ عمله فيه .

وقد كان من المستحسن أن يخصص بيته لغرض اسى من استخدامه كاستراحة للسائحين ، يقدم لهم فيه الخفراء القهوة المصنوعة على الطريقة العربية .

=

لرئيس البشائر ، وأدت هذه الكشوف الى شروع مصلحة الآثار فى حفر مصروف حول بعض أجزاء المنطقة الأثرية لكى ينخفض مستوى المياه الجوفية .

غير أنه عندما بدى فى عام ١٩٤٨ بحفر هذا المصروف ظهرت أجزاء من معبد صغير للملك « سىتى الأول » ، وبالقرب من هذا المعبد حفرت جامعة « بنسلفانيا » موسمين متتاليين عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥ وعثرت على بعض الآثار الهامة ، كذلك وفق الأستاذ « محمد عبد التواب الحنة » الى الكشف عن جبانة من عهد الدولة الوسطى حين شرع فى انشاء طريق جديد يخترق المنطقة .

. ويقوم المنزل^(١) في منتصف الطريق بين السرابيوم - الذى يمثل على وجه التقريب أحدث المباني بالمنطقة ، رغم أنه أول ما استرعى انتباه « مارييت » - وبين الهرم المدرج وهو أقدم المباني ، على الرغم من أن أهميته البالغة لم تعرف الا في السنين القليلة الأخيرة .

وسنبداً - كما بدأ « مارييت » - بوصف السرابيوم ، رغم أنه ليس مؤكداً أنه أكثر الآثار تشويقاً في صقارة . وقد كان عجل « أبيس » الذى كانت عبادته وعبادة الحيوانات الأخرى كعجل « منيفس » فى هليوبوليس والكبش أو الماعز فى « منديس » من المظاهر الشائعة فى الديانة المصرية هو الرمز الحى للاله « بتاح » فى « منف » .

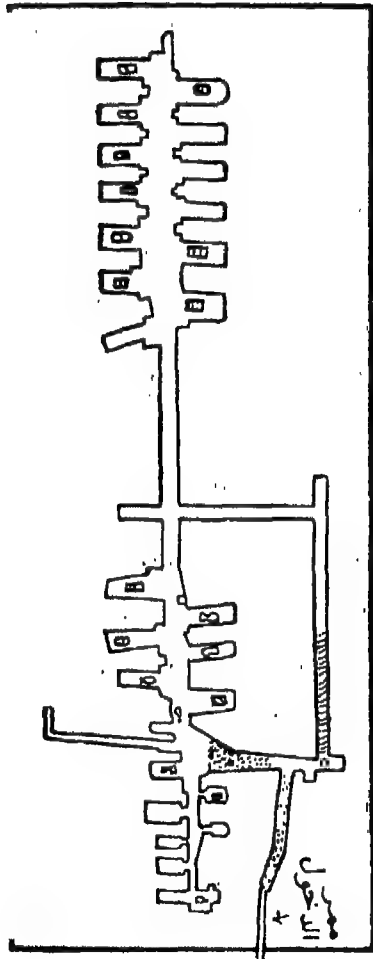
وكان له معبد خاص فى المدينة ، وحين موته كان يحنط ويدفن باحتفال مهيب فى مقبرة خاصة - وقد ترك لنا « هيرودوت » وصفاً دقيقاً لكل العلامات الطيبة - على حد التعبير المصرى .

التي يمكن بواسطتها أن يعلن كهنة « أبيس » عشورهم على « أبيس » جديد يحل محل العجل الذى مات ، وكان العثور على العجل الجديد حدثاً يقابل بفرح كبير ، وأبيس هو عجل من بقرة لا تلد غيره ، ويقول المصريون : ان وميض البرق ينزل من السماء على البقرة ، ومن ثم تلد « أبيس » ، ولهذا العجل الذى يعرف بأبيس العلامات الآتية :

فهو أسود اللون ، وعلى جبهته علامة بيضاء مربعة الشكل ، وعلى ظهره رسم نسر ، وفى ذيله شعر مزدوج ، وعلى لسانه رسم جمل ، ومن هذا يستطيع الانسان ان يستنتج ان كهنة « أبيس » كانوا ضالعين فى جميع الصفات اللازمة للخلف المناسب فى المكان الخالى .

وقد سبق أن ذكرنا كيف أن « مارييت » الذى جاء لمصر ليشتري مخطوطات قبطية أنفق المبلغ الذى أمده به متحف « اللوفر » فى عمل أكثر ملائمة وأهمية ، ألا وهو الكشف عن مدافن « أبيس » .

(١) أزيل هذا البيت أخيراً وأقيمت مكانه استراحة صغيرة كما أقيمت أيضاً استراحة كبيرة فى شمال « السرابيوم » مباشرة .



(شكل رقم ٧٣)
السميرانيون
(انظر متن الكتاب)

وقد كان للإشارة التي ذكرها « سترابو » عن الطريق العظيم للكباش: الفضل في كشف « مارييت » وما بقى من هذا الطريق تغطية الرمال تماما مثل بقايا هياكل « أبيس » أو أوزير أبيس - الأقدم والأحدث عهدا - ولم يبق من مقابر « أبيس » ما يمكن زيارته غير المقابر المتأخرة .

وكانت توجد أصلا ثلاث مجموعات من هذه المدافن السفلية ، ففي المجموعة الأقدم عهدا ، التي يرجح أن تاريخها يرجع الى منتصف الأسرة الثامنة عشرة ، كان العجل الميت يدفن في حجرة سفلية منفصلة يعلوها هيكل مقام على السطح .

وفي الفترة التي بين الأسرتين التاسعة عشرة والخامسة والعشرون اتبعت طريقة مختلفة ، فقد كان يحفر في الصخر دهليز تفتح منه حجرات دفن على كلا الجانبين ، وفي هذه الحجرات كانت تدفن العجول المقدسة .

وأخيرا وضع « ابسماتيك الأول » تخطيطا للدهاليز على نطاق أوسع ، واتباع تخطيطه خلال العصر البطلمي ، ويبلغ الطول الكلى للدهاليز المدفن ، وهي التي يمكن رؤيتها الآن ، ١١٥٠ قدما .

ويبلغ طول الدهليز الكبير وحده ٦٤٠ قدما ، وفي الحجرات الجانبية التي تتفرع من الممرات ، كانت توضع توابيت ضخمة جرانيتية من الطراز المعروف في العصر الصاوي ، ترقد بداخلها العجول ، وقد كشف عن أربعة وعشرين تابوتا من هذه التوابيت ، بينها عشرون باقية في أماكنها .

وكل تابوت نحت من قطعة واحدة من الجرانيت الأسود أو الأحمر أو الحجر الجيري الصلب ، ويبلغ متوسط مقاسات التوابيت ١٣ قدما طولا و ٧/٢ قدما عرضا و ١١ قدما ارتفاعا .

أما متوسط الوزن فيبلغ ٦٥ طنا ، وأجمل مثال لهذه التوابيت هو ذلك التابوت الواقع الى اليمين في اقصى نهاية الدهليز الكبير ، وهو من الجرانيت الأسود ، ويمتاز بجودة صقله ونقشه وزخرفته .

ومن بين التوابيت ، ثلاثة تحمل أسماء ملوك : أحدها يحمل اسم

« أحمس الثانى » والثانى يحمل اسم « قمبيز » الفاتح الفارسى ، وهذا ما يدعو الى العجب اذا تذكرنا موقفه بالنسبة لعبادة « أبيس » فهو الذى قتل بخنجره العجل « أبيس » الذى كان موجودا فى ذلك الوقت ، كما سبق ذكره ، والثالث يحمل اسم « خباباش » الذى اشتهر حكمه القصير بقيام الثورة الوطنية ضد الحكم الفارسى أيام « داريوس » .

وأذا تركنا « السرابيوم » واتجهنا قليلا الى الجنوب الشرقى مارين بيت « مارييت » (١) فسنصل الى أهم بناء - من بعض الوجوه - فى مصر ، بل فى العالم كله ، ونعنى به هرم صقارة المدرج ، الذى يعد - حسب ما هو معروف حتى الآن - أقدم بناء حجرى فى العالم ، شيد على نطاق واسع ،

هرم صقارة المدرج :-

وهذا الهرم هو مقبرة « زوسر » الثانى ملوك الأسرة الثالثة الذى يرجع تاريخه الى ٣٠٠٠ ق.م تقريبا (٢) . وقبل عصر « زوسر » كان أعظم مثل للبناء بالحجر فى مصر هو حجرة الدفن بأبيدوس الخاصة بالملك « خع سخموى » من ملوك الأسرة الثانية .

وطولها ١٧ قدما وعرضها ١٠ أقدام ، وارتفاعها ينقص قليلا عن ست أقدام ، بينما نجد فى « سومر » أن جدران المقابر الملكية المبنية بالحجر الجبرى الخشن ، والخاصة بملوك الأسرة الأولى فى « أور » تمثل مدى المتقدم المعمارى السومرى فى عصر لا يبعد كثيرا عن عصر « خع سخموى » وبذلك يكون « زوسر » استطاع بقفزة واحدة أن يصل الى اقامة بناء حجرى ، يعد عظيما ، لو قسناه بأى مقياس .

وليس هرم « زوسر » هرما كاملا بمعنى الكلمة ، بل هو مجموعة

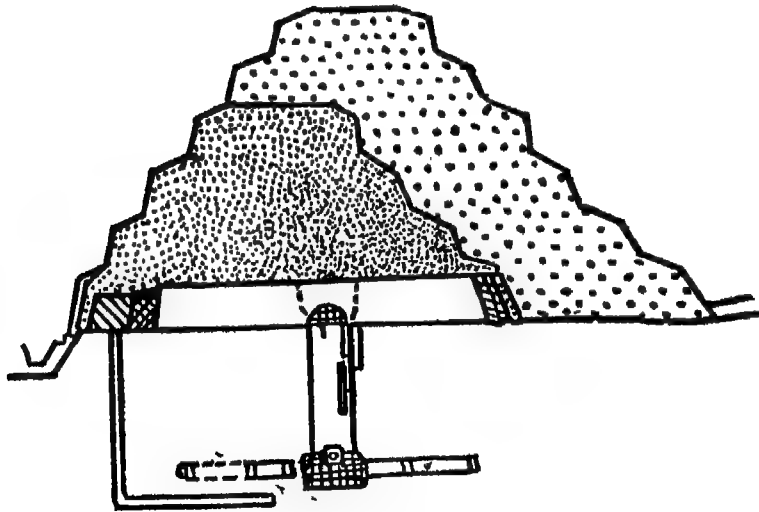
(١) الى الجهة البحرية من هذه الاستراحة كشفت عن مجموعة من تماثيل فلاسفة اليونان مرتبة فى نصف دائرة تمثلهم كأنهم فى اجتماع يتناقشون فى احدى المشكلات .

(٢) هو أول ملوك الأسرة الثالثة ويقع حكمه فى القرن السابع والعشرين ق.م .

مصاطب تعلو الواحدة فوق الأخرى ، وعلى ذلك فإن من الطريف أن نقرر حسب ما يمكن الحكم به ، أن هذه هي المحاولة الأولى والوحيدة التي رأى المهندس المصرى ضرورة القيام بها ، للوصول الى الهرم الكامل .

أما هرم « سنفرو » بميدوم ، فله وضع آخر ، فهو بقايا هرم كامل جرد من كسائه ، فى حين أن هرم « زوسر » - على الرغم من أن أبحاث « سيسل فيرث » دلت على أنه كان مغطى بقطع من الحجر الجيرى الناعم كزملاته بالجيزة .

ولم يتحول أبدا بالكساء الى الشكل الهرمى الحقيقى ، بل ظل دائما مدرجا ، كما هو الآن ، على الرغم من أن ما نراه منه الآن ليس سوى النواة المبنية من الحجر الجيرى الخشن ، زال عنها الكساء الخارجى الجميل المصنوع من الحجر الناعم الذى كان يغطيها أصلا .



(شكل رقم ٧٤)

هرم صقارة المدرج - أقدم بناء حجرى فى العالم بناه الملك زوسر ثان ملوك الأسرة الثالثة

وقد أقيم حول الهرم سور داخله فناء طوله ٤٩٠ ياردة ، وعرضه ٢٩٥ ياردة ، وكان ارتفاع السور ٢٣ قدما ، ولاتزال بقية منه موجودة حتى الآن . ويقع الهرم وسط الفناء المسور تقريبا ، وقد شيد على مساحة مستطيلة من الأرض طولها ٤١٣ قدما وعرضها ٣٤٤ قدما .

ويبلغ ارتفاع أول مصطبة $\frac{37}{4}$ قدما ، أما المصطبة الثانية التي تعلوها فتتراجع جوانبها عن جوانب المصطبة الأولى بنحو $\frac{6}{4}$ أقدام ؛ ويصل ارتفاعها إلى ٣٦ قدما ، ويبلغ ارتفاع المصطبة الثالثة $\frac{34}{4}$ قدما ، وهي تتراجع عن سابقتها أيضا بمقدار $\frac{6}{4}$ أقدام تقريبا ، كما تتراجع المصاطب التي تليها بنفس هذا القدر .

أما ارتفاع المصطبة الرابعة فيبلغ $\frac{32}{4}$ قدما ، والخامسة $\frac{30}{4}$ قدما ، والسادسة ٢٩ قدما ، وبذلك يكون الارتفاع الكلى للهرم ٢٠٠ قدم .

وقد أمكن الوصول إلى داخل الهرم عام ١٨٢١ ، ولكن ممراته وحجراته - ومن بينها اثنتان كانتا مغطاتين ببلاطات ملونة بالأزرق المائل للحمرة تقليدا للحصير المصنوع من القاب - لم تفتح قط للجمهور .

وفي عام ١٩٢٥ عثر السيد « فيرث » في السرداب أو في المقصورة السرية المخصصة لتمثال المتوفى على تمثال « الكا » للملك « زوسر » ، وهو قطعة فنية رائعة تشهد بأن الأوضاع التقليدية الملكية التي أصبحت في التاريخ المصري المتأخر متعارفا عليها ، لم تكن قد أصبحت بعد نموذجا يحتذى (١) .

وقد وجدت إحدى الحجرات في التخطيط السفلى أسفل الهرم مملوءة بالأواني الحجرية (معظمها من المرمر والديوريت) ، وكان بعضها منقوشا

(١) التمثال موجود الآن بالمتحف المصري ، وقد وضع مكانه نموذج من الجبس حتى يمكن للزائرين مشاهدته ، كما كان في موضعه الأصلي .

بأسماء أسلاف « زوسر » (١) . وعثر في حجرة واحدة على ثلاث لوحات من الحجر الجيري الناعم عليها رسوم جميلة من النقش البارز بروزا خفيفا .

وقد اسفر الكشف أخيرا - في الجزء الواقع خارج الهرم داخل أسوار المقدس - عن نتائج على جانب كبير من الأهمية ، إذ عثر على مصطبتين كبيرتين بين التزاوية الشمالية الشرقية للهرم والصور .

ويظهر أنهما كانتا مقبرتين لاثنتين من بنات « زوسر » « انت كاس » و « حتب حرنبتى » ، وليس لهما معابد جنازية إلى الشرق كما هي العادة ، فقد استعويض لكل منهما بدلا من المعبد بواجهة في الناحية الجنوبية ، مبنية بحجر طره الناعم ، زينت بأربعة أعمدة مسلوكة .

ويعلو كلا منها تاج على شكل أوراق الشجر ، وهذه التيجان تحمل الكورنيش ، وكانت الواجهة مزخرفة أيضا برسوم على شكل شرائط ، كانت أصلا ملونة باللون الأحمر .

وأعمدة هذه الواجهة هي أول مثال في العالم للطراز المسلوب في العمارة ، وتطل كل واجهة على فناء تبلغ مساحته حوالى ٢٧ ياردة مربعة ، وجدرانه الجانبية مزينة بأعمدة على شكل ساق من البردى تعلوه زهرته (٢) .

(١) عثر في الدهاليز الواقعة بأسفل الهرم على أوان بأسماء الملوك وأشخاص عظام عاشوا قبل « زوسر » ، ويبلغ عدد الأواني أو أجزاء الأواني أكثر من ثلاثين الفا ، ويعمل بعض عمال الآثار المهرة في ترميم كثير من هذه الأواني التى تهشمت فى الأزمان الغابرة .

(٢) أعمدة إحدى المقبرتين تمثل أزهار البردى وتمثل أعمدة الثانية أزهار اللوتس ، وهذا يرجح أن الأول منهما كان يمثل الشمال الشرقى والثانى الجنوب وأنه لم تكن لاحدهما علاقة بالمقابر .

ويقع المعبد الجنائزى للهرم الى الشمال ، وهو موقع غير عادى ، ولكن المبانى الرئيسية داخل السور تقع فى الركن الجنوبى الشرقى الذى يوجد به مدخل عظيم بين برجين يؤدى الى صالة أعمدة كبيرة طولها ٨٠ ياردة تقريبا .

وبهذه الصالة ٤٨ عمودا ، ارتفاع كل منها حوالى ١٦/٢ قدما ، ويزيد قطر قاعدة العمود عن ثلاث أقدام - وهذه الأعمدة فى حقيقتها هى أنصاف أعمدة مربعة من الحجر الجيرى آتئاعم مصفوفة فى صفين ، وهى على شكل حزم البوص .

وتوجد فى الطرفين الشرقى والغربى أبواب غريبة منحوتة فى الحجر تبدو كما لو كانت نصف مفتوحة ، ويحتمل أن المعبد الواقع شمالى صالة الأعمدة هو أحد معابد « زوسر » أقيم فى مناسبة احتفاله بيوبيله (احتفال حب سد) ، ويضم هذا المعبد مجموعة من المقاصير زين كل منها بسياج منحوت من الحجر ، ودرج يوصل الى طابق ثان .

وفى عام ١٩٢٧ وفق « فيرث » الى كشف يضاى فى أهميته بقية الاكتشافات التى تمت داخل السور ، وهذا الكشف هو مقبرة من تاريخ أقدم كان قد بدأها « زوسر » ولكنها لم تتم مطلقا ، ويحتمل أنه حدث أثناء عمليات الحفر تحت الأرض التى كان يقوم بها « أمنحتب » مهندس « زوسر » لاعداد حجرات جنازية للهرم .

أن الصخر لم يكن من النوع الصالح لهذا الغرض ، ولهذا هجرت هذه المقبرة ، ويحتمل أنها استخدمت لشخص آخر ، وقد لوحظ أن الحجرات التى صممت للمقبرة قد كررت بصورة تقريبية فى الموقع الجديد الذى اختير للهرم .

وكشف « فيرث » فى الحجرات الأولى لتلك المقبرة التتم لم تتم ، عن مجموعة من أكبر الأوانى المرمية التى عثر عليها فى مصر ، اذ يبلغ ارتفاع بعضها مترا .

كما كشف عن قطع من اناء صنع من حجر الديوريت ونقشت عليه من الخارج أسماء وألقاب الملك « خع سخموى » آخر ملوك الأسرة الثانية . ويقع وراء الحجرات سلم وممر يؤدي الى حجرتين مبطنتين ببلاطات زرقاء تميل الى الخضرة ، تشبه في الشكل واللون تلك التى وجدت فى الحجرات السفلية للهرم (ويلاحظ انها كشفت بعد ذلك) .

وقد وجدت بالحجرة الثانية من هاتين الحجرتين ثلاثة أبواب وهمية عليها رسوم جميلة محفورة تمثل الملك « زوسر » ، فعلى أحد هذه الأبواب نجده يخطو الى الأمام مرتديا التاج الأبيض ، وعلى آخر نجده واقفا مرتديا التاج الأحمر .

وعلى الثالث نراه للمرة الثانية مرتديا التاج الأبيض ، وتصاحب هذه الرسوم كتابات لأسماء وألقاب الملك ، وهذه الحجرات باختصار صورة مماثلة للحجرات الحالية الواقعة تحت الهرم المدرج التى كشف عنها فى الموسم التالى .

وبهذا لم يعد لدينا مجال للشك فى صحة ما سبق ذكره ، وهو أن عمال « زوسر » تركوا هذه المجموعة الكبيرة من الحجرات السفلية ، بينما كان العمل فيها قد تقدم بخطوات واسعة الى الأمام ، وبحثوا عن موقع آخر أكثر صلاحية للهرم وحجراته ، وهذا الموقع هو الذى يوجد به الهرم الآن (١) .

وبذلك نرى هنا مجموعة من الاكتشافات - رغم القليل الذى علم عنها ، ورغم التأثير المحدود الذى أسفر عنه ذلك القليل الذى عرف - تفوق فى أهميتها وفيما أحدثته من انقلاب فى معلوماتنا عن العمارة والفن المصرى الكشف عن عشر مقابر من طراز مقبرة « توت عنخ آمون » .

(١) يعتقد البعض أن هذه المقبرة كانت مخصصة لدفن أحشاء الملك فى الأوانى الخاصة بذلك وهى التى تعرف الآن باسم « الأوانى السكانوبية » .

فمقبرة « توت عنخ آمون » لم تمدنا بمعلومات جديدة عن الفن المصرى ، رغم أنها أبرزت نواحي جميلة وغنية منه ، لكنها كانت معروفة لدينا .

أما هذه المجموعة من الاكتشافات بمقبرة « زوسر » فإنها تحملنا على إعادة النظر في معلوماتنا عن العصر والشكل الذى بدأت فيه العمارة المصرية وفن النحت المصرى فى التقدم نحو النضج ، وإن نتبع خطواتهما من الأساس ، فعمارة المقاصير وأبهاء الأعمدة بداخل سور الهرم ليست من النوع الذى يقصر النظر فيه على بلوغ أهدافه العظيمة دون إدراك مغزاها .

بل هى عمارة يتجلى فيها الوعى والقدرة على تنفيذ الأهداف المرسومة ، وإذا استثنينا الحقيقة القائلة بأن فكرة الهرم كانت فى مرحلة التطور ، وكان مقدرا لها أن تجتاز مراحل أخرى للوصول الى درجة الكمال ، فإن هرم « زوسر » يعتبر بناء كامل الاعداد .

وعلى الرغم من عدم كفاية الأدلة التى يمكن الحكم بها على تقدم النحات المصرى ، فليست هناك أية علامة تدل على النقص ، ورسوم الملك « زوسر » أمثلة صحيحة للون من العمل وصل به الفنان المصرى الى قمة الابداع فى الأزمان الثلاثة .

وهى مازالت الى الآن تحمل ذلك الطابع الكامل من هذا الفن الذى يجمع بين القوة والركة ، ويأخذ بالبابنا كلما تأملنا فيما أبدعه فنانون الدولة القديمة فى أواخر عهدها .

فهل يحق لنا أن ننسب هذا التقدم الواضح - الذى يبدو رائعا عندما ندرك أنه يحتمل جدا أنه تحقق فى حكم ملك واحد ، وفى فترة من الزمن تبلغ عشرين أو ثلاثين سنة .

هى الفترة التى تفصل بين عمل « خع سخموى » الذى يتسم بالقوة على الرغم من بدائيته النسبية ، وبين النضج الفنى فى عصر « زوسر »

— الى عبقرية « امحتب » المستشار والمهندس العظيم للملك ؟ ان هذا هو رأى المصريين انفسهم .

بدليل تأليههم أخيرا لذلك الرجل ، الذى كانت مشورته « كأنها من وحي الآلهة » ، وتصورهم أن ما نفذه لسيدته من مشاريع كان الهاما قدسيا ، يحيط عليه من السماء فى شمال « منف » .

ولكننا نكون أقرب الى الصواب اذا نظرنا الى « امحتب » نفسه ، لا كظاهرة خارقة للعادة ، بل كرجل عظيم تبلورت فيه الآمال الصاعدة لشعب يصبو الى التعبير عن عبقريته بأسلوب أكثر غنى واكتمالا .

فان انطلاقة العبقرية التى بلغت أوجها فى عصر بناء الأهرامات كان لابد أن تظهر عاجلا أو آجلا ، غير أن عبقرية « امحتب » هى التى عجّلت بظهورها فى الوقت الذى كانت تسعى فيه نحو الكمال .

وفى الوقت نفسه يجب ألا يجرفنا السحر والروعة البادية فى فن الهندسة والبناء الذى يتجلى فى مجموعة الهرم المدرج بدرجة تجعلنا نتصور أن العمارة المصرية طفرت طفرة واحدة كاملة العدة فى عصر « زوسر » و « امحتب » ، حتى لم تعد هناك درجات أعلى يمكن أن تبلغها فيما بعد ، وأن المباني التى تلت ذلك كانت أقرب الى التدهور منها الى التطور .

وقد كان طبيعيا ان يتولد هذا الانطباع بسبب الرقة المتناهية التى اتصف بها فن العمار فى ذلك العصر المبكر ، وأن يكون أثرا من آثار المستوى الرفيع الذى يبدو واضحا فى المباني ذات اللحام المتقن الذى نراه على جوبها .

وهذا ما حدا بالبعض الى القول بأن فن العمار الممثل فى مجموعة الهرم المدرج قد ضاع فيما بعد ، واستنتج هذا البعض ذلك من التدهور النسبى لبعض نواحي فن العمار فى عصر الأسرة الرابعة ، وهذا يعنى أننا ننسب الى هذه المباني الأولى مميزات لا تتوافر فيها على الرغم مما تتصف به من سحر وروعة .

وبرى « كلارك » و « انجلباك » في كتابهما (العمارة المصرية ، ص ٨) :
« ان العمارة في عصر « زوسر » تقل في جودتها بوجه عام عن عمارة أى
هرم أو مصطبة جيدة من عصر الأسرتين الرابعة والخامسة ، كما أن
مبانيها لم تعمر طويلا لصغر الكتل الحجرية المستعملة في تشييدها » .

أما اللحام الذى يبدو ممتازا فى مباني الأسرة الثالثة فجودته سطحية
فقط ، لأنها لا تتعمق لأكثر من بوصتين من سطح البناء ، بينما نجد أن
اللحام بالمباني الضخمة فى عهد الأسرتين الرابعة والخامسة يتساوى فى
جودته مع أجزاء الأحجار الأمامية والخلفية .

« وقد كان جمال اللحام بأسطح الجدران فى عهد « زوسر » على حساب
صلابتها » (نفس المؤلف ، ص ٩٧) ، وليس معنى هذا أن المباني التى
أقامها « زوسر » و « امحتب » لا تستحق أطيب الثناء .

ولو أن هذه المباني تفوقت على ما تلاها من مباني أقامها رجال أخذوا
عنها ، لكان ذلك معجزة بحق ، وليس تطورا طبيعيا يعتمد على
عبقرية شخصية واحدة بارزة .

« وكلما ازدادت دراستنا لمباني الأسرة الثالثة ذات الكتل الصغيرة
تبين لنا بوضوح أكثر أن المباني الضخمة التى تلتها هى مجرد تطور لها »
(نفس المؤلف ، ص ٨٠) ، وعلى ذلك يحق لنا أن نزجى آيات المديح
لعبقرية مهندس « زوسر » العظيم ومهارة صناعته (١) .

وإذا تركنا جانبا المقارنة بين ميزات العمارة فى عهد الأسرة الثالثة وبين

(١) توفر على دراسة هذا الهرم وما فيه وغيره من أهرام صقارة
السيد « لاور » من عام ١٩٢٥ وقد كتب عنه وعن المقالات والكتب المفصلة ،
كما استطاع أن يرمم بعض مباني الهرم ويقيم الاحتياطات الكفيلة بصيانه
طوال هذه المدة .

(م ٢١ - الآثار - ج ١)

ما يماثلها في الأسرات التالية ، رأينا أن الحفائر بمنطقة الهرم المدرج كشفت عن مفاجأتين : الأولى منها - ولعلها أقلهما أهمية - هي إبراز المستوى العالى الذى وصلت اليه صناعة التماثيل فى هذا العصر المبكر .

فتمثال « زوسر » رغم أنه مهشم للأسف ، لدرجة لا نسمح بتقديره ، تقديرا صحيحا ، فانه يثير احساسا بالعظمة (انظر المجلة السنوية لمصلحة الآثار ، عدد ٢٥ ، لوحة ٤ - شكل ١) .

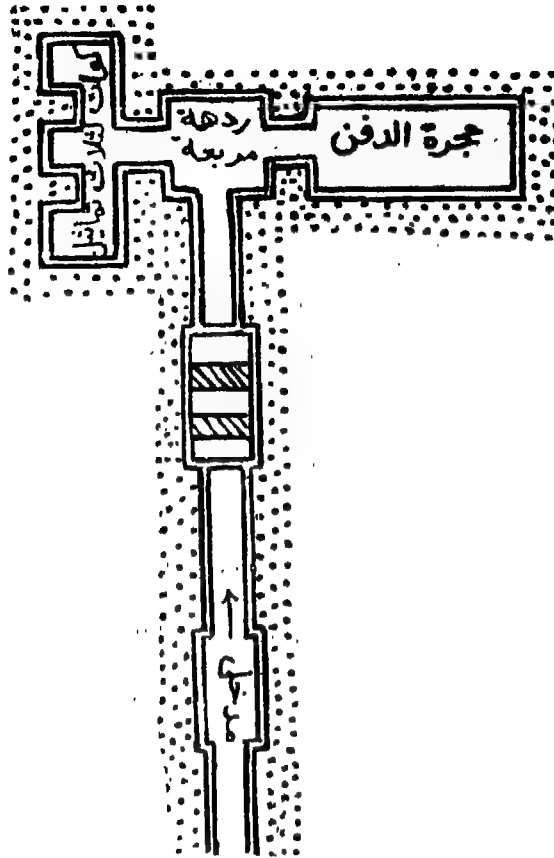
ولكن لاجدال حول جودة الرسوم التى تمثل الملك ، وفى هذا المجال ننقل ما كتبه المكتشف نفسه اذ يقول :

« ان الصنعة كانت على جانب كبير من الجمال ، ومن الصعب أن نصديق أن هذه المناظر البديعة المصورة على الحجر الجيرى ترجع الى عصر مبكر كمصر الاسرة الثالثة ، فكل عضلة واضحة ، على الرغم من أن بروز الرسم أقل من مليمتر » (المجلة السنوية لمصلحة الآثار - العدد ٢٧ ، ص ١٠٨) .

أما المفاجأة الثانية فهى ظهور العمود المتصل بالحائط فى ذلك الوقت . وقد ظهر هنا فترة ثم اختفى ، ولم يظهر مرة ثانية الا فى العصرين البطلمى والرومانى . ويرى العمود الأصيل المتصل بالحائط ممثلا فى النماذج المسلوقة المتصلة بواجهات مقاصر الأميرات .

بينما نجد فى بهو الأعمدة ، وفى الصالة المتقاطعة بنهايته أمثلة لأعمدة على شكل حزم البوص ، وهذه الأعمدة بعينها تكون نهاية الجدران المتقاطعة .

ويدل الظهور المبكر لهذا الطراز من الأعمدة والاختفاء بعد ذلك على أن البناء المصرى كان فى تلك المرحلة المبكرة لا يثق بقدرة العمود القائم بذاته على حمل الأثقال التى تعلوه ، ولكن سرعان ما تبينت له صلاحيته لهذا الغرض حين استخدم لمداмик أعمدته كتلا أكثر ضخامة .



(شكل رقم ٧٥)

رسم تخطيطي يبين الحجرات والممرات داخل هرم أوناس بصقارة

وكما جرت العادة في ذلك الوقت ، فقد كانت « لزوسر » مقبرة أخرى سوى تلك المقبرة العظيمة بصقارة ، ونعني بها المصطبة الكبيرة في « بيت خلاف » على مقربة من « ابيدوس » ، وسوف نتحدث عنها في الوقت المناسب .

ولا يعرف قطعا بأى المقبرتين دفن ، ولكن نظرا لفخامة المجموعة الهرمية بصقارة ، فانه يغلب على الظن أنه دفن فيها ، وأن مصطبة « بيت خلاف » الكبيرة لم تكن سوى مقبرة لقرينة (الكا) .

وقبل أن نستعرض في وصف المصاطب المعروفة بصقارة ، التي تعتبر أهم معالم الجبانة العظيمة عند الهرم المدرج ، يحسن بنا أن نتحدث بإيجاز عن الأهرامات الباقية في المنطقة ، فإنها على الرغم من كونها لا تحتل مكانة كبيرة من الناحية المعمارية فإن لها قيمتها العظيمة في تاريخ الديانة المصرية .

والأهرامات التي نهمنا هي خمسة ، وهي خاصة بآخر ملك من ملوك الأسرة الخامسة : « أوناس » وأربعة ملوك من الأسرة السادسة وهم : « تيتي » ، و « بيبى الأول » ، و « مرن رع » ، و (بيبى الثانى) (١) .

وهرم « أوناس » قريب جدا من الزاوية القبلىة الغربية للهرم المدرج ، ومظهره لا يلفت الأنظر إذا قورن بالأهرامات الأخرى ، فارتفاعه الأصلى لا يزيد على ٦٢ قدما ، وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته ٢٢٠ قدما وتدل عمارته على انحطاط كبير إذا قورن بفخامة أهرامات الأسرة الرابعة وعظمتها . كما أن التخطيط الداخلى لهذا الهرم بسيط نسبيا ، مثله مثل الأهرامات الأربعة من المجموعة مع اختلافات طفيفة ، فبينما نجد ثلاث مشكاوات في الحجرىة الشرقىة بهرم « أوناس » لا نجد غير مشكاة واحدة فى كل من الأهرامات الأربعة الأخرى .

(١) اكتشف زميلنا المرحوم « محمد زكريا غنيم » الهرم المدرج الذى لم يكمل الى الجهة الغربىة من هرم « أوناس » ، وقد اتضح أنه يخص الملك « سخم خت » الذى حكم بعد « زوسر » ولم يترك أى أثر سوى الكتابة التى سجلها فى شبه جزيرة سيناء وتحدث فيها عن انتصاره على العدو . وقد عثر فى هذا الهرم على الكثير من الأوانى الحجرىة وعلى بعض السبائك الطينية المطبوعة عليها أسماء الملك ، وقد أمكن بواسطتها نسبة هذا الهرم إليه .

أما التابوت المرمى الذى عثر عليه داخل الهرم فلم يوجد به أى شيء ، رغم أنه وجد مغلقا كأنه لم يمس ، كما عثر فى داخل الهرم وخارجة على بعض المدافن والآثار (انظر كتاب الهرم الدفين الذى كتبته بالانجليزية المرحوم الأستاذ « زكريا غنيم » وترجم أخيرا الى العربىة) .

وقد فتح « ماسبيرو » الهرم عام ١٨٨١ (١) ، وفي نفس التاريخ فتحت الأهرامات الباقية من المجموعة . وتعرضت المجموعة كلها لاعتداءات بشرية بدوافع أقوى من دوافع الرغبة المجردة في النهب .

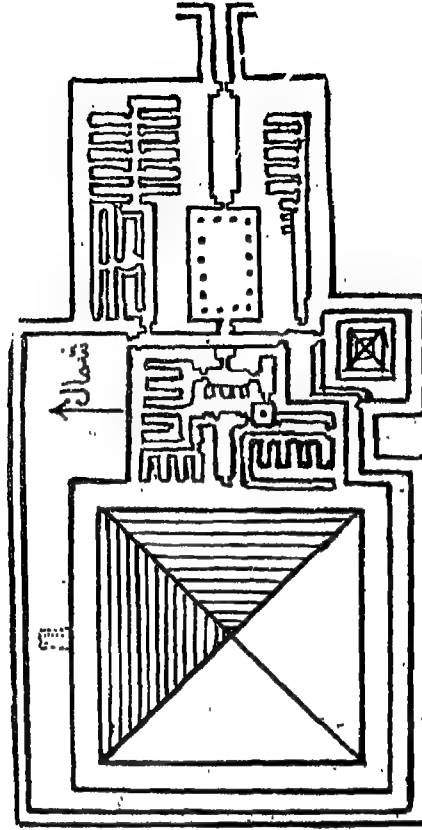
فبينما قد تعرضت للنهب الشامل في العصور القديمة ، فانها قد انتهكت أيضا بعنف شديد يدل على كراهية مريرة للملكية حينذاك ، لأسباب غير مفهومة ، والواقع أنه بانتهاء الأسرة السادسة تفكك كيان الدولة القديمة .

والأهمية الكبرى لهذه الأهرامات الصغيرة التي بنيت في عصر انحلال الدولة القديمة لا ترجع الى شيء يتصل بالأدوات الجنائزية التي اختفت للأبد ، وانما ترجع الى تغطية جدران ممرات وحجرات تلك المجموعة من الأهرامات بكتابات هيرغليفية نقشت على الحجر وملئت بعجينة زرقاء .

وعلى الرغم مما ذكره « هيرودوت » من قول مشكوك فيه عن كتابات رآها على الهرم الأكبر ، فقد كان الاعتقاد السائد أن الأهرامات لم تخط عليها أى نقوش ، وقد ظل « مارييت » حتى قبيل وفاته بأسبوعين في يناير سنة ١٨٨١ يعتقد خلو الأهرامات من النقوش .

(١) في عام ١٩٣٧ كشف المرحوم الدكتور « سليم حسن » عن الطريق الصاعد لهذا الهرم ، وقد اتضح منه أنه يتميز بميزة لم يعثر عليها في أى طريق مماثل آخر ، ذلك أنه وجدت على جانبية آثار سور مغطى بالنقوش الجميلة ، منها ما هو خاص بحروب « أوناس » ومنها ما يتصل ببعض الآثار الجلوبة من أسوان .

وتمثل بعضها إحدى المجاعات ، والرسوم على أعظم جانب من الأهمية لاتقانها وللموضوعات التي تعالجها ، وقد وفق المرحوم المهندس « عبد السلام محمد » في الكشف عن معبد الوادى أيضا ، واتضح أنه يقع في الطريق العام انذى تسير فيه السيارات ، ولهذا رأى انشاء طريق آخر للمحافظة على معبد الوادى والطريق الصاعد .



(شكل رقم ٧٦)
رسم تخطيطى لمعبد أوناس بصقارة

غير أنه فى شتاء عام ١٨٨٠ - ١٨٨١ ، بينما كان عماله بأشراف
« ماسيرو » منهمكين فى تنظيف أهرامات الأسرتين الخامسة والسادسة ،
مبتدئين أولا بهرم « بيبى الأول » ثم بهرم « مرن رع » وجدوا تلك
النصوص الطويلة التى تتصل برفاهية الملك فى الحياة الأخرى ،
وكلها متشابهة تقريبا فى كلا الهرمين .

وقد كان هذا الكشف العظيم آخر شيء سمعه ووعاه « مارييت »
وهو على فراش الموت ، وبعد ذلك تبين أن الأهرامات الثلاثة الأخرى منقوشة

كذلك ، والنصوص التي وجدت في جميع الحالات متشابهة تشابها كبيرا ، وتمثل بوضوح الآراء الدينية السائدة ذات الصلة بالملوك .

وهذه النصوص التي جرى العرف الآن على تسميتها بنصوص الأهرامات عظيمة الأهمية - ورغم أنها ليست أقدم ما عرف من المعتقدات الدينية المصرية « لأنها هي نفسها تشير الى فصول من كتاب للشعائر الدينية لم يعرف أو لم يكتشف بعد » فإنها أقدم ما وصل الى أيدينا من نصوص تتصل بالديانة المصرية .

والطابع البدائي لكثير من الآراء التي تضمنتها هذه النصوص يثبت أنها حين نقشت على جدران أهرامات آخر ملوك الدولة القديمة لم تكن بدعا استحدثت في نهاية هذه الدولة ، بل كانت امتداد لحضارة أقدم عهدا وأقل صقلا .

فبعض العبادات التي تصف الاله يصطاد الألهه ويقيدهم لينعم بوليمة وحشية يأكل فيها لحوم اخوته من الآلهة ترجع الى عصر يختلف تماما عن عصر الأسرتين الخامسة والسادسة حين بلغت الحضارة شأوا عظيما .

وعلى ذلك فان هرم « أوناس » وغيره من أهرامات زملائه من الملوك سيظل من المعالم المرشدة لتاريخ الديانة المصرية ، وان بدت تافهة لأول وهلة . وتعتبر الكتابة الهيروغليفية المنقوشة على جدرانها أقدم كتابة دينية في العالم .

وكتاب الموتى الذي ينظر اليه دائما على أنه أكمل موجز للديانة المصرية يعد شيئا جديدا بالنسبة لها ، بينما تعتبر نصوص التوابيت في الدولة الوسطى أقدم نسبيا من كتاب الموتى .

ويوجد التابوت الجرانيتي للملك « أوناس » في حجرة الدفن بهرمه قريبا من الجدار الغربى منها ، وعلى جانبيه أبواب وهمية من المرمر .

ويقع هرم « تيتى » أول ملوك الأسرة السادسة الى الشمال الشرقى

من الهرم المدرج ، وحجمه يقرب من حجم هرم « أوناس » ، فارتفاعه حوالى ٥٩ قدما ، على الرغم من أنه فقد الكثير من ارتفاعه الأصلي ، وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته ٢١٠ اقدام .

وبداخل هذا الهرم الكثير من الشواهد التى تدل على الحقن المبرر الذى كان يملأ نفوس المخربين حين إقتحموا المقابر ، ونصوص الأهرام فى هذه المقبرة مكتوبة بصورة مغايرة ، لأن حروفها الهيروغليفية أصغر من حروف هرم « أوناس » وقد بدأ هذا الاختلاف بصورة أوضح فى هرم « بيبى الأول » .

وهرم « بيبى الأول » فى حالة تخريب شديد ، ويقع الى الجنوب من الهرم المدرج ، ويعتبر بذلك أول المجموعة القبلية من أهرامات صقارة ، وارتفاعه الحالى نحو ٤٠ قدما فقط ، مع أن طول كل ضلع من قاعدته نحو ٢٥٠ قدما .

وقد وقعت عليه أقسى ألوان العدوان ، إذ اقتحمه المخربون بأحداث فجوة فى قلب الهرم وتحطيم الكتل الحجرية الضخمة التى تكون سقف حجرة الدفن .

والتخريب المتعمد الذى حل بهذا الهرم أفضح بكثير مما يلجأ اليه لصوص المقابر ، فقد محيت الأسماء الملكية من المدخل ، كما حطم التابوت المصنوع من البازلت الأسود تماما ، وذلك بحفر شقوق فيه .

وقد قام المخربون بتفتيته الى قطع ، ولم تعفهم عن ذلك صلابة البازلت الذى بلغ سمكه قدما (بترى : تاريخ مصر ، جزء ١ ، ص ١٠٤) ، ولا شك أن هذا التخريب الشنيع كان يهدف الى حرمان « بيبى » من فرصة الخلود .

وهى ظاهرة تكررت كثيرا فى التاريخ المصرى القديم ، وإن لم تبلغ من العنف ما بلغت فى هذه المرة ، وقد عثر فى تجويف بأرضية حجرة الدفن على صندوق كانوبى من الجرانيت يحتوى على الأوانى الكانوبية المصنوعة من المرمر .

ويقع هرم (مرن رع) (محتى، ام ساف) الى الشمال الشرقى من هرم « بيبى الأول » ، وهو لم يكن هدفا للتخريب فى العصور القديمة فحسب ، بل انه تعرض أيضا لسطو لصوص المقابر الحديثة .

فقد اقتحم فى العصور الوسطى ، ثم فى بداية القرن التاسع عشر حين دخله أهالى صقارة ونهبوا عددا من الأوانى المرمية (١) وحطموها جدران الحجرات الداخلية أثناء بحثهم المستميت عن الكنوز الذهبية ، تلك الكنوز التى لو فرض وجودها فى يوم ما فلا بد أنها سرقت قبل ذلك بوقت طويل .

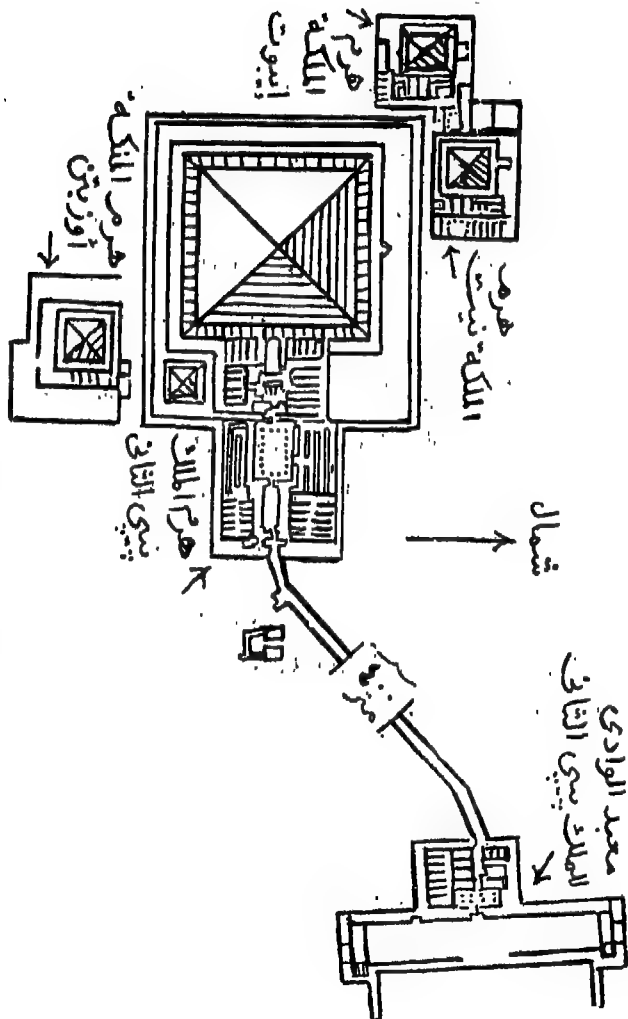
وتوجد المومياة التى كانت بداخله فى المتحف المصرى ، وإن كان هناك رأى فى الوقت الحاضر يرى أن هذه المومياة دخيلة دفنت بالتأبوت فى عصر متأخر . وقد قام لصوص المقابر المحدثون بتجريد المومياة من لفائفها ولكنهم لم يلقوها تماما كما فعل أسلافهم القدماء .

وأخر تلك المجموعة هى هرم « بيبى الثانى » ، الذى يتميز بأنه حكم أطول مدة فى التاريخ ، تتراوح بين ٧٥ ، ٩٦ سنة . وقد قدر « اراتستين » عمر هذا الملك حين وفاته بدقة لا يمكن أن تتوافر فى أحداث أقرب إلينا من وفاة ملك حكم منذ ٤٥٠٠ سنة .

فقد ذكر أن « بيبى » توفى قبل أن يتم المائة عام بساعة واحدة! وهى واقعة ربما تحملنا وقد لا تحملنا على الثقة الشامة بروايات أخرى للمؤلف ، ومعنى ذلك أن هذا الملك حكم ستة وتسعين عاما إذا فرض أنه جلس على العرش حين بلغ الرابعة من عمره .

وهو أمر محتمل ، وهرمه من طراز وحجم أهرامات الملوك الآخرين لهذه المجموعة ، رغم أنه يزيد عنها ارتفاعا بمقدار ٩٥ قلما وقد كشف السيد « جيكييه » معبد الهرم عام ١٩٢٦ والأعوام التالية .

(١) تقرر أخيرا إقامة متحف محلى يضم معظم الآثار الهامة التى عثر عليها فى المنطقة .



(شمسكل رقم ٧٧)
المجموعة الهرمية للملكة نيسيت الثاني (نقلا عن تيجيكيه)

وتوجد بمدخله صالة متقاطعة يتلوها بهو وفناء به ١٨ عمودا مربعا ، وتكتنف هذا الفناء من الجانبين مجموعة من المخازن ، وخلف الفناء ممر متقاطع ، يفصل خارج المعبد عن داخله ، حيث توجد قاعة للتماثيل وحجرة امامية والهيكل والمخازن .

وعلى يمين المبنى الأصلي في مواجهة الهرم يقع فناء مكشوف ، يعتبر أكبر جزء منفرد من البناء . وقد هُشمت الرسوم التي وجدت تهشيمًا كبيرًا ، ولكن بعض أجزائها المحفوظة تشهد بأنها كانت من أروع ما وصل إلينا من رسوم الدولة القديمة .

ومن بين هذه الرسوم رسم يلفت النظر ، لأنه يمثل قائما تتصل به جبال يتسلقها أو يتأرجح عليها بعض الأفراد ، وهذا لون من الطقوس الدينية أصبح فيما بعد متصلا بعبادة الاله « مين » اله الصحارى الشرقية .

والمنظر الذي يمثل حملة القرايين للملك « بيبى » رائع رغم أنه مهشم ، ولايدانيه من هذه الوجهة الا المنظر المبدع لحملة القرايين بمعبد الدير البحرى (ج . جيكييه ، المجلة السنوية لمصلحة الآثار ، العدد ٢٨ ، ص ٥٨) .

وعلى مسافة قصيرة جنوب شرقى هرم « بيبى الثانى » تقع مصطبة فرعون ، واسمها العربى يشير الى اعتقاد اهل المنطقة بأنها مقبرة ملكية ، وهذا شيء لاشك فى صحته ، غير أنه لا يعرف بالضبط اسم الملك الذى أقامها .

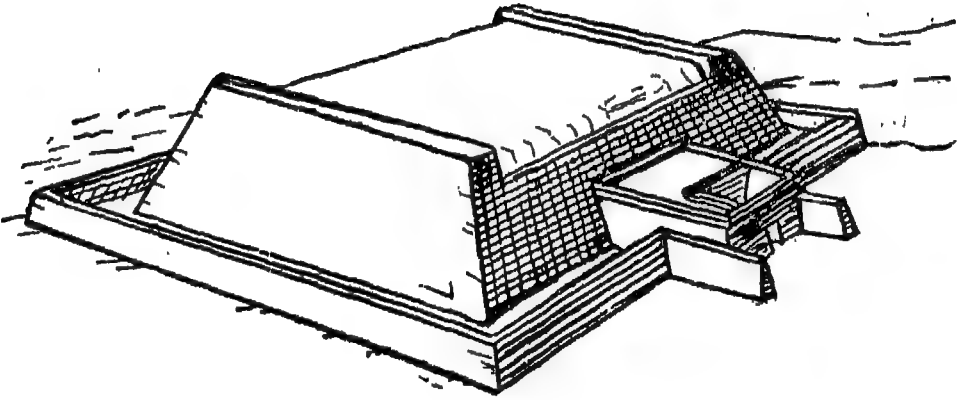
فقد ظلت مدة طويلة تنسب الى « أوناس » اعتمادا على ما ذكره « مارييت » من أنه رأى علامات تحجير باسم « أوناس » على ظهر كثير من الكتل المستعملة فى البناء (بترى : تاريخ مصر . جزء ١ ، ص ٩٤) .

ولكن « جيكييه » عثر أثناء حفائره على دليل أقنعه بأنها مقبرة الملك « شبسيسكاف » آخر ملوك الأسرة الرابعة ، ومنذ ذلك الوقت لم يظهر أى دليل آخر ينفى هذه النتيجة - « جيكييه » ، المجلة السنوية لمصلحة الآثار ، العدد ٢٥ ، ص ٦٢ ، ٧٠) .

- ٣٣٢ -

والبناء هو مصطبة كبيرة من الطراز المألوف ، وكان من الجلى أنها كانت أصلا مغطاة بالحجر الجيري الأملس الذى زال - كما هى العادة - تاركا مداميك مدرجة خشنة ظاهرة للعيان .

وكان فى الأماكن الوصول الى الممرات والحجرات الداخلية ، « ففى أسفل يوجد ممر منحدر يتجه أفقيا مارا بثلاثة منزلقات خاصة بسدات الأبواب ، ثم ينتهى بحجرة تمتد شرقا وغربا ذات سقف منحدر .



(شكل رقم ٧٨)

رسم تخطيطى لمصطبة الملك شيبينسس المعروفة
بمصطبة فرعون (نقلا عن جيكييه) من الخارج

- ٣٣٣ -

وفي الطرف الغربي حجرة أخرى ذات سقف برميلي الشكل ، كذلك يوجد بالطرف الشرقي من الجانب القبلي ممر أفقي قصير به أربع فجوات وحجرة صغيرة ، وهذا النوع من التخطيط يشبه تقريبا تخطيط الأهرامات .

فكل جزء هنا له نظير في هرم « أوناس » بصقارة ، مع اختلاف بسيط في الترتيب ، (بتري : تاريخ مصر ، جزء ١ ، ص ٩٤) .

وللمصطبة معبد جنازى فى الجانب الشرقى منها - وبجوار الزاوية الشمالية الغربية من سور مصطبة فرعون ، كشف « جيكييه » عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ عن بقايا هرم الملكة « أوجيتن » زوجة « بيبى » الثانى ، الذى يقع هرمه قريبا منها .

وهرم الملكة صغير الحجم ، هزيل البنيان ، غير أن حجرة الدفن به تضم نقشا مكونا من صفوف رأسية هي نسخة لنصوص الأهرامات المعروفة ومما يؤسف له أن هذا النقش مشوه جدا، وبه نقص كبير .

وهذه هي أول مرة وجدت فيها هذه النصوص فى مقبرة غير مقبرة الملك الحاكم . والمعبد الجنازى للملكة يقع الى الجانب الشرقى من هرمها ، وتفتح أبوابه الى الشمال صوب هرم زوجها « بيبى الثانى » .

وعلى مسافة ميل ونصف ميل جنوب مصطبة فرعون تقع أهرامات دهشور ، ومن بينها هرمان كبيران وهرم صغير من الحجر الجيري وهرمان من اللبن ، وقد كان الهرم الشمالى المبني باللبن والواقع الى أقصى الشمال مغطى فى الأصل بالكساء الحجرى المعتاد .

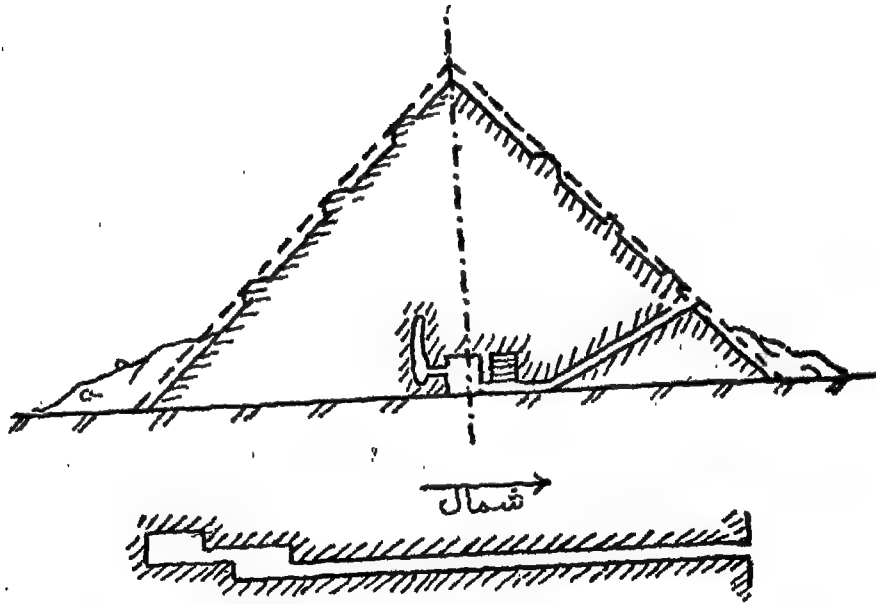
غير أن هذا الكساء زال الآن ، وصاحب هذا الهرم هو « سنوسرت الثالث » (سينزوستريس) من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ويبلغ طول كل ضلع من أضلاع قاعدته نحو ٣٤٤ قدما ، وقد نقص ارتفاعه حتى أصبح نحو ٩٠ قدما فقط .

ومدخله على نسق التخطيط الجديد الذى بدأه أولا ، على ما يظهر ، « سنوسرت الثانى » ففي هذا التخطيط أبطل نظام المدخل القديم الذى

يقع فى الواجهة الشمالية من الهرم ، وأصبح يبدأ من نقطة خارج الهرم كله فى الجانب الجنوبي أو الغربى منه .

وفى حالتنا هذه، نجد المدخل فى الجهة الغربية . وقد عثر «دى مورجان» على الدليل الذى نصل اليه من حفرة فى الركن الشمالى الشرقى من هذا الهرم ، وبداخل السور المحيط به .

كما عثر على أول مجموعة من الحلى الشهيرة لأميرات الأسرة الثانية عشرة ، تلك الحلى التى سبق وصفها أثناء الحديث عن المتحف المصرى ، وتخص الأميرتين « سات حاتحور » و « مريت » .



(شكل رقم ٧٩)

رسم تخطيطى ومقطع لهرم سننفر
الشمالى فى دهشور (هرم دهشور الكبير)

والى الجنوب الغربى من هرم « سنوسرت الثالث » يقع هرم دهشور الكبير المبنى بالحجر ، وهو بناء ضخيم لم يلق ما يستحقه من الاهتمام ، وهو أحد هرمين لسنفرو سلف خوفو ، كما أنه أقدم هرم كامل (وهو فى ذلك يختلف عن هرم « زوسر ») المدرج والهرم الآخر لسنفرو فى ميدوم ، وسنتناوله بالحديث فى الوقت المناسب .

وعلى الرغم من قدم هرم « سنفرو » بدهشور ، فإنه يمكن مقارنته فى الحجم بخلفه الضخم بالجيزة ، فالطول الحالى لكل ضلع من أضلاع قاعدته ٧.٩ أقدام ، وارتفاعه ٣٢٥ قدما ، وهو بذلك يقترب جدا من الهرم الأكبر فى طول قاعدته ، وأكبر فعلا فى هذه الناحية من الهرم الثانى ، رغم أنه أقل كثيرا منه فى الارتفاع .

وعلى الرغم من ضخامة حجمه فإن بعض المختصين يرون أنه كان مقبرة ثانوية لسنفرو ، الذى جعل من هرمه بميدوم مقبره الأبدى ، غير أن هذا الزأى لم يؤيد بعد (١) .

والى الشرق من هرم « سنفرو » الكبير يقع هرم « أمنمحات الثانى » من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وهذا الهرم مبنى باللبن ، وقد امتدت اليه أيدي اللصوص فى الأزمان القديمة ، وهو الآن فى حالة تخريب تام .

وتنحصر أهمية هذا الهرم فى أنه كان محاطا بمقابر أقرباء الملك ، وأسعد الحظ « دى مورجان » أثناء الكشف عن مقابر الأميرات غربى الهرم بالعشور على الكنز الثانى من الحلى الملكية الخاصة بالأميرات « آتا ورت » و « خنومت » و « سات حاتحور مريت » فى الخامس عشر من فبراير سنة ١٨٩٥ والأيام التالية .

وقد سبق وصف هذه الحلى حين الحديث عن المتحف المصرى - وعلى مسافة غير بعيدة الى الجنوب يقع الهرم المعروف باسم « الهرم الكاذب »

(١) قام الدكتور « أحمد فخرى » بحفائر ودراسات فى منطقة دهشور ، ويستحسن الرجوع الى مؤلفاته عن أهرامات « سنفرو » بدهشور .

- ٣٣٦ -

وترجع شهرته الى التغير العجيب فى زاوية ميله ، أكثر من أى سبب ،
آخر ، ومع ذلك فانه هرم على جانب كبير من الضخامة .

ويبلغ طول كل ضلع من قاعدته نحو ٦٢٠ قدما وارتفاعه نحو ٣٢٠ قدما ،
وهو بذلك أكبر بكثير من هرم الجيزة الثالث ، ولا يقل كثيرا عن الهرم
الثانى .

ولو كان هذا الهرم وشبيهه هرم « سنفرو » الذى يقع شماليه على
طريق يمر به السائحون ، لكان لهما من الأهمية ما لأهرامات ملوك الأسرة
الرابعة التى بنيت بعدهما ، ، ولأثارا اهتماما أكثر نظرا لانتسابهما
لعصر أقدم .

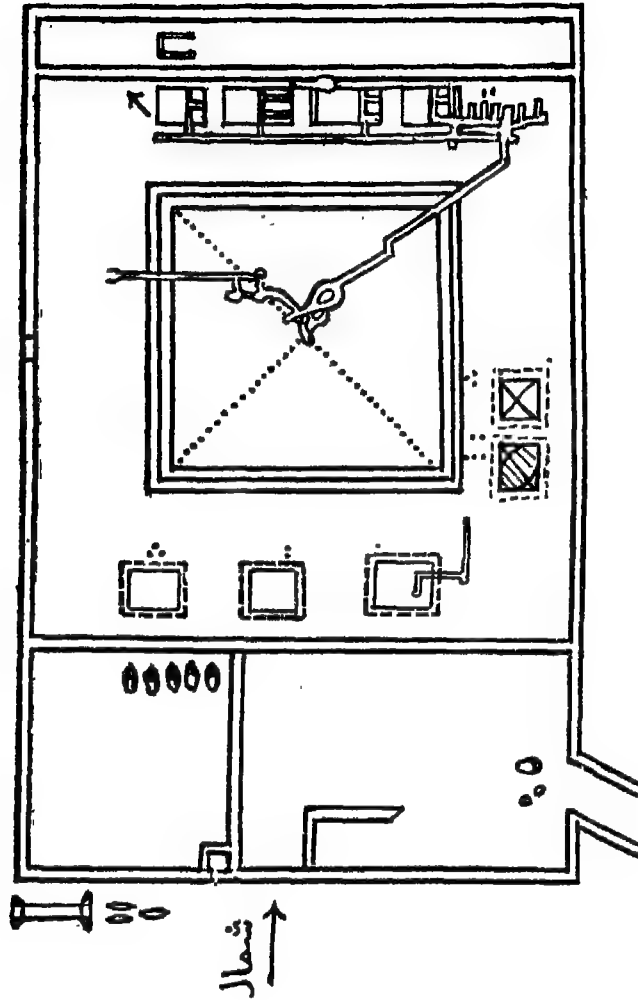
وقد وصف الهرم الكاذب بأنه مصطبة كبيرة ذات سقف محدب ،
وهو وصف له بعض وجاهته ، فالجزء الأسفل الذى يبلغ ارتفاعه أكثر
من نصف ارتفاع الهرم يرتفع بزاوية عادية مقدارها نحو ٥٤° ، وتغير هذه
الزاوية فجأة لتصبح ٤٣° فقط فى بقية البناء .

وقد نسب بناؤه الى « نفر كارع - حوى » أحد ملوك الأسرة الثالثة
المتأخرين ، وربما كان السلف المباشر لسنفرو - وقد لا يبدو هذا غريبا ،
اذ ان التغير الواضح فى التخطيط يدل على أن بناء الأهرامات الأقدمين
لم يكونوا قد استقروا بعد على الشكل الهرمى المعروف ، الذى
كانوا يرمون اليه .

وباستثناء كساء القاعدة ، خصوصا عند زواياها ، نجد أن الكساء
الخارجى للهرم لازال بحالة جيدة ، تزيد فى أهمية هذا الأثر الفريد ، لأنه
يرينا ما كانت عليه الأهرامات الأخرى التى زال عنها كساؤها .

والى الشرق من الهرم الكاذب ينهض الهرم الجنوبى المبنى باللبن ، الذى
بناه الملك « أمنمحات الثالث » من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وهو هرم
ثانوى ، لأن مقبرته الشخصية كانت هى هرم هوادة القريب
من مدخل الفيوم .

- ٣٣٧ -



(شكل رقم ٨٠)

الرسم التخطيطي لهرم سنوسرت الثالث في
دهشور « نقلا عن دى مورجان »

(م ٢٢ - الآثار ج ١)

ومدخل هذا الهرم - كالمعتاد لدى ملوك الأسرة الثانية عشرة - لا يساير العرف القديم ، اذ يقع في الجانب الشرقى بالقرب من الركن الجنوبي الشرقى .

« ونظام الممرات التى تنتهى بممر طويل مسدود ، يشبه كثيرا نظام هواره » ، وسنشرح ذلك فى حينه ، وقد وجدت قمة الهرم بارزة عن الأرض بعد أن أتم « دى مرجان » حفائره فى هذا الموقع .

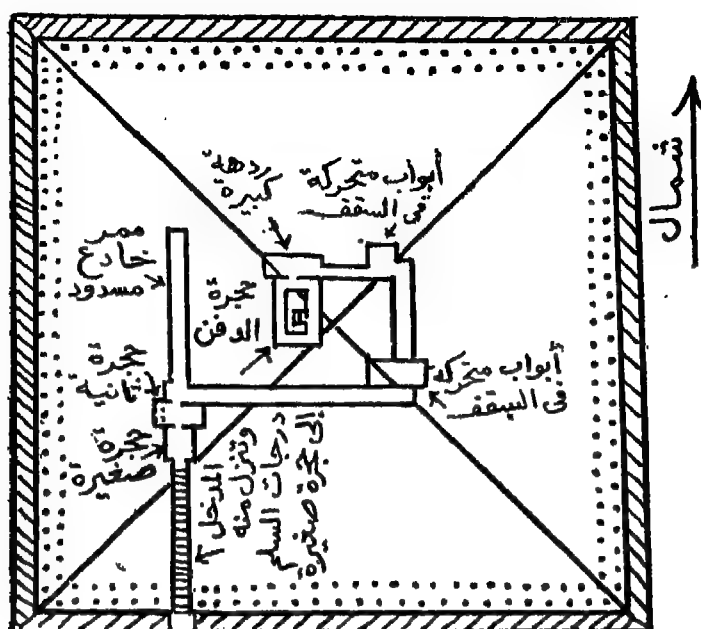
وهى قطعة رائعة من الجرانيت الأسود أجيد صنعها وصقلها ونقشها ، وهى الآن بالمتحف المصرى كما سبق الذكر .

وقد وجد « دى مرجان » فى الركن الشمالى الشرقى من الهرم ، داخل السور مقبرة ومخلفات الملك الشاب « ايب رع - حور » التى سبقت الاشارة الى تمثاله الخشبي عند الكلام عن المتحف المصرى .

ويضعه البعض بين ملوك الأسرة الثانية عشرة ، باعتبار أنه خليفة « أمنمحات الثالث » وشريك « أمنمحات الرابع » فى الحكم ، لكن طراز تمثاله - الذى يختلف تماما عن تماثيل الأسرة الثانية عشرة التى تمثل القوة والرجولة الكاملة - أقرب الى ذلك الفن المتدهور فى العصر التالى ، مما يوحى بنسبة هذا الملك الى الأسرة الثالثة عشرة ، وان كان هذا لم يثبت بعد .

وقد عثر على مقبرة الأميرة « نب حتبنتى خوت » بالقرب من مقبرة هذا الملك - ويضم المتحف المصرى بعض حليها ، كما يضم بعضها من حلى ذلك الملك (أرقام ٣٩٨٦ - ٣٩٨٧ بالحجرة ٣ بالطبقة العليا) بالخزانة ٤ (١) .

(١) عشر أخيرا على هرم الملك يسمى « عامو » أى الآسيوى ، ويغلب على البظن أنه كان من ملوك العصر المتوسط الثانى .



(شکل رقم ۸۱)

هــوم امنمحات الثالث بمنطقة هــوارة

وعلى مسافة غير بعيدة جنوبى دهشور تقع مزغونة . وفى عام ١٩١٠ - ١٩١١ كشف السيد « ارنست ماكاى » - الذى كان يحفر للمعهد البريطانى للآثار المصرية - المبانى السفلية لهرمين من عهد الأسرة الثانية عشرة ، لم يبق الآن أى أثر من مبانيهما العلوية .

ويقع الهرم الجنوبي منهما على مسافة تقرب من ثلاثة أميال إلى الجنوب من الهرم الجنوبي الحجري بدهشور ، وهو مبنى باللبن ، وله كساء من الحجر الحري ، ويحيط به سور من اللبن .

وبداخل الهرم حجرات كاملة بها سدات من الكتل الحجرية وممرات كاذبة للتمويه على لصوص المقابر ، وهى تشبه فى ذلك نفس التصميم الذى اتبع فى هرم « أمنمحات الثالث » بهوارة .

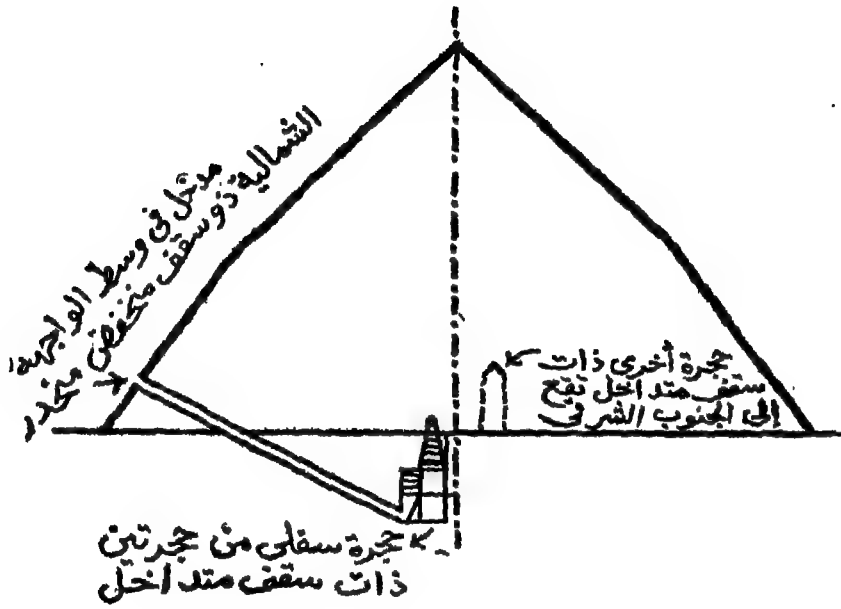
وقد وجد التابوت فى حجرة الدفن متداخلا فى مباني الهرم ، وهو تابوت كبير الحجم من حجر الكوراتزيت الأحمر ، ومقاسه من الداخل يزيد عن عشر أقدام طولا بعرض ثلاث أقدام وتسبع بوصات ونصف بوصة ، بينما عرضه من الخارج سبع أقدام . ومن المحتمل أن هذا الهرم كان خاصا بالملك « أمنمحات الرابع » .

أما الهرم الشمالى فيقع على مسافة ربع ميل الى الشمال من الهرم الآخر ، ويظهر انه كان مبني بالحجر ، وحجراته وممراته تشبه حجرات وممرات الهرم الجنوبى ، غير أن تابوته أكبر حجما من التابوت الآخر ، اذ يبلغ طوله ١٥ قدما ، وسبع بوصات ، وعرضه ٨ أقدام وسبع بوصات ونصف بوصة ، وارتفاعه ٦ أقدام .

وطرفه الجنوبى كان أيضا موضوعا فى نهاية الجدار القبلى من حجرة المدفن . والمرجح أن هذا الهرم كان مقبرة للملكة « سبك نفرو » التى خلفت أخاها « أمنمحات الرابع » بعد حكمه القصير (١) .

(١) لا يوجد حتى الآن ما يؤكد نسبة الهرمين الى الملكة وأخيها .

- ٣٤١ -



(شكل رقم ٨٢)

الهرم الكاذب أو المنحني أو المنبعج - قطاع
في اتجاه الناحية الشمالية (منطقة دهشور)

الفصل التاسع

مصاطب صقارة

ونعود الآن الى الحديث عن أمثلة قليلة بارزة لما يمكن أن يعتبر بحق أهم مظاهر تلك الجبانة القديمة وان كانت ليست اكثرها اثارا ، ونعنى بها مصاطب رجال البلاط والموظفين والنبلاء فى أواخر أيام الدولة القديمة . وقد سبق أن أشرنا الى مصطبة أو مصطبتين من عصر بناء الأهرام فى الجيزة ، ولكن صقارة تعد بحق موطن المصطبة ، ولا توجد فى أى مكان آخر أمثلة أدور مما يوجد بها .

وعلى ذلك فمن المناسب أن نقف برهة لتأمل طبيعة المصطبة والأشكال المختلفة التى اتخذتها خلال عصرها الذهبى .

ولا تقتصر القيمة الكبيرة للمعلومات التى نستقيها منها على آراء المصرى فى الدولة القديمة عن الحياة الأخرى ، بل انها تتصل بالحياة اليومية التى اعتادها بين أترابه .

وكلمة « مصطبة » كلمة عربية تعنى المقعد الذى يوضع عادة الى جانب مدخل البيت العربى ، وقد أطلقت على مقابر الدولة القديمة لشدة الشبه بينها وبين ذلك المقعد المبنى باللبن أو بالحجر .

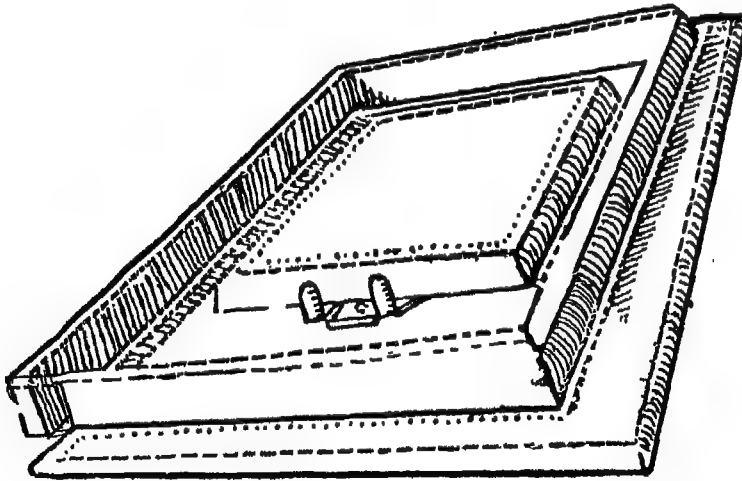
ووافق « ماريت » على هذه التسمية حين سمع عماله يطلقونها على هذا النوع من المقابر ، والمصطبة هى فى الحقيقة تطوير للكومة الترابية التى كانت تكوم فوق حفرة المدفن البدائية ، ففى البداية كان الدفن يتم فى حفرة بسيطة مستطيلة أو مستديرة الشكل ثم كومت فوقها لتحمى محتوياتها من النهب ، ثم كسيت الكومة باللبن زيادة فى المحافظة عليها .

وتلا ذلك توسيع رقعة كل من حفرة الدفن السفلية والكومة المكسوة باللبن بحيث أصبحت الحفرة لا تعدو حجرة كبيرة قسمت بواسطة جدران متقاطعة لتكون أقوى احتمالا للضغط الراقع فوقها ، وبهذا أصبحت الكومة الواقعة فوق سطح الأرض بناءا كبيرا مستطيل الشكل .

وبعد ذلك اتخذت خطوة الى الأمام في تطور هذا الطراز - فكلما كبر حجم البناء العلوى زادت الصعوبة في الانتهاء من المقبرة بعد أن يتم الدفن ، كما زادت الصعوبة في الاطمئنان الى الانتهاء منها بعد أن يموت صاحبها الذى لم يعد بعد حيا حتى يوالى تكميلها .

لذلك خطط التصميم الجديد ليكون مدخل المقبرة خارج حدود البناء العلوى ، وحتى يمكن الانتهاء من حجرة الدفن السفلية دون الارتباط بالبناء الآخر ، وفى الوقت نفسه يمكن الانتهاء أيضا من البناء العلوى دون الحاجة الى الانتظار حتى تتم حجرة الدفن وتشغل قبل وضع اللمسات الأخيرة .

وعلى ذلك لن يبقى شيء يعمل بعد وفاة صاحب المقبرة غير سحب جثته فوق البئر المنحدرة لتستقر فى حجرة الدفن ، ثم سد بابها بكتلة ضخمة من الحجر وملء البئر بالرمال .



(شكل رقم ٨٣)

نموذج من مصاطب العصر العتيق
للملكة (مر - نيث) فى دهشور

وكانت الخطوة الأخيرة في البناء هي احلال الحجر محل اللبن في البناء العلوى ، وحفر بئر الدفن عموديا داخل المصطبة الى عمق كبير ، مع جعل حجرة الدفن في زاوية قائمة مع قاع البئر .

وبذلك وصلت المصطبة الى الكمال كطراز للمقبرة ، وقد احتفظت بشكلها الى أن حلت محلها المقابر المنحوتة بالصخر في عصر الدولة الوسطى وعصر الأمبراطورية .

وصارت المقبرة الملكية في نفس خطوات التطور حتى وصلت في تطورها الى شكل المقبرة المستطيلة ذات الجدران المتقاطعة (كما هو الحال في المقابر الملكية للأسرتين الأولى والثانية بآبيدوس) .

ثم أخذت بعد ذلك تتباعد عن الطراز الدقيق للمصطبة ، فاتخذت أولا شكل الهرم المبنى من عدة مصاطب احدهما فوق الأخرى ، كما هو الحال في الهرم المدرج ، وبعد ذلك كسيت المصاطب المتتالية بكساء ناعم من أعلى الى أسفل ، كما هو الحال في هرم « سنفرو » بآبيدوم .

(وقد زال كساؤه طبعا منذ زمن طويل) بدلا من جعل الكساء مدرجا أيضا كما هو الحال في الهرم المدرج ، وأخيرا جاء الهرم الكامل ممثلا في هرم « سنفرو » الثاني بدهشور ، وفي مجموعة أهرامات الجيزة .

وفي الوقت نفسه سائر التطور الداخلى للمصطبة التطور الخارجى لها ، فقد كانت مقبرة الرجل العظيم تتميز عادة بلوحتين على غرار المقابر الملكية بآبيدوس ، وكانت القرايين تقدم امام هاتين اللوحتين لصالح المتوفى .

وبعد ذلك اتخذت خطوة ثانية هي بناء مشكاتين في الجانب الشرقى من البناء العلوى المبنى باللبن ، واتخذتا شكل الباب ، وفعلتا كائنا مثلان بابين وهميين ، وكان المفروض أن يخرج منهما المتوفى ليستنشق النسيم العليل ويتناول القرايين التي يقدمها اليه أصدقائه .

وكانت الطقوس الجنائزية تقام أمام الباب الجنوبي من هذين البابين ، كما كانت توضع القرايين أمام الباب ليتناولها صاحب المصطبة ، ثم تطورت المشكاة الى لوحة على هيئة باب مزخرف نقش عليه اسم المتوفى ، وألقابه ، وبيان بالقرايين التى كان يشتهيها .

وأخيرا تحولت الطقوس الجنائزية التى كانت تقام علانية أمام المشكاة الخارجية للمصطبة الى داخل المبنى ، فأقيم أولا جدار خاجب خارج المشكاة لتحويلها الى نوع من المحراب المكشوف .

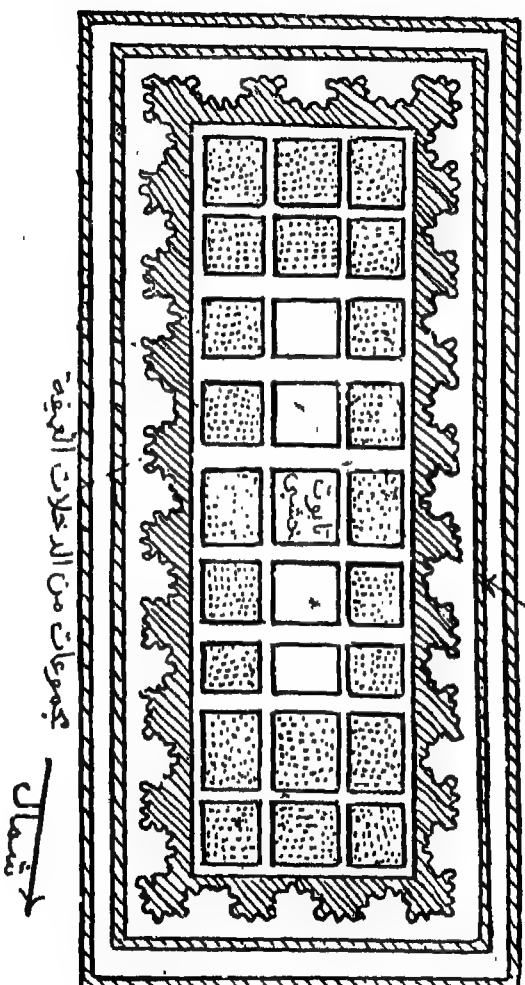
وبعد ذلك فتحت المشكاة فى صلب البناء ، وعمل ممر قصير يؤدي الى محراب داخلى وضعت على الجدار الشرقى منه المشكاتان السابقتان اللتان حولتا الى لوحتين على شكل بابين .

وأمام هذين البابين كانت توضع موائد القرايين لتلقى الهدايا التى كان يقدمها اصدقاء صاحب المقبرة ، الذى كان يمثل دائما على اللوحة اما بالحفر البارز أو يكون مجسما غالبا ، ينظر الى محراب المقبرة والقرايين ، أو يخطو من المقبرة ليتناولها .

ومن العناصر الجوهرية بالمصطبة تمثال صاحبها الذى يمكن أن يحل محل الجسم حتى اذا حدث شيء للأخير كان هناك ما يقوم مقامه ليعود اليه « الكا » ، وكانت تخصص حجرة سرية للتمثال فى صلب مبنى المصطبة ، ولا يمكن لأحد الوصول اليها سوى « الكا » .

وتعرف هذه الحجرة السرية بسرداب المصطبة ، وفى بعض الأحيان كانت توجد فجوة بين السرداب والمحراب لتنفذ منها رائحة القربان الى التمثال فى مخبئه ، وكان الرجل الموسر يقتنى أكثر من تمثال واحد ليزيد فرص الخطود فى الحياة الآخرة .

بناء من الطوب اللبنى قسم داخله إلى ٢٧ حجرة
صغيرة تحفظ أواني الطبخ^٢



مجموعات من الدخلات المربعة

شمال

(شكل رقم ٨٤)

نموذج آخر من مصاطب العصر العتيق بصقارة للملك
« عجا » التى كشفت عنها الأثرى (و . ب امرى)

- ٣٤٧ -

وبذلك تكون العناصر الجوهرية البسيطة للمصطبة هي البئر الذى ينتهى من أسفله بحجرة الدفن ، والبناء العلوى الذى تطور أخيرا الى مقصورة تضم لوحين أو بابين وهميين ، ومائدة قربان ، والسرداب الذى يحوى تمثالا أو عدة تماثيل للمتوفى .

ولكن اذا اقتصر كل ذلك على الاهتمام بالجانب الذى يمثل معتقدات المصرى فى الحياة الأخرى ، فإنه ينقصنا الجانب الآخر الذى يمدنا بمعلومات عن الحياة الدنيا التى كان يعيشها صاحب المقبرة ، ومن حسن الحظ أنه كان يعتقد أيضا فى ضرورة تصوير الحياة الدنيا لرفاهية المتوفى فى الحياة الأخرى .

ويبدو أن الدافع الى هذا الاعتقاد يشبه كثيرا الدافع الذى أوحى الى رجل العصر المجدلى - أثناء العصر الحجري القديم - بأن يرسم على جدران الفجوات المظلمة فى كهفه صور الثور أو الماموث أو الوعل التى اعتاد صيدها لطعامه اليومى .

فقد اعتقد الرجل المجدلى أن الحيوان الذى رسمه على جدران كهفه سيقع بالسحر فريسة سهلة لنبله أو للشرك الذى أعده لصيده ، وقد اعتقد المصرى القديم فى عصر الدولة القديمة أن نفس السحر سيمده فى مقبرته بالمواد المحملة بالطيبات التى رسمت على جدران مقصورته .

ويغمره بالقرايين الممثلة فى أيدي خلمه ، ويسمح له بالدخول والخروج أو التمتع بمراى خدمه وهم يعملون فى مزرعته يسوقون ماشيته ويحصون أوزة ، كما أن رسوم زوجته وأبنائه وبناته وكلابه وقططه ستضفى عليه السرور وتسعده بالصحبة الدائمة فى مقبرته .

وعلى ذلك كانت المصطبة تزخر بمجموعة من الرسوم المنحوتة واللونة ، أو اللونة فقط ، تمثل كل ما كان يستمتع به صاحبها فى حياته الدنيا، وبذلك تصعبه كلها بصورة حقيقية فى الحياة الجديدة التى دخلها عند وفاته .

- ٣٤٨ -

وعلى ذلك فاننا حين نرى في مقبرة « بتاح حتب » أو « تى » تلك الرائعة للحياة في الدولة القديمة ، التي تتميز بحيويتها وواقعيته لا نأنها وضعت فقط لمجرد كونها زخرفة جميلة أو لمجرد الاعتراف بأنها تثير المتعة في عين صاحبها .

حتى بعد تجريده من جسمه - عندما يرى مرة ثانية الأشياء التي يستمتع بها في حياته ، ولكن الحقيقة أننا نرى في هذه الصورة ما كان يـ صاحب المقبرة وشعبه ضرورة حيوية لاستمرار حياة العالم الآخر .

وبدون ذلك يتعرض لكل آلام الجوع والعطش والرعب المؤكد في المـ الدائم .

وصور المقابر لا تتميز فقط بأنها أكثر الصور الجدية التي تمثل شعب قديم ، بل انها أكبر شاهد مقنع لاحساس شعب نحو الخـ ذلك الاحساس الذي لا مثيل له في التاريخ الدينى لأى شعب آخر الأرض .

وعلى ذلك تكون العناصر التي كان يعتبرها المصرى في الدولة القـ ضرورة لاعداد مصطبته ومقصورتها لضمان مستقبله بعد وفاته باختصار كما يأتى وهى ملخصة من كتاب « ديفز » (مصطبة « بتاح - و « آخت حتب » ، جزء ٢ - ٩) .

(١) اللوحة المشكلة على هيئة باب ، وهذه غالبا تحمل رسم اـ داخلا وخارجا أو تمثاله ، وعادة تكون حافلة بالدعوات .

(٢) تمثال وأسماء وألقاب المتوفى .

(٣) قائمة بأصناف الطعام والشراب تشمل نحو مائة مـ اذا كانت كاملة .

- (٤) صورة المتوفى جالسا أمام مائدة غنية بالطعام .
- (٥) مواكب الخدم تحمل الزاد ، ومناظر ذبح الحيوانات للطعام .
- (٦) النصوص التي تتحول بواسطتها المأكولات المصورة الى حقيقة .
- (٧) صور زوجة المتوفى وأسرته والحيوانات الأليفة ، والخدم المقربين لضمان مصاحبتهم له في حياته الجديدة .

وهذا الاعداد ، وان بدا محكما ، غير أنه يمثل التطور الطبيعي لما كان يعمل به رجل العصر الحجري الأول حين كان يضع سكيننا من الصوان، وفخذه من اللحم بجانب صديقه المتوفى الذى وسده فى الكهف ، ويمكن اعتباره كأهم مصدر يمكن تصوره عن الحياة المصرية منذ خمسين قرنا تقريبا .

وبعد هذا الشرح المستفيض الذى لن يضيع سدى مادام يمدنا بفكرة واضحة عن المصطبة وليس باعتبارها مجرد منظر جميل ، نبدأ بوصف أهم وأقرب نماذج من هذه المقابر العديدة الموجودة بصقارة .

وطبعا توجد - فى جبانة شاسعة ذات تاريخ طويل مثل صقارة - أمثلة مميزة من كل طراز المقابر ، ومن كل عصور التاريخ المصرى تقريبا ، وقد كشف عن عدد كبير من المقابر الهامة من عصر الدولة الوسطى ، ومن أمثلة ذلك مقبرة « كارانين » التى أمدت المتحف المصرى بمجموعة هامة من النماذج ، من أوائل عهد الدولة الوسطى .

كما أمدته بنسخة من نصوص التوابيت التى تقابل نصوص الأهرامات فى الدولة القديمة ، وكذلك مقبرة « انبوام حات » من الدولة الوسطى أيضا ، وقد أمدتنا بأحسن مجموعة من النماذج عرفت حتى كشف عن نماذج « مكت رع » (جزء منها بنيويورك الآن) ، التى عثر عليها بطيبة عام ١٩٢٠ .

ولكن أهمية جبانة صقارة ترجع قبل كل شيء الى أنها من عصر الدولة القديمة خصوصا فى أواخرها حين بدأ التدهور فى أيام الأسرة الخامسة وأوائل الأسرة السادسة ، وتبعاً لذلك يرجع أهم المقابر المنقوشة

أالى عصر الأسرة الخامسة .

وسنختار من بينها مقبرة « بتاح حتب » ومقبرة « تى » ، وهما لا تتميزان فقط بسهولة الوصول اليهما ، بل انهما تستحقان بحق ماتتعتان به من شهرة ، كأحسن مصطبتين بجبانة صقارة ، نظرا لدقة وجمال المنابر التى تزينهما .

مصطبة بتاح حتب :

ونبدأ بمصطبة « بتاح حتب » الذى كان يشغل منصبا مرموقا فى عهد الملك « أسيسي » من ملوك الأسرة الخامسة ، وهناك أربعة على الأقل يحملون هذا الاسم ، ولهم مصاطب بجبانة صقارة ، وليس من السهل معرفة شخصيات كل منهم ، ونوع قربانهم بعضهم لبعض .

وأنه لمن الغزى أن نلصق أن « بتاح حتب » هذا كان هو الوزير المشهور فى عهد الملك « أسيسي » ، وأنه هو الذى كتب ، أو نسب اليه انه كتب ، تعاليم « بتاح حتب » احد كتاب الحكمة فى عصر الدولة القديمة ، ولكن هذا أمر بعيد الاحتمال .

ولسنا كذلك متأكدين من أن هذا الكتاب لواحد ممن يحملون نفس الاسم ، رغم أن هناك ميلا الى اعتبار قاضي المحكمة العليا والوزير والصدىق الوفى « بتاح حتب » المعروف باسم « بتاح حتب الثانى » وصاحب المقبرة رقم ٦٢٠ التى تجاوز المصطبة التى نحن بصددھا - صاحب هذه التعاليم .

ومصطبة « بتاح حتب » مزدوجة يتقاسمها الرجل الذى يحمل اسمها ، وموظف آخر كبير من الأسرة نفسها يدعى « آخت حتب » له صلة ببتاح حتب غامضة بعض الشيء ، وان كانت الدلائل تشير الى أن « آخت حتب » هو اكبر الاثنين .

ويحتمل أنه كان والد « بتاح حتب » هذا الذى كان بدوره والد « آخت حتب » آخر صاحب مصطبة أخرى (رقم هـ ١٧) فى الجبانة ، ومع ذلك فإن من الممكن أن تنعكس الصلة بمعنى أن يكون صاحبنا « بتاح حتب » هو والد ، وليس ابن « آخت حتب » الذى يشاركه فى المصطبة .

. وتصميم المقبرة يوضح أقسامها المختلفة ، وهى مصطبة كبيرة معقدة التخطيط، إذا قورنت بالفكرة المبسطة الطراز للمصطبة الذى سبق وصفها، فهى تحتوى على مجموعة كبيرة من الحجرات والممرات .

وإذا دخلنا من رقم (١) على الجانب الشرقى من البناء فانا نسير فى الممر (٢) وعندما نصل الى قرب نهايته نتجه يمينا الى صالة أعمدة كبيرة (٣) ، ومع أنها كبيرة الحجم (٢٩ قدما و ٩ بوصات \times ٢٧ قدما و ٥ بوصات) فانها ليست بذات أهمية كبيرة ، اذ أن رسومها خشنة بعض الشيء ، وغير كاملة .

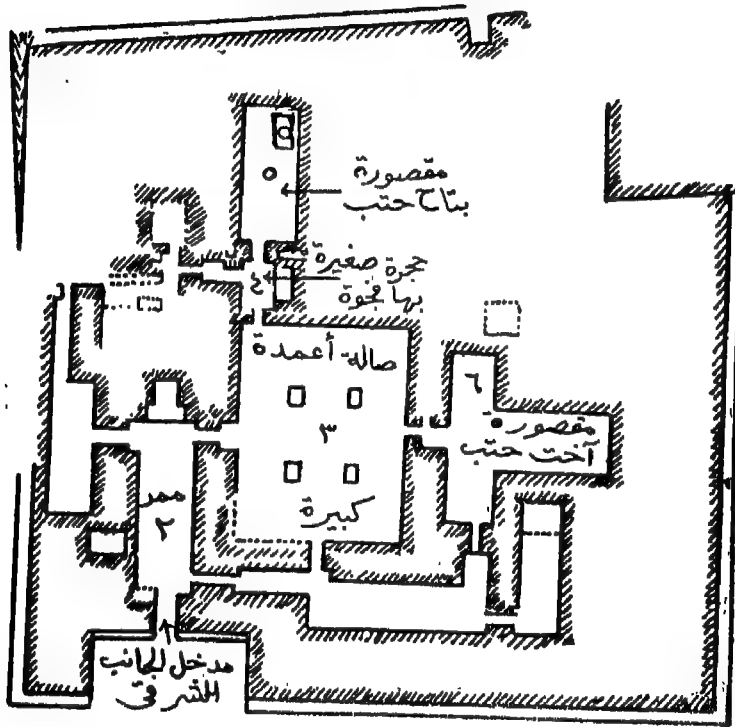
وبعد أن نعبر بابا ضيقا فى الركن الجنوبي الشرقى من هذه الصالة نصل الى ممر آخر (٤) أو بالأحرى حجرة صغيرة بها فجوة عشر فى ركن منها على صدفه بها لون أحمر ، وربما كان هذا اللون قد تركه أحد الفنانين الذين قاموا بتلوين مقصورة المصطبة .

ومن المحتمل جدا أن يكون هذا الفنان هو رئيس الرسامين « تى عنخ بتاح » نفسه ، ومن هذه الحجرة ندخل الى مقصورة « بتاح حتب » ، وهى حجرة ضيقة مقاسها ١٧ قدما و ٥ بوصات \times ٧ أقدام وبوصتين (٥) وبعد ذلك نعود الى صالة الأعمدة لنصل الى مقصورة « آخت حتب » بواسطة باب يقابل باب الدخول من الممر الأول .

وهذه المقصورة على شكل غريب جدا ، ومقاس الرأس المتقاطع للحرف ٢١ قدما و $\frac{٨}{٣}$ بوصات \times ١٥ قدما و $\frac{٥}{٤}$ بوصات ، أما قاعدة الحرف فتبلغ ١٤ قدما وبوصة \times ٨ أقدام وبوصة (٦) ، وهذه هى كل الحجرات المفتوحة للزيارة ، وإن كان الرسم يبين عدة حجرات أخرى ليست بذات أهمية خاصة .

والآن نتناول بالشرح الرسوم المصورة على المقصورتين . والرسوم فى ممر المدخل (٤) لا تثير الكثير من الاهتمام اذا استثنينا المثل الذى تقدمه عن الطرق التى اتبعها النقاشون المصريون فى المقابر ، « اذ أن نقوش الجدران لم تكمل قط » .

ويظهر هذا في جميع المراحل ابتداءً من الرسوم المخططة بالحبر ، غير الواضحة تقريباً ، الى النقوش الدقيقة التي تم نحتها « أما صالة الأعمدة التي لم يكمل العمل في نحت أي واحد من أعمدتها الأربعة ، فانها لا تستحق الوقوف عندها .



(شكل رقم ٨٥)

مصطبة بشاح حتب وأخت حتب ، بصقارة
(تشير الأرقام الى الوصف في متن الكتاب)

ومقصورة « بتاح حتب » (٩) تحتوى على بعض الأمثلة الرائعة التي تكشف لنا عن مهارة الفنان المصرى فى الحفر والتلوين . ومن حسن الحظ أن بعض الألوان لا تزال محتفظة برونقها حتى الآن ، وقد شكل سقف المقصورة على هيئة جنوع النخل ، ولون باللون الأحمر ،

وعلى باب المدخل مناظر الخدم وهم يتقدمون نحو المقصورة حاملين قرابين اللحم والطيور . وفوق باب الجدار البحرى الذى دخلنا منه الى المقصورة منظر مهشم بعض الشيء يمثل « بتاح حتب » مرتديا ملابسه اليومية .

وقد قُبعت كلابه المدللة تحت كرسيه ، بينما يمسك أحد تابعيه قرداً ، ويقوم بعض خدمه بتزيينه ، فى حين يتلقى البعض الآخر أوامره أو يطربونه بالموسيقى ، وتحت هذا المنظر الى يمين الباب خدم آخرون يحملون الهدايا ، ومنظر الذبح للتضحية .

والآن نعود الى الجدار الغربى (١) وبذلك نواجه الشرق حسب العادة القديمة (حيث نرى اللوحتين اللتين وصفتا بأنهما عنصران ضروريان للمصطبة ، وعلى اللوحة الواقعة الى اليمين (أو الشمال) زخرفة على جانب كبير من الروعة ، ولكنها غير تامة ، وتمثل واجهة قصر ببوابته الجميلة .

وبين هذه اللوحة واللوحة الأخرى الجنوبية نقوش محفورة يمثل الجزء الأعلى منها قائمة بأسماء القرايين ، وفى أسفلها صف من الكهنة يقدمون القرايين ، وتحتهم ثلاثة صفوف من الخدم يحملون الهبات .

ويجانب الباب الجنوبى نرى « بتاح حتب » جالسا أمام مائدة قرايين محملة بالطيبات - أما اللوحة الجنوبية فهى باب كاذب كامل الأجزاء ، اذ يضم المقص والكورنيش .

وقد خصصت جميع نقوشه « لبتاح حتب » ، وفي الجزء الأسفل منه مناظر تمثله جالسا في مقصورة ، ومحمولا على محفة .

وعلى الجدار الجنوبي نرى أيضا « بتاح حتب » جالسا أمام مائدة قرابين محملة بالطيبات ، بينما يقوم الخدم والكهنة بذبح الماشية ، واحضار المأكولات الطازجة ، كما نرى خادمت في أعلى يمثلن اقطاعيات الرجل العظيم ويحملن مأكولات أخرى .

ولكن الجدار الشرقي للمقصورة هو أكثرها أهمية ، وإدقها صناعة ففي المنظر الأول نرى « بتاح حتب » ممثلا بدون عباءته ، وبدون ذقنه الرسمي ، وهو يراقب - كما يدل النقش - كافة ألوان اللهو الذي يجرى في البلاد كلها .

وفي الصف العلوى منظر يمثل جمع البردى في المستنقعات ، وخوض الخدم بماشيتهم عبر البركة المملوءة بالشماسيح ، ونرى أحد الرعاة في مركب ، في الوقت الذي يمسك آخر عجلا صغيرا بحبل .

وهما يصيحيان في التمساح المتربص لهما : « أيها القنر » فليهنأ قلبك بالعشب الضار الذي ينمو في الماء » وفي الصف الثانى نرى اولادا يلعبون - ومما يلفت النظر ذلك المنظر الذي يمثل بعضهم وهم يدورون على أعقابهم .

بينما يمثل آخرون المحاور التى يدورون عليها (١) ، ومنظر الأولاد وهم يجلسون على الأرض وأصابع أيديهم تمسك بأصابع أقدامهم ، بينما يحاولون النهوض دون الاستعانة بأيديهم .

ويلاحظ أيضا ذلك الولد الذى يركع على الأرض ويحاول الإمساك بأقدام زملائه الأربعة الذين يحاولون التغلب عليه بالهجوم من كل جانب ، وهى لعبة من اقدم وأبسط الألعاب ، ونقرأ في الكتابات ما يأتى : « انظروا ... انكم ركلتمونى ، وأشعر بألم فى جميع جوانبى ، وها أنا قد أمسكت بكم » .

(١) يطلق على هذه الرقصة اسم « الدوران المرح » .

وفي الصف الثالث منظر لقطف الكروم ، فنرى رجالا يسقون الكرمة ويقطفون العنب ويعصرونه ويستخرجونه منه العصارة .

ومن المناظر الرائعة منظر يمثل حياة الصحراء والقنص ، والصف الرابع المخصص لذلك ينقسم الى قسمين : ففي القسم العلوى نرى كلاب الصيد تهاجم الضباع والوعول والظبي ، بينما تروض غزالة رضيعها ؛ كما نرى حيوانات أخرى .

وفي القسم السفلى نرى صيادا يمسك بمقود كلبين للصيد ، وقد تزين بقميص ذى خطوط زاهية الألوان ، يشبه ما يلبسه لاعبو الكرة ، وهو يشير الى منظر لأسد ، ينقض على ثور يتألم ألما شديدا .

كما نرى كلاب صيد أخرى تثير الرعب فى غزال و ظبي ، وراع قد أمكنه امساك أحد ثورين بريين بواسطة جبل للصيد ، وفوقها نرى قنفدين كبيرين ، أبدع تمثيلهما ، يسيران فى خطوات متئدة الى الأمام ، ويمسك أحدهما بفيه جراداة إصطادها .

ومع أن نباتات الصحراء قد رسمت بشكل تقليدى يجعل تمييزها صعبا ، فإن المنظر بوجه عام بديع وممتلىء حيوية .

ونرى فى الصف الخامس مناظر على شاطئ النهر ، فالسمك قد طرح ليجم فى الشمس ، وقد شغل كهل وولد بتضفير الحبال التى تستخدم فى صنع المراكب ، كما يذكر النص ، ويقول الرجل للولد :

« أيها الشاب القوى أحضر لى الحبال » والولد يقدم للرجل لفتين من الحبال قائلا له : « يا والدى : هاك الحبل » .

والصف السادس يمثل منظرا لصيد الطيور ، ونرى فى القسم الأعلى منه جماعة من الرجال يسحبون الشباك بشدة الى حد يجعلهم يرقدون على ظهورهم .

وفي القسم الأسفل نرى جماعة أخرى تجلس المقرصاء على استعداد لسحب الشباك ، بينما يصيح الرجل الذى يعطيها الإشارة : « اسحبوا يا أصدقائي فهناك صيدكم » .

وفي الصف السابع نرى مشاجرة ساخرة بين بحارة ثلاث مراكب، وهو موضوع طرقة الفنان المصرى كثيرا ، وقد ظهر خلف البحارة المتشاجرين مركب رابع يحمل رجلا عجوزا ، يستمتع في هدوء بطعام وشراب وفير .

ويذكر النقش أن هذا الرجل هو « نى عنخ بتاح » أو « بتاح نى عنخ » الصديق المحبوب الأمين ، رئيس النحاتين « لبتاح حتب » ، ومن المحتمل أن يكون هذا هو اسم الفنان العظيم الذى قام بعمل هذه الرسوم الرائعة .

ومن المؤسف أن صورته غير واضحة تماما ، والمنظر على أى حال هو أحد المناظر أو النقوش المتشابهة المألوفة التى تفند الأسطورة التى شاع تداولها حتى، كادت تصبح حقيقة واقعة ، وهى أن « الفن المصرى غفل تماما من التوقيع » .

ويذكر السيد « ايلى فوار » فى كتابه (تاريخ الفن ، الجزء الأول) : « اننا نعرف آلافا من أسماء الملوك والكهنة وقادة الحروب ورؤساء المدن، ولكن لا نعرف اسما واحدا بين أسماء الذين أبرزوا الفكر الأصيل فى مصر ، ذلك الفكر الذى يتجلى دائما فى أحجار المقابر » .

ولكن يكذب هذا الادعاء غير الصحيح أسماء « مرتيسن » فى الدولة الوسطى ، و « بك » و « أوتا » فى الدولة الحديثة وغيرهم ، وهما هو « نى عنخ بتاح » فى الدولة القديمة يقدم دليلا آخر بجانب تلك الأدلة فى العصور الأخرى على أن الفنان المصرى ، شأنه شأن الفنانين فى كل زمان ومكان ، يجب ان يعرف وأن يذكر مع عمله البديع .

والمنظر الثانى على الجدار الشرقى يبين « بتاح حتب » فى ملابس الرسمية ، مرتديا عباءته ولباس رأسه الكامل ولحيته الرسمية ، « ناظرا الى الهدايا والخيرات المقدمة من قرى الشمال والجنوب » .

والصف العلوى يرينا مناظر للمصارعة ، ودراسات بديعة للجسم فى حالة الاجهاد الشديد ، وجماعة من الشباب يمسكون بشاب أسر دون شك فى لعبة تشبه « لعبة المساجين » الحالية ، وفى الصفين التالين نرى الصبايين وهم عائلون بصيدهم .

فالصياد ذو القميص المخطط يعود بكلايه ، والأرانب والقنابد تحمل في أقفاص ، كما نرى أسدا وفهدا كلا منهما فى قفص ، يسحبان على زلاقة ، بينما يساق ظبى ووعل وحيوانات صيد أخرى من نفس النوع .

والصف الخامس والصفوف التالية تمثل الحياة فى المزرعة : وفى الصف الخامس نرى ماشية تطعم بالطرق الصناعية بقصد تسمينها ، وفى الصف السادس نرى ثيرانا سمينة تساق لفحصها ، وحول رقبة أحدها ما يمكن اعتباره بطاقة « امتياز » .

ويلاحظ فى هذه المجموعة المزدوجة بصفة خاصة الوضع الغريب للرعى الذى يسوق الثور الممتاز - وهذا مثل طيب لمحاولة قام بها الفنان المصرى ليتحرر من الوضع التقليدى ، ويظهر الحركة التى يؤديها رأس وجسم الانسان عندما يتحدث الى شخص وراءه ، وعلى الرغم من أن هذه المحاولة ليست موفقة تماما ، فانها جديرة بالاعتبار .

ونرى أخيرا نماذج من أسراب لاعد لها من الدواجن والطيور الأخرى ، ويدل عدد كل نوع منها على وفرة ما كان يملكه هذا الرجل العظيم ، فعدد اوز « را » ١٢١ر٢٠٠ وأوز « تيرب » ١٢١ر٢٠٠ وأوز « سمن » ١١ر١١٠ .

ومع أن الأوز المعروف باسم الأوز العراقى كان من الطيور التى ندر تصويرها فى الفن المصرى ، فان « بتاح حتب » كان يملك منها ١٢٢٥ ، رغم أنه لم يصور غير واحدة ، أما عدد الطير المعروف باسم الببلول فعدده ١٢٠ر٠٠٠ ، والببط الأصلى ١٢١ر٠٢٢ ، والحمام ١١١ر٠٠٠ .

ومن الواضح أن مزرعة « بتاح حتب » كانت غنية بأنواع الطيور المختلفة ، وكانت تفيض على بيته باللحم والشراب ، غير أن الغريب فى هذه المجموعة الرائعة ، أنه لا يوجد بينها مثل واحد للمنظر الذى اعتاد الفنان المصرى الاهتمام به ، فان « بتاح حتب » لم يصور منظرا واحدا للحرث والبذر أو الحصاد فى كل مقصورته .

ومن الغريب أيضا أن « آخت حتب » لم يصور أى منظر للحرث فى القسم الخاص به فى المصطبة ، ولو أنه مثل وهو يحصد ويدرس ويذرى

ويقوم بخزن الحبوب ، وسوف نرى أن المناظر في مقبرة « تى » ستعوض هذا النقص .

وليس هناك ما يدعو الى الاسهاب فى وصف المناظر الموجودة فى مقصورة « آخت حتب » التى تجرى على نفس النمط ، واننا نوجه النظر الى المجموعة المصورة على الجدار الشرقى من المقصورة ، حيث يجلس « آخت حتب » يرقب العمل فى مستنقعات البردى وما بها من المراكب المعتادة هناك .

كما يراقب عملية حزم البردى ، ونرى أجمة البردى وبها أعشاش الطيور التى لا حصر لها ، فى حين تحلق أسراب الطيور فوقها ، والنمس الذى يتسلق السيقان المائلة ليخطف أفراخ الطير من أعشاشها ، وقد رسمت بابداع رغم تأكل الكثير منها .

ومما تجدر ملاحظته ذلك الصياد المنفرد الكثير التأمل ، وهو فى قاربه الصغير المصنوع من البردى ، قريبا من المدخل ، وقد مثل وهو يصطاد سمكة او على وشك صيدها ، ولكنه يتقبل حظه السعيد فى فتور .

بينما نرى زميله الذى يمسك بشباك على الجانب الآخر من المدخل يتقد حماسا رغم سوء حظه ، هذا وقد مثل فى أعلى البحارة المتعاركون ، وهم يتزينون بأكاليل من براعم اللؤلؤس بطريقة توحى بأن العراك لم يكن حقيقيا .

والصنعة فى القسم الخاص « بآخت حتب » أقل جودة بصفة عامة منها فى مقصورة « بتاح حتب » ، ففى المقصورة مناظر لا تحتاج الى مزيد من الاجادة ، كما وجد فى الممر منظر أو منظران ابداع تصويرهما بالحفر البارز .

فبروز عضلات رقاب الكائنات حين تثنى رءوسها قد مثل تمثيلا بديعا ، الى حد يشعر الانسان عندما يمر بأصابعه عليها ، أنه انما يضع يده على حيوانات حية - على أنه بجانب ذلك توجد ممرات رديئة الرسم ، وأخرى لم تكمل زخرفتها .

ويرجع ذلك في بعض الأحيان الى وجود رقعة من الحجر الرديء عاقت الفنان عن القيام بعمله على وجه مرض ، لأن المصمم كان - كعادته في المقابر الأخرى - مقيدا بروتين معين ، وكان عليه أن يتبع أساليب معينة ليضمن أقصى ما يمكن احرازه من رفاهية لسيده .

ولكنه استطاع على الرغم من هذه القيود أن يجد له منفذا في هذا القسم - كما لوحظ ذلك في أى مكان آخر - ليدخل بعض التغييرات البسيطة على البرنامج ، ويضفى شيئا من المرح على المناظر المألوفة ، بشكل لايسمح لنا بأن ننكر عليه قدرته على الابتكار .

ويدعونا هذا الى إعادة النظر في الآراء الشائعة بين كتاب القصص الشعبي عن الحياة المصرية القديمة ، التى تمثل المصرى شخصا مكتئبا متشائما حقودا ، يميل الى الأخذ بالثأر ، ولا تقل عقيدته عن نفسيته ظلاما وقسامة .

وها نحن نرى شاهدا من صميم عقائده يثبت لنا انه كان على نقض ذلك ، وكان يحب من الحياة بهجتها ، ويستطيع أن يستخلص منها بالمرح ، ولا يضيره أن يسجل أمارة ذلك على جدران المسكن الذى يأمل الإقامة فيه الى الأبد .

هذا وان مصطبة « بتاح حتب » و « أخت حتب » على وجه عام قد تكون أجمل نموذج لفنانى الدولة القديمة ، على الرغم من أن مصطبة « تى » التى سنراها فيما بعد تفوقها في غنى ونوع نقوشها ورسومها .

وقد بلغ من روعة النقش في مقبرة « بتاح حتب » أن « جمعية التنقيب عن الآثار المصرية » لم تجد غير هذه المصطبة لتلتقى منها مجموعة من الحروف الهيروغليفية، تكون بمثابة نموذج لهذه الحروف .

ومنذ ذلك الوقت ظهرت أمثلة أخرى جميلة خصوصا في مصطبة « بتاح حتب » آخر (د ٦٢) التى حظيت بتقدير كبير ، ولا يوجد ما يضاهيها في مصر فى جمال الخط والتصميم والزخرفة ، وهذه المصطبة تلاصق تقريبا مصطبة « بتاح حتب » المعروفة ، لا يفصلها عنها غير ممر ضيق .

ولما كانت مصطبة « بتاح حتب » تقع على مسافة غير بعيدة الى الجنوب
الشرقى من استراحة « مارييت » فانها تكون مثلثا معها ومع مقبرة « تى »
الواقعة على مسافة قريبة الى الشمال الشرقى .

مصطبة « تى » :

وهذه المصطبة الأخيرة ، التى تعتبر بحق أشهر مقابر صقارة ، ولايماثلها
فى مصر غير مقبرة « سيتى الأول » فى وادى الملوك بطيبة ، كانت حتى نهاية
القرن التاسع عشر ملتقى الأنظار فى صقارة ، وكان فتح مقبرة « بتاح حتب »
للجمهور باعنا من بواعث المنافسة الحقيقية معها .

كما حظيت مصطبتا « مرى روكا » و « كاجمنى » اللتان كشفنا
عام ١٨٩٣ ، بنصيب من الاعجاب . وان كان « تى » على وجه عام لايزال
يحتفظ بمكانته ، فانه صار الآن يشارك « بتاح حتب » فى الشهرة .

وتصميم هذه المصطبة العظيمة بسيط نسبيا (انظر الرسم) ، ويمكن
الوصول اليها بواسطة دهليز صغير (١) به عمودان تزينهما صورتا « تى »
لابسا مئزرا ، ولباس رأس مستعار .

ويحمل الجداران الشرقى والجنوبى لهذا المدخل رسوما لسيدات
يحضرن القربان التى تمثل ضياع « تى » ، ورسوما للطيور الداجنة
وما اليها ، قد سمت بطريقة صناعية ، وهناك باب ضيق ، مزين بصور
« تى » ، يؤدى الى صالة الأعمدة الكبيرة بالمصطبة (٢) وقد استعيض
الآن عن سقفها ، الذى كان فى الأصل محمولا على اثنى عشر عمودا .

ولانزال فى مكانها (رسم بعضها) ، بسقف آخر من الخشب ، وفى
وسط هذه الصالة سلم (٣) يهبط الى ممر سفلى يتجه منحرفا عبر
المبنى ، ويؤدى الى دهليز صغير (٤) ومنه الى حجرة الدفن التى تحتوى
على مشكاة وتابوت فارغ (٥) .

ولا تثير الرسوم الخاصة بصالة الأعمدة الاهتمام ، كما أنها ليست
محفوظة كرسوم باقى المقبرة ، ولهذا لا مجال للوقوف عندها ، وعلى

الجدار الشمالى (الذى يقع خلفه أحد سراديب المصطبة) نرى الرسوم المعتادة التى تمثل حملة القرايين والقطيع الذى يذبح للتضجية .

وعلى الجدار الشرقى رسوم تمثل « تى » محمولا على محفة ومعه أتباعه - أما الجدار الغربى فيحمل رسوم « تى » وزوجته (فى كل المناظر يظهر « تى » رجل بيت من الطراز الأول) وپراقبان ما يجرى من عمليات الزراعة ، ويتسلمان التقارير ، ويترقبان وصول مراكبه النيلية ، وهنا أيضا نجد لوحة لابن « تى » .

وبالركن الجنوبى الغربى للصالة باب يؤدي الى دهليز ، على جانبيه الأيمن باب وهمى « لنفر حنيس » زوجة « تى » ، وعلى كل من جدارى الدهليز رسوم لحملة القرايين .

وهناك باب ثان يؤدي الى قسم آخر من الدهليز عليه رسوم للقطيع كما هو المعتاد ، ومنظر لتمائيل « تى » تسحب على زحافات ، وكذلك مراكب نيلية أخرى .

وفوق الباب صور « تى » وزوجته فى زورق صغير يدغل من البردى (دهليز ٦ على الرسم) ، وصور المفين والراقصات تزين الباب الواقع فى نهاية هذا الدهليز ، الذى يمكن منه الوصول الى مقصورة المقبرة .

وقبل أن ندلف الى المقصورة نحو اليمين نرى حجرة جانبية (٧) تزينها مناظر بديعة زاهية اللون من النوع العادى ، تمثل حملة القرايين والخدم وهم منكبون على عملهم .

ومقصورة المقبرة (٨) هى حجرة واسعة طولها ٢٣ قدما وعرضها ١٦ قدما وارتفاعها ١٥ قدما ، ولها سقف محمول على عمودين مربعين ، لونا بألوان تضىف عليهما شكل الجرائيت ، وهو عمل عكف عليه المصريون الى حد يدعو الى العجب ، لحدوثه من هذا الشعب الفنان .

والجدار الشرقى يقع مباشرة على يسار الداخل ، ويظهر فى وسطه تقريبا « تى » مع زوجته التى تبدو صغيرة ، متواضعة طبعا ، وأمامهما

مناظر لمحاصيل الكتان والحبوب ، ومناظر أخرى تمثل الدرس والتندرية ،
وخلفهما مناظر لبناء المراكب .

وبينما نرى المناظر العليا مهشمة ، نرى الصفيين السفليين في حالة
حفظ جيدة ، ونشاهد في أحد المراكب « تى » واقفا يشرف على العمل ،
ونرى جميع خطوط بناء السفن ممثلة تمثيلا رائعا .

ويحمل الجدار القبلى مناظر تمثل « تى » وزوجته وأسرته ، كما
يحمل منظرا يمثله وهو جالس أمام مائدة قربان ، والطرف الشرقى لهذا
الجدار مهشم تهشيفا كبيرا ، وهذا مما يدعو الى الأسف ، خصوصا أن
المناظر الباقية على جانب كبير من الأهمية .

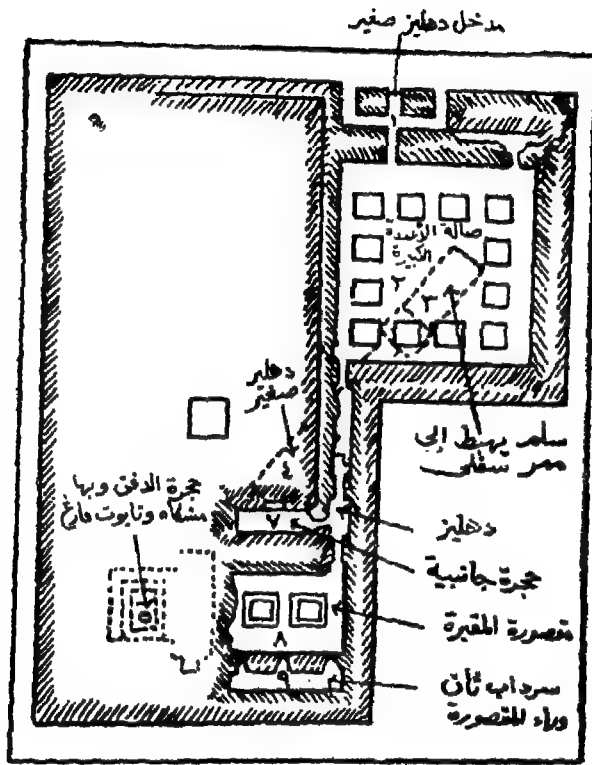
ذلك لأنها تختص بالصناعات المصرية ، كالنحت ، وأعمال النجارة ،
وصناعة الجلود . تتوسط صورتى « تى » وزوجته العليا مناظر الصيد
والماشية والدواجن ، أما المناظر الغربية الممثلة على هذا الجدار القبلى فأنها
تصور « تى » أمام المائدة تحيط به حملة القرايين والموسيقين النخ .

ويشغل الجدار الغربى - كما هى العادة - بابان وهميان كبيران ،
وأمام الباب الأيسر منهما مائدة قربان ، وقد صورت بين البابين مناظر
للذبح وحملة القرايين ، وموائد القرايين .

ونرى أخيرا أن الجدار الشمالى خصص لمناظر تمثل الحياة فى النهر
والمستنقع ، ونرى الى يمين منتصف الجدار منظرا كبيرا يمثله « تى »
يشق المستنقعات بزورقه ، ونرى فى زورق آخر أمامه البحارة يعملون
على صيد عجل البحر بالحرايب .

ومما يدعو الى الغرابة ان عجل البحر يبدو عليه الغضب لذلك ، وقد
نجح الفنان فى التعبير عن حالته النفسية فى شيء من الوضوح .

وهذه ظاهرة شائعة ، كما أنه أيضا فى مقصورة « مرى روكا » عبر
عن حالته مرتين فى منظر واحد ، ووراء عجل البحر الهائج عجل آخر
يلتهم تمساحا ، وهذه أيضا ظاهرة شائعة شوهدت فى مناظر
« مرى روكا » .



(شكل رقم ٨٦)
 مصطبة تي ، بصقارة الواقعة الى الشمال الشرقى
 من مصطبة بتاح حتب
 (تشير الأرقام الى الوصف الذى فى متن الكتاب)

وتحت مؤخرة الزورق يظهر نفس الصياد الفيلسوف المتأمل الذى رأيناه أخيرا فى مقصورة « أخت حتب » أو على الأقل شبيهه ، وهو يصطاد سمكة تشبه سمكة الصياد الممثل فى مقصورة « أخت حتب » .

ويجلس على كرسي صغير بمسند كشبيهه فى المصطبة الأخرى ، ويعلو رأس « تى » نبات البردى بأزهاره وبراعمه ، ويمتلئ الدغل بمجموعة كبيرة من الطيور والأعشاش الكثيرة التى تأوى إليها أفراخ الطير ، بينما يتسلق النمى المعتاد سيقان البردى المتمايلة ليسرق هذه الأعشاش فيفزع كبار الطير .

وعلى الجانب الغربى لهذا الجدار منظر مهشم من نفس النوع ، يمثل « تى » وأسرته معا فى مستنقع البردى ، ونرى عجل البحر ذاته يهاجم هذا التماسح ، وتشغل مناظر صيد الطيور واقتياد الماشية ورعيها وما الى ذلك المساحة الواقعة بين هذا المنظر والمنظر الآخر للمستنقع .

والى الشرق من منظر دغل البردى نرى مناظر تمثل بناء السفن، ومعركة غير حقيقية ناشبة بين بحارة المراكب أثناء صيد السمك ، فضلا عن المناظر التى افتقدناها فى مقبرة « بتاح حتب » ونعنى بها مناظر الحرث والبذر ، وعلى طول الجزء الأسفل من هذا الجدار الشمالى موكب الخادومات يحملن الهدايا وهن يمثلن كالعادة ضياع « تى » .

وهذه المقبرة على وجه عام جديدة بما نالته من شهرة ، وإذا كانت مقبرة « بتاح حتب » تفوقها فى رقة بعض رسومها فإنه لا يوجد ما يضاهى مقبرة « تى » فى تنوع صنورها التى تمثل الحياة المصرية على اختلاف ألوانها (١) .

(١) من حسن الحظ أن السيد « هنرى ويلد » الفنان السويسرى قام بتكليف من المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة بدراسة هذه المقبرة ونقل رسومها بالدقة التى تستحقها هذه الرسوم الجميلة ، وسوف ينتهى قريبا من هذه المقبرة ، بعد عمل متواصل يقرب من الخمسة عشر عاما .

ومما يذكر أنه يوجد وراء الجدار الجنوبي للمقصورة سرداب ثان (٩)، عثر به على عدد من تماثيل « تى » المحطمة ، وعلى تمثال واحد كامل يعتبر الآن من كنوز المتحف المصرى (٢٩٩ بالطبقة السفلى فى الحجرة رقم ٣٢ بالوسط) .

وهو يمثل الموظف المصرى المتيقظ الحازم فى عصر الدولة القديمة تمثيلا رائعا - ويلاحظ ذلك التناقض بين الأطراف الخشنة الصنع نسبيا وبين الرأس الذى صنع باتقان بعد دراسة تامة ، اذ كان التشابه ضرورة دينية تسهل على « الكا » التعرف على صاحبها .

والمصطبتان الأخريان اللتان أصبحتا فى السنوات الأخيرة ملتقى الأنظار ، بل منافستين الى حد ما لمقبرتى « تى » و « بتاح حتب » - اللتين استحقا ما لهما من شهرة عن جدارة - هما مصطبتا « مرى روكا » (ميرا) و « كاجمنى » ، وهما لا يبعدان كثيرا عن الجانب الشمالى لهرم الملك « تيتى » ، ذلك الهرم الذى سبق وصفه ، والذى يقع على مسافة قصيرة شمال شرقى الهرم المدرج .

مصطبة مرى روكا :

وتتميز مصطبة « مرى روكا » بكثرة دهاليزها وحجراتها التى لا تقل عن ثلاث وثلاثين ، وهذه الكثرة الظاهرة ترجع الى أن هذه المقبرة كانت مقبرة عائلية فيها قسم ، « لمرى روكا » نفسه ، وقد خصص له وحدة ، وآخر لزوجته ، وثالث لابنه « مرى تيتى » .

ويوضح الرسم تفاصيل هذا التخطيط المعقد نوعا ما ، وفيه نرى أن « مرى روكا » قد فاز بنصيب الأسد - وهذا أمر طبعى ، وتحمل مقصورة « مرى روكا » رقم ١٣١ ، ومقصورة زوجته أو على الأقل الحجرة التى يوجد بها بابها الوهمى (ب ٥) ، أما مقصورة ابنه فهى (ج ٣) . وليس هناك ما يدعو الى التطويل فى وصف جميع المناظر التى تحاكي بوجه عام تلك التى رأيناها فى مقبرة « بتاح حتب » ، ومع ذلك فانه توجد تفاصيل قليلة فى بعض المناظر تجدر الإشارة اليها لأهميتها الخاصة .

ومن بين هذه المناظر منظر هام عند مدخل المصطبة يمثل الفنان الذى قام بزخرفة المصطبة ويظن أنه « مرى روكا » نفسه جالسا ومقلته تتدلى من كتفه أمام لوحة الرسم ، وممسكا باحدى يديه محارة بها ألوان .

بينما يمسك بالأخرى قلمه الذى يرسم به التخطوط الأولية لرسومه ، ولعل القراء يذكرون تلك المحارة التى بها لون أحمر ، والتي عثر عليها فى احدى الحجرات الصغيرة بمقبرة « بتاح حتب » . لقد كانت المحارة احدى أدوات الفنان المصرى التى تقوم مقام الأنبوبة الحالية .

ومن الغريب أن الفنان الذى سبق الفنان المصرى ، ونعنى به الفنان المجدلى فى العصر الحجري القديم ترك لنا أمثلة من الأداة التى كان يستعملها فى رسومه البديعة فى الكهوف ، وهذه الأداة هى أنبوبة من العظم المفرغ .

وفى أحد المناظر التى تمثل مستنقع البردى على الجدار الشمالى من الحجرة نرى رجلا فى زورقين يطعنون برماحهم أفراس البحر ، وقد ظهرت منها علامات الغضب بسبب اقلاق راحتها .

وموضع الاهتمام هنا ليست هى هذه الأفراس ، بل ذلك الثبات المائى الذى يظهر وسط الصورة ، وترقد على سيقانه ضفدعتان سمينتان وجرادتان بلقتا من الضخامة حدا يجعلهما كفيلتين وحدهما باحداث أى بلاء .

وهذا مظهر غريب لاهتمام الفنان بكل ألوان الحياة ، وبينما نرى « مرى روكا » يصطاد السمك على الحائط الشمالى ، نراه على الحائط الجنوبى للحجرة نفسها يصطاد الحيوان فى قاربه بطريقة مشابهة ، كذلك نرى فرس البحر العادى يلتهم التمساح ، وهو منظر يعتبر مع بقية المناظر عملا فنيا جميلا .

وعلى الجدار الغربى للحجرة (٤١) - منظر مشابه للمنظر الموجود فى مقبرة « تى » ، ولكنه أكثر تفصيلا ، وهو يمثل ادارة أملاك «مرى روكا» حيث يجلس الكتبة منهمكين فى أعمالهم ، بينما يساق شيوخ القرية الى الادارة ليدفعوا ما عليهم من ضرائب .

أو ليدلوا بشهادتهم فيما هو مستحق على الآخرين ، ونرى أحـد هؤلاء - وقد فشل في اقناع كبار الموظفين الذين في خدمة سيدهم العظيم - مجردا من ملابسه ومقيدا الى عمود ، والسياط تنهال عليه ضربا .

وفي مقصورة « مري روكا » رقم (١٣ أ) أهم مناظر المقبرة لفتا للأنظار ، فالباب الوهمي الواقع بالجدار البحرى عليه تمثال لشخصه يمثلـه كأنه يخطو خارجا من الباب ليتناول القرايين المروضة على مائدة القرايين الموضوعة أمامه ، وعلى كل من جانبي الباب الوهمي رسم له بالحفر البارز .

وهو منظر حيوى مثير ، وعلى الجدار الشمالى أيضا رسم بالحفر البارز من طراز غريب ، اذ نرى « مري روكا » ممثلا في سن متقدمة ، ويقوده ابنه ، فهو ليس في عنفوان شبابه كما هى العادة .

وإذا كان هو الذى صمم هذه المناظر بنفسه كما يظن ، فانه يكون حقا فنانا واقعيا - ويضم الجدار الشرقى للمقصورة منظرا « لمري روكا » وزوجته يلعبان لعبة الضاما ، أما المناظر الأخرى فانها لا تثير اهتماما خاصا .
مصطبة كاجمنى :

أما « كاجمنى » الذى تقع مصطبته على مسافة قريبة من مصطبة « مري روكا » ، فقد كان وزيرا وقاضيا في عهد ثلاثة ملوك متتاليين من ملوك الأسرة السادسة ، وكان المألوف أن يعمر الحكام المصريون طويلا ، شأنهم في ذلك شأن ارباب المعاشات .

وكانت ألقاب « كاجمنى » : قاضي المحكمة العليا ، وحاكم الأرض حتى حدودها الشمالية والجنوبية ، ومدير كل المأموريات ، فهو بحق من الرجال العظام في أواخر عهد الأسرة السادسة .

ولا ينبغي الخلط بينه وبين سميـه « كاجمنى » صاحب تعاليم « كاجمنى » المشهورة ، كما يحدث أحيانا ، فقد كان الأخير حاكما للمدينة ووزيرا في عهد الملك « حوني » ، الذى كان كما أسلفنا ، آخر ملوك الأسرة الثالثة والسلف المباشر لسنفرو ، وبانى الهرم الكاذب .

وعلى ذلك فان « كاجمنى » صاحب التعاليم ينسب الى عصر أقدم من عصر صاحب مقبرة صقارة . ومصطبة « كاجمنى » كبيرة الحجم ، وبعض مناظرها ممتازة ، ولكنها بوصف عام ليست فى مستوى مناظر بعض المقابر الأقدم عهدا مثل مقبرة « بتاح حتب » و « تى » .

وصور « كاجمنى » البارزة جميلة ، كما أن بعض المناظر بها لها ميزتها الخاصة ، فمثلا يوجد فى حجرة تتفرع من صالة الأعمدة منظر لضباع تسمن صناعيا لتتقدم على مائدة «كاجمنى» ، وهذا يدل على أن تنوق المصرى للطعام يختلف بعض الشيء عن تنوقنا له .

وصور البط فى بركة البط وعلى الشاطئ هي صورة معبرة ، ومناظر الصيادين العائدين بصيدهم الى ديارهم رائعة أيضا ، وصالة الأعمدة بأعمدتها الثلاثة ضيقة بالنسبة لطولها .

ومن المعالم الأخرى المستغربة سلم يصعد الى سطح المصطبة حتى يتأذى للوزير أن يستمتع بالهواء ، ويشرف على حجرتين واسعتين يبلغ طولهما ٣٦ قدما ، ويحتمل أن هاتين الحجرتين كانتا تضمان مراكب الشمس التى كان يبحر فيها بصحبة « رع » فوق النيل السماوى .

مصطبة عنح ماحور :

وتقع مصطبة « عنح ماحور » الى الشرق قليلا من هاتين المقبرتين الأخيرتين ، والى الشمال من هرم « تيتى » ، وهى واحدة من صف المقابر التى فتحتها مصلحة الآثار عام ١٨٩٩ ، وتعرف عادة باسم «مقبرة الطبيب» اذ توجد بحجرة تتفرع من حجرتها الأولى (على الباب) مناظر تمثل عمليات جراحية كالطهارة ، وجراحة لأصبع قدم أحد الأشخاص .

يضاف الى ذلك أن هناك بعض مناظر على جانب كبير من الأهمية ، وفى الحجرة الثانية منظر لثور أعد للذبح ، وقد صور هذا المنظر بطريقة مدروسة ، فنرى خادمين يسحبان قدمى الثور ، وآخرين يسحبان ذيله .

بينما يقوم خادمان آخران بسحب سيقانه من تحته ، هذا وقد مثل المنظر المعتاد لرجال يسحبون شبكة لصيد الطير بعناية - وربما كان المنظران اللذان يسترعيان الانتباه هما : منظر النحيب على المتوفى ، ومنظر فتيات البالية .

فمنظر النحيب يبرز الحزن الشرقي على حقيقته ، وليس هناك شك في حزن الرجال الممثلين في الصف العلوى والنساء الممثلات تحتهم ، فأحزانهم واضحة تماما .

وزيادة في تأكيد حزنهم ، نرى بعضهم في كل من الصفين في حالة اغماء حقيقى وقد تهاووا من تأثير الحزن ، واستندوا الى زملائهم الباكين ، وعلى عكس هذا الحزن الجارف يبدو منظر فتيات البالية ، حيث تقف كل منهن على القدم اليسرى تؤدي قفزة عالية بحيث أن اصبع القدم اليمنى للراقصة تلمس لمسا تاما ، بطريقة محكمة .

والخط الذى يفصل بين الصف الموسمين فيه والصف الذى يعلوه ، بينما نرى كلا اليمين وهما مرفوعتان بطريقة ايقاعية ، وكل رأس يميل الى الوراء بنفس الزاوية التى تميل بها رأس الراقصة المجاورة .

في حين تتدلى الصغيرة الطويلة التى تنتهى بخصلة الى أسفل في خط محاذ للصف الآخرى ، ومن ذلك يتبين لنا أن فرقة باليه « عنخ ماحور » كانت مدربة تدريباً ممتازاً ، والآن يحق لنا أن نتساءل عن مدى صحة الآراء المزعومة عن ميل المصرى الى التجهم ، حين نرى مثل هذا الاستعراض في مقبرته .

مصطبة نفرشم بتاح :

والمقبرة التى تلى مقبرة « عنخ ماحور » تخص « نفرشم بتاح » ، ومع أنها لا تستحق اهتماماً خاصاً ، فأنها تلفت النظر للأسلوب البارز الواضح

في استعمال صاحب المقبرة لبابه الوهمي ليحصل على أكبر نصيب من الهدايا الجنازية المقدمة اليه .

فهو ممثل عليه ثلاث مرات على الأقل ، مرتين بتمثالين كاملين له ، وهما يخطوان الى الخارج على جانبي اللوحة ، ومرة ثالثة بتمثال نصفي لشخصه ، وهو يتطلع الى المقصورة من خلال نافذة صغيرة تقع بأعلى عتب الباب الوهمي ليتأكد بنفسه من أنه لن يفقد شيئاً .

وفكرة التمثال النصفي الذي يعتبر أهم أجزاء هذه المجموعة - التي تكررت في التماثيل الأخرى بشكل مماثل نوعاً ما - تضيف على المقصورة سحراً ممتعا ، فأنا نرى المتوفى يطل من نافذته ليتأكد من قيام صحبه بواجبهم نحوه .

مقبرة أتيتي :

وفي مقبرة « أتيتي » (د ٦٣) مثل آخر يستحق الذكر لباب وهمي « استخدم بطريقة واقعية لخروج تمثال صاحبه ، وهذه المقبرة تقع قبلى مقبرة « بتاح حتب » الأصغر (د ٦٢) وغربي مصطبة « بتاح حتب » العظيم (د ٦٤) .

فعلى هذا الباب الوهمي نرى « أتيتي » ممثلاً على هيئة تمثال طوله ثلاث أقدام وثمانى بوصات ونصف بوصة ، وجسمه ملون باللون الأحمر حسب التقليد المصرى المعتاد فى تماثيل الذكور ، وشعره ملون باللون الأسود ، ويلبس نقبة بيضاء .

وعلى كل من جانبي الباب الوهمي رسوم بالحفر البارز تمثله بحجم أصغر ، وهذا الباب يوجد الآن بالمتحف المصرى (رقم ٢٣٩ فى الطبقة السفلى - الحجرة رقم ٣٢ شرقاً) مع تماثيل الرجال العظام أمثال « تى » و « رع نوفر » .

وليست هناك فائدة ترجى من التوسع فى ذكر تفاصيل كل مقابر صقارة التى وصفها مكتشفوها ، ولكننا قبل أن نترك الجبانة العظيمة يجب أن

نشير الى مصطبتين ، لا لما لهما من أهمية خاصة الآن ، بل لما وجد بهما من آثار في الماضي ، وكلاهما يهمله الزائر العادى .

وهما حقيقة لا يحتويان على شيء يثير الاهتمام ، فمصطبة « كا عبر » (مارييت ج ٨) من الطراز القديم البسيط ، وتشاهد بها المقصورة الجنازية المقامة على شكل حجرة بسيطة أمام الباب الوهمى لتجيب ما يجرى بها من طقوس جنازية عن أنظار العامة .

وترجع أهميتها الى التمثال المعروف باسم « شيخ البلد » (المتحف المصرى ، رقم ١٤٠ بالحجرة ٤٢ وسط ، بالطبقة السفلى) ، وقد عثر على هذا التمثال « مارييت » فى فجوة بالجانب القبلى من هذه المقصورة الصغيرة ، ويعتبر أشهر تماثيل الدولة القديمة اذا استثنينا تمثال « خفرع » المصنوع من الديوريت .

ولما كان قد سبق وصف هذه القطعة الفضة ، فاننا نكتفى هنا بالإشارة الى مثيلتها ، فقد وجد فى نفس الوقت عند الباب الشمالى للمقصورة تمثال من الخشب لا يقل عما سبق روعة ، ويعرف الآن بتمثال « زوجة شيخ البلد » .

وعلى الرغم من أنه أقل لفتا للأنظار بسبب ما به من تهشيم فإنه لا يقل أهمية - باعتباره نموذجا للسيدة العظيمة فى الدولة القديمة - عن تمثال « كابر » الذى يمثل الرجل العظيم فى نفس الوقت .

وهذه السيدة التى يجثم تمثالها الآن بالمتحف المصرى (رقم ١١٧ بالقاعة ٣٦ بالطابق السفلى) ، قد أقصيت دون رحمة عن الرجل الذى يظن أنه كان زوجها وليس سيدها ، اذا كان ممكنا فهم طبيعتها من ملامح وجهها .

مقبرة حسي رع :

أما المقبرة الثانية فهى مقبرة « حسي رع » ، التى تقع على مرتفع يطل على قرية « أبو صير » بالطرف الشمالى من الجبانة ، وهو موقع يزيد ارتفاعا عن أى مكان آخر فى المنطقة .

وهذه المقبرة المبنية باللبن التي يرجح أنها من عصر الملك « زوسر » أحد ملوك الأسرة الثالثة ، ذات تصميم غريب ، وأظهر ما فيها دهليزان طويلان ضيقان ، وقد زخرف الدهليز الداخلى ، الذى هو أكثرهما أهمية ، برسوم تمثل الصناعات الخشبية والأوانى وغيرها .

ولاتزال تحتفظ نسبها بألوانها رغم مضي آلاف السنين منذ كشف « كوبيل » المقبرة عام ١٩١١ - ١٩١٢ للمرة الثانية ، « ولم تشاهد بها مناظر لحملة القرايين والقصابين ، وكانت توضح عادة بعبارات قصيرة فوقها ، كما لم ترد أى صور لآدميين أو لحيوانات .

وكل ما شوهد هو صفوف طويلة من المستطيلات على بطانة كالحصير تبدو فى مجموعها كصور فى بهو) - ولا ترجع شهرة مقبرة « حسى رع » الى ما فى زخرفتها من أسلوب غريب ، ذلك الأسلوب الذى يختلف عن الأسلوب التقليدى ، الذى كانت له الغلبة أخيرا .

بل ترجع شهرتها الى ما وجد بها من أمثلة رائعة على المهارة فى حفر الخشب الذى انتشرت فى الأسرة الثالثة ، فقد وجد « مارييت » - الذى لم يذكر شيئا عن الرسوم - خمس لوحات خشبية فى ثلاث فجوات بالدهليز الطويل ، تحمل كل منها صور « حسى رع » نفسه .

منها أربعة صور تمثله واقفا أمام مائدة قرايين غنية، وتوجد هذه اللوحات الآن بالمتحف المصرى (رقم ٨٨ بالحجرة ٣١ غرب - الطبقة السفلى) مع لوحة سادسة عثر عليها « كوبيل » فى مكانها القديم عام ١٩١٢ مهشمة .

وعلى الرغم من التلف الذى تعرضت له هذه اللوحات خلال نحو خمسة آلاف سنة ، فاننا نستطيع أن نؤكد أن العالم لن يستطيع أن يخرج أمثلة من النحت على الخشب أرق وأروع من هذه اللوحات .

وعلى الرغم من قلة بروز الرسوم فان صورة « حسى رع » مليئة بالحياة ، وتقدم لنا فكرة واضحة عن طراز الرجال الأقوياء الذين

عاونوا « زوسر » في أعماله العظيمة (١) .

وقبل أن نترك صقارة يجدر بنا أن نشير الى مراحل التطور في بناء المصطبة ، وهى ظاهرة تميز بوجه عام المقابر الأقدم عهدا جنوبى «أبو صير» التى ترجع الى الأسرتين الثانية والثالثة ، وتوضح عظم تعلق المصرى بالحياة الأخرى ، حتى فى أدق تفاصيلها .

فقد كان الاعتقاد السائد فى ذلك الوقت أن المتوفى ، وإن كان يستطيع التنقل بحرية بين حجرات المصطبة ، فإنه لم يكن قادرا (كما كان يعتقد أخيرا) على الخروج من مقره .

وعلى ذلك فإنه كان يزود بحجرة نوم وسرير عدا كل الأشياء الأخرى الضرورية لمطالبه الشخصية ، بما فى ذلك مكان الاغتسال ، وبذلك لا ينقصه أى شيء .

وعلى الرغم من أن ذلك قد يكون مدعاة للسخرية ، فإنه يدل على شدة تمسك المصرى القديم بمعتقداته الدينية ، فالرجل الذى يعمل مثل هذا لا يحتاج الى اثبات على يؤكد إيمانه الحقيقى بالعقائد ، لأن أعماله أقوى من أى قول .

« تم الجزء الأول »

(١) هناك بعض المقابر الأخرى الواقعة قرب هرم « أوناس » جديدة بالزيارة ، وقد اكتشف أغلبها أخيرا أثناء عمل رجال مصلحة الآثار ، فهناك مقبرة « ايدوت » التى كتب عنها المرحوم رزق الله مكرم الله ، وتتميز بألوانها الزاهية وبعض مناظرها التى تشمل صاحبيتها وهى تتقبل القرابين أو تحمل على محفة .

وهناك مقبرة الوزير « ميعو » الذى عاش فى عهد الأسرة الخامسة وتتميز بكثرة مناظر الحيوانات والراقصات فيها ، وقد اكتشفها الأستاذ زكى سعد ، وهناك أيضا ثلاث مقابر من عصر الأسرة السادسة والعصر المتوسط الأول ، اكتشفها المرحوم المهندس عبد السلام محمد ، وأهمها تلك المقبرة الواقعة الى الجهة الجنوبية من طريق هرم « أوناس » .

بيان الصور واللوحات
والأشكال المختلفة
بالكتاب

صفحة

- ٩ (شكل رقم ١) منطقة أهرام الجيزة
- ١٦ (شكل رقم ٢) أبو الهول الكبير
- ٣٣ (شكل رقم ٣) خريطة مصر والنوبة
- ٤١ (شكل رقم ٤) تخطيط كاتا كوم (كوم الشقافة)
- ٥٧ (شكل رقم ٥) الاله باستت على هيئة لبؤة برأس قط
- ٥٨ (شكل رقم ٦) الاله سخمت
- ٦١ (شكل رقم ٧) رأس حاتور (منطقة بوباسطة)
- ٦٤ (شكل رقم ٨) تمثال لسيده من العصر اليونانى الرومانى
- ٧٢ (شكل رقم ٩) معبد أونياس
- ٧٣ (شكل رقم ١٠) معسكر الهكسوس بتل اليهودية
- ٧٨ (شكل رقم ١١) رأس تمثال رمسيس الثانى
- ٨٢ (شكل رقم ١٢) قلادة الملك بسوسنس من الذهب
- ٨٤ (شكل رقم ١٣) خريطة موقع مدينة ثانيس
- ٩٧ (شكل رقم ١٤) الاله خنوم على شكل كبش
- ١٠١ (شكل رقم ١٥) الاله أوزوريس
- ١٠٣ (شكل رقم ١٦) ايزيس تحمى أوزوريس
- ١٠٤ (شكل رقم ١٧) الاله حورس على هيئة الملك الصقر
- ١١٢ (شكل رقم ١٨) المتحف المصرى - الطابق السفلى
- ١١٩ (شكل رقم ١٩) رأس تمثال للملك أوسر كاف
- ١٢١ (شكل رقم ٢٠) تمثال لخادم يقوم بصنع الجعة
- ١٢٣ (شكل رقم ٢١) تمثال للملك خفرع
- ١٢٥ (شكل رقم ٢٢) تمثال الكاتب المتربع

— ٣٧٧ —

- (شكل رقم ٢٣) تمثال من الخشب لأحد الكهنة
 ١٢٨
 (شكل رقم ٢٤) حلية من الذهب للملك أوسركون الثانى
 ١٣٦
 (شكل رقم ٢٥) صورة لتمثال امنحوتب بن حابو
 ٢٣٩
 (شكل رقم ٢٦) تمثال للملك سنوسرت الأول
 ١٤١
 (شكل رقم ٢٧) تمثال من الحجر الجيرى لسنوسرت الأول
 ١٤٥
 (شكل رقم ٢٨) تمثال ثلاثى من الأردواز لمتكاورع
 ١٤٧
 (شكل رقم ٢٩) تمثال من الحجر الجيرى للملك أمنمحات الثالث
 ١٤٩
 (شكل رقم ٣٠) تمثال من الرخام للملك أمنمحات الثالث
 ١٥٠
 (شكل رقم ٣١ - أ) تمثال نادر لأحد الخدم بصقارة
 ١٥١
 (شكل رقم ٣١ - ب) منظر لحفل نساءى من الأسرة ١٨
 ١٥٣
 (شكل رقم ٣٢) الجزء العلوى لتمثال سن نفر وزوجته
 ١٥٥
 (شكل رقم ٣٣) النصف الأعلى لرأس تمثال آمون رع
 ١٥٧
 (شكل رقم ٣٤) المتحف المصرى — الطابق العلوى
 ١٥٩
 (شكل رقم ٣٥) نماذج موميات من العصر الرومانى
 ١٦٠
 (شكل رقم ٣٦) تمثال للملك امنحتب الثانى
 ١٦٢
 (شكل رقم ٣٧) تمثال للملك رمسيس الثانى
 ١٦٣
 (شكل رقم ٣٨) تمثال للسيدة مريت آمون
 ١٦٦
 (شكل رقم ٣٩) رأس تمثال أوسر كاف
 ١٦٨
 (شكل رقم ٤٠) تمثال للملك خوفو
 ١٧١
 (شكل رقم ٤١) نماذج تماثيل صغيرة لسيدات
 ١٧٤
 (شكل رقم ٤٢) تمثال من الخشب لحدى الخادمت
 ١٧٨
 (شكل رقم ٤٣) نماذج تماثيل الشوابتى
 ١٨٠
 (شكل رقم ٤٤) اناء من الفضة
 ١٩٢
 (شكل رقم ٤٥) حلية ذهبية للصدر (توت عنخ آمون)
 ١٩٨
 (شكل رقم ٤٦) تمثال لتوت عنخ آمون من الجرانيت
 ٢٠١

صفحة

- (شكل رقم ٤٧) القناع الذهبى لتوت عنخ آمون ٢٠٤
- (شكل رقم ٤٨) توابيت ذهبية على هيئة انسان (توت عنخ آمون) ٢٠٦
- (شكل رقم ٤٩) اناء من المرمر (مجموعة توت عنخ آمون) ٢١٠
- (شكل رقم ٥٠) تمثال من الذهب لتوت عنخ آمون ٢١١
- (شكل رقم ٥١) (اناء من الفضة (مجموعة توت عنخ آمون) ٢١٤
- (شكل رقم ٥٢) رأس تمثال (لتوت عنخ آمون) ٢١٥
- (شكل رقم ٥٣) منظر على غطاء صندوق (مجموعة توت عنخ آمون) ٢١٨
- (شكل رقم ٥٤) تمثال ضخيم للملك الخاتون ٢٢١
- (شكل رقم ٥٥) جبانة الجيزة الأثرية ٢٣٣
- (شكل رقم ٥٦) قطاع فى سراديب الهرم الأكبر ٢٤٤
- (شكل رقم ٥٧) رسم تخطيطى للمعبد الجنائزى للهرم الأكبر ٢٥١
- (شكل رقم ٥٨) قطاع فى الهرم الثانى للملك خفرع ٢٥٧
- (شكل رقم ٥٩) المعبد الجنائزى للهرم الثانى ٢٦٣
- (شكل رقم ٦٠) معبد الوادى للهرم الثانى ٢٦٤
- (شكل رقم ٦١) تمثال أبو الهول للملك ميسو الأول ٢٦٥
- (شكل رقم ٦٢) لوحة لأبو الهول للفرعون يوح ٢٦٦
- (شكل رقم ٦٣) لوحة عليها رسم لأبو الهول ومعبد ٢٦٨
- (شكل رقم ٦٤) لوحة عليها رسم لأبو الهول وهرمين ٢٦٩
- (شكل رقم ٦٥) قطاع فى الهرم الثالث ٢٧٣
- (شكل رقم ٦٦) رسم تخطيطى لمعبد الوادى ٢٧٧
- (شكل رقم ٦٧) المعبد الجنائزى ومعبد الوادى للملك ساحورع ٢٩٢
- (شكل رقم ٦٨) هرم الملك ساحورع ٢٩٣
- (شكل رقم ٦٩) رسم للمعبد الجنائزى للملك نفر - ار - كارع ٢٩٤
- (شكل رقم ٧٠) رسم تخطيطى للمجموعة الهرمية للملك ٢٩٧
- نوسر - رع

صفحة

- ٢٩٨ (شكل رقم ٧١) رسم تخطيطى ومقطع لهرم نوسر - رع
- ٣٠١ (شكل رقم ٧٢) رسم تخطيطى لمصطبة فرعون من الداخل
- ٣١١ (شكل رقم ٧٣) السرابيوم
- ٣١٤ (شكل رقم ٧٤) هرم صقارة المدرج
- ٣٢٣ (شكل رقم ٧٥) الحجرات والممرات داخل هرم أوناس
- ٣٢٦ (شكل رقم ٧٦) رسم تخطيطى لمعبد أوناس
- ٣٣٠ (شكل رقم ٧٧) المجموعة الهرمية لببى الثانى
- ٣٣٢ (شكل رقم ٧٨) رسم تخطيطى لمصطبة الملك شيبسىس
- ٣٣٤ (شكل رقم ٧٩) رسم ومقطع لهرم سنفرى الشمالى
- ٣٣٧ (شكل رقم ٨٠) رسم ومقطع لهرم سنوسرت الثالث
- ٣٣٩ (شكل رقم ٨١) هرم امنمحات الثالث بهواره
- ٣٤١ (شكل رقم ٨٢) الهرم الكاذب أو المنحنى
- ٣٤٣ (شكل رقم ٨٣) نموذج من مصاطب العصر العتيق
- ٣٤٦ (شكل رقم ٨٤) نموذج آخر من مصاطب العصر العتيق
- ٣٥٢ (شكل رقم ٨٥) مصطبة بتاح حتب وأخت حتب
- ٣٦٣ (شكل رقم ٨٦) مصطبة تى بصقارة

محتويات الكتاب

(الفهرست)

صفحة

٥	تمهيد
٧	هذا الكتاب
١١	تقديم الجزء الأول من الكتاب : بقلم لبيب حبشى
١٧	سجل تاريخى لأهم الفراعنة
١٧	الدولة القديمة
١٩	العصر المتوسط الأول : -
١٩	الدولة الوسطى
٢١	العصر المتوسط الثانى (الهكسوس)
٢٢	الدولة الحديثة
٢٦	العصر المتأخر
٢٨	مقدمة

الباب الأول : الدلتا

٣٥	الفصل الأول : -
٣٥	الاسكندرية والأماكن الأخرى بين الاسكندرية والقاهرة
٣٧	الاسكندرية
٤٤	الأماكن الأثرية الهامة فى الدلتا
٥١	الفصل الثانى : -
٥١	بورسعيد والاسماعيلية حتى القاهرة
٦٩	الفصل الثالث : -

صفحة

٦٩

المواقع الأخرى بالدلتا

الباب الثانى : القاهرة وضواحيها حتى الفيوم

١٠٩

الفصل الرابع : -

١٠٩

المتحف المصرى بالقاهرة (١)

١٥٥

الفصل الخامس :

١٥٥

المتحف المصرى بالقاهرة (٢)

٢٢٣

الفصل السادس : -

٢٢٣

هليوبوليس ومسكنتها

٢٣١

الفصل السابع : -

٢٣١

الأهرام (أبورواش والجيزة)

٢٣٧

الهرم الأكبر (خوفو)

٢٥٥

الهرم الثانى (خفرع)

٢٧٠

الهرم الثالث (منكاورع)

٢٨٣

الفصل الثامن : -

٢٨٣

أبوصير ومنف وصقارة (المقابر الملكية)

٢٨٩

هرم (اوسر - كاف)

٢٩١

هرم (ساحورع)

٢٩٦

هرم (نوسر - رع)

٢٩٨

هرم (جد - كارع - أسيسى)

٢٩٩

موقع منف القديمة

- ٣٨٤ -

٣٤٢	الفصل التاسع : -
٣٤٢	مصاطب صقارة
٣٥٠	مصطبة بتاح حتب
٣٦٠	مصطبة تى
٣٦٥	مصطبة موى - روكا
٣٦٧	مصطبة كأجمنى
٣٦٨	مصطبة عنخ ماحور
٣٦٩	مصطبة نفر - سشم - بتاح
٣٧٠	مقبرة أتيتى
٣٧١	مقبرة حسى - رع
٣٧٤	بيان الصور واللوحات والأشكال

★ ★ ★

تم الجزء الأول
ويليه الجزء الثانى

رقم الايداع بدار الكتب ٩٢/٧٧٩٣

تم الجزء الأول
ويليه الجزء الثاني